المعرفة

131

العدد ١٣١ صفر ١٤٢٧ هـ مارس ٢٠٠٦م

ياسر الزعاترة :

دخل الحراس عندما صرخ علي ياسر عرفات !!

أمريكا تركت لسنغافورة الرياضيات والعلوم واتجهت إلى أفغانستان والعراق



تعوذوا من الشيطان الرجيم..

لأن مستقبلك يهمنا ...

اجتهدنا ففزنا عالمياً بالمركز الأول مرتين

بفضل دعمكم المتواصل وحرصنا على أن نقدم لكم الأفضل نحتفل معكم بتتويج نيوهورايزن السعودية بجائزتين عـالميتين كأفضل مركز تدريب في أوروبا والشرق الأوسط وأفضل مركز للتدريب في العالم لعام ٢٠٠٥م.

متفوقين بذلك على أكثر مـن ٢٣٠ مركزاً للتدريب في مختلف أنحاء العالم تطبق جميعها نظام نيوهورايزن العالمي للتدريب.

نيوهورايزن

مراكز لتدريب الكمبيوتر

New Horizons®
Computer Learning Centers
EMEA
Regional Center of the Year
2005
Presented to
New Horizons
Riyadh, Saudi Arabia
Congratulations on your
Outstanding Achievement!





الرياض:(الرجال) التخصصي: 4160123 - الروضة:2788389

(السيدات) طريق الملك فهد: 4628393 - الروضة:2251000 - السويدي: 2670333 - الخرج:5472848

	جدة	الخبر	الجبيل	الاحساء	الخالدية	مكة	المدينة	خميس مشيط	أبها	بريدة	عنيزة	الدمام	تبوك	حائل	نجران	الطائف	جيزان	محايل
الرجال	6642277	8588882	3465464	5305007	بالاحساء	5493555	8223333	2375051	2282700	3827999	3632727	8355440	4246770	5339933	5225444	7376600	3170509	2855666
السيدات	6699666	8571664	3460138	5822228	5807333	5433000	8645555	2361090	2297900	3833777	3612828							

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

المعرفة

مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم
المملكة العربية السعودية
تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٣١) - صفر ١٤٢٧ هـ - مارس ٢٠٠٦ م

المشرف العام
عبدالله بن صالح العبيد
وزير التربية والتعليم

رئيس التحرير
زياد بن عبدالله الدريس

نائب رئيس التحرير
سلطان بن عبدالعزيز المهنا

مدير التحرير
خالد بن عبدالله الباتلي

مديرة التحرير «لشؤون تعليم البنات»
فاطمة بنت فيصل العتيبي

سكرتير التحرير
عبدالوهاب بن يوسف المكينزي

الإخراج الفني
ينال رياض إسحق

إدارة النشر
Rawnaa
Specialized Communication
رونساء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول : المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة التربية والتعليم.

البند الثاني : تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ها هي بعض دول الغرب تكشف عورتها الفكرية وسوأتها الثقافية للمرة المليون. وكأننا في العالم الإسلامي والعربي بلا عيون أو بلا عقول وبلا وسائل اتصالات ومواصلات.

الهجمة المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والتطاول على سيرته العطرة التي انبثت من الدنمارك وعللت فيما بعد بالحرية أزاحت عن وهن العقل الغربي وخرابه الذي يدعي أولوية الحرية دون تقييد عقلي أو موقف من الاحترام للآخر ومعتقداته أو محاولة للتعرف على قيمه الدينية ومبادئه. لو قرأ رسامو الكاريكاتير ومن يديرهم قبل فعلتهم المشينة سيرة سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم بصورة محايدة أولاً وبتفحص وتمعن ثانيًا لأدركوا بعقلهم الفطري عظمة رسالته للإنسانية في قوله وفعله، لكنهم لم يفعلوا لأن حدود العقل لديهم لا تتعدى متعة دنيوية زائفة، فسقطوا في رذيلة الحرية العابثة ومستنقعها الآسن.

نشكر الصحيفتين الدنماركية والنرويجية ومن تبعهما من صحف أخرى، فقد كشفت زيف الحرية والديمقراطية المنتقاة في صورتها الغربية وأثبتت أن القانون الدولي الذي كثيرًا ما يتبجح به الغربيون أمام قضايانا الإسلامية ليس إلا «فزاعة» يستخدمونها متى ما رغبوا ويركنونها متى ما اشتهوا ذلك، فالمادة العشرون في هذا القانون تدين هذا التصرف الذي سيزيد الفجوة بين الشعوب ويوسع الشرخ بين الأديان، وشكرًا طويلاً على هذا الجرم القذر لأنه أثبت وحدة العالم الإسلامي الذي انتظم كجسد واحد في مظاهرات ومؤتمرات وندوات في صورة نعرف أنها تغيظ العدو وتقض مضجعه.. وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا محمد سيد المرسلين وآخر الأنبياء ■



تقرأ في الملف :

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب ٢٣٠٠٠٧- الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ١,٢٥دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال

وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:4197333 ـ فاكس: 4197696

Advertising@rawnaa.com

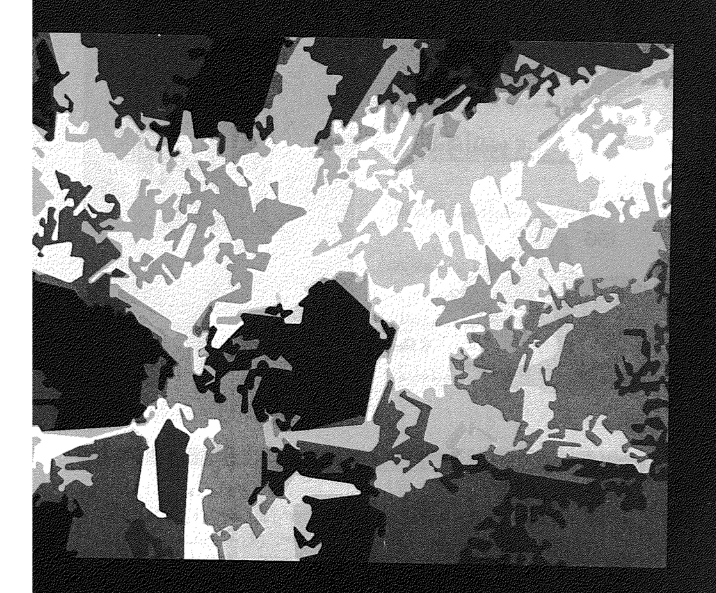
روناء للإعلان والتسويق

ص . ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

الوطنية  للتوزيع

تعوذوا من الشيطان الرجيـ



ـــم.. واقرؤوا هذا الملف

نستطيع أن ندرج هذا الملف «الشيطاني» تحت مسمى «اعرف عدوك» وهل هناك بشر لا يعرف أن الشيطان عدو مبين؟ لا.. ولكن هناك بشر أزاحوا هذه الحقيقة بعيدًا عن تفكيرهم وأعمالهم وأقوالهم بفعل الانسياق خلف حياة المادة ومغريات التحديث والتنوير المنقوصة فرأوا في الشيطان الذي يشاركنا المكان والزمان والأكل والشرب خرافة مضحكة. وهناك بشر رفعوا من قدر هذا المخلوق المغرور الحقير وأوصلوه جبنًا وخرافة وجهلاً إلى مكانة الإله فعبدوه وخضعوا لأساليبه المبتكرة والمتبدلة في حالة ضعف منهم، ويوم القيامة يوم الجمع الأكبر سيقول بكل وقاحة وصراحة لأتباعه السذج «لا تلوموني ولوموا أنفسكم». هذا الملف يقول بالضبط «اعرف عدوك بالضبط»، هذه الحياة صراع بين الخيروالشر وما دام الشر جزءًا من حياتنا، وهذا قضاء الله وأمره، فلابد أن يكون الشيطان الذي خلق قبلنا واستكثر علينا أن نخلف الله في الأرض موجودًا يتحين نقاط الضعف حتى ما كان منها طارئ ليخيِّل لنا الشر خيرًا وينحرف بنا نحن البشر عن عبادة خالقنا التي من أجلها خلقنا. هو موجود إذًا لهذا الهدف النجس لكنه مخذول وحسير وأضعف مما نتصور لولا غفلتنا عن عبادة الله وذكره في كل خطوة نخطوها أو لحظة نعيشها، ولأنه عائش بين ظهرانينا وعن شمالنا وعنصر من عناصر ثقافتنا فقد طفح إلى بعض اعتقاداتنا وأقوالنا المبالغة فنقول «فكرة شيطانية» و«طفل شيطاني» و«لكل شاعر شيطانه» لكنه لا يجب أن يتجاوز التعبير إلى الاعتقاد.

تعوذوا من الشيطان الرجيم، واقـرؤوا معنا هذا الملف الذي نسرد فيه العلاقة الأزلية بين الانسان والشيطان وبين الخير والشر، ونستقصي أين وصل عدونا اللدود المخذول في ثقافتنا ولغتنا وحياتنا لنسبر المعركة اليومية مع شياطيننا التي لا تملك أسلحة غير نزعة الشر في النفس البشرية وضعف هذه النفس، ونستطيع أن نهزمها بأرخص الأسلحة وأمضاها وهي «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». المعرفة

رؤية شرعية

جهود الشيطان لإفساد حياة الإنسان

عبدالرحمن الزنيدي* - الرياض

*كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

يدرك الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض بشعوره الفطري وبإحساسه الوجودي أنه ليس الوحيد في هذا الكون، وأن هناك عوالم أخرى وإن عجزت قدراته البشرية عن الإحساس بها رؤية أو لمسًا ونحوه.
يضاف إلى ذلك أن الإنسان مع شعوره بحريته في رغباته، في إرادته وحركاته يشعر أن هناك مؤثرات على توجهاته وحركته ليست فقط المؤثرات الطبيعية المحيطة به، وإنما مؤثرات أعمق من ذلك.

الوحي الإلهي المنزل على رسل الله بحكم استهدافه توجيه مسيرة الإنسان في حياته الدنيوية وفق الصراط المستقيم الذي يحقق له سعادته في الدنيا وفلاحه في العقبى كشف للإنسان حقائق تلك العوالم المحيطة بالإنسان المتفاعلة مع وجوده والمدبِّرة مع الإنسان بأمر الله الواحد الأحد وهي (الملائكة والجن والشياطين) وحديث الوحي هنا هو الحقيقة التي لا مراء فيها لأنها صادرة عن الله خالق الكون والمحيط علمًا بموجوداته، والكلام هنا يختص بما جاء به الوحي الموثوق في نسبته إلى الله لا ما أضيف من قبل بعض أتباع الأديان عليها.

أما الأمم التي تشكلت ثقافاتها بعيدًا عن هدي الله أو التي جاءها هدي الله ولكنه اندرس لديها تحت وطأة إدخالات الفكر البشري عليه فإن الشعور بتلك العوالم لديها جعلها تتخيل ومن ثم تصوغ معتقداتها عن تلك الكائنات.

فبعضها تصور أن الوجود يدبره مجموعة من الآلهة المتناقضة ما بين شريرة وخيرة.

وبعضها تصور أن الوجود يحكمه إلهان عظيمان، إله للخير وإله للشر لكل منهما جنوده كما في الزرادشتية، وفي الثنوية (أهريمن) إله السواد والظلام يقابل (أهورامزدا) إله النور والحق، ولكل منهما استقلاله وجودًا وخلقًا وعملاً.

وبعضها تصور أن الوجود موزع بين الله والشيطان، فالله يملك السماء والشيطان يملك الأرض، ويسعى كل منهما ليؤثر في ملك الآخر، لهذا نجد – كما تقول إحدى عضوات دين (فرسان الهيكل) الذي يعبد أتباعه الشيطان في فرنسا في القرن الرابع عشر الميلادي – أن الشيطان هو المسيطر غالبًا على أهل الأرض.

هناك من يتصور – كما لدى بعض العرب قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ـ أن الجن عالم مخلوق من قبل الله ولكنه عالم يمتلك قدرات وإمكانيات عظمى لدرجة أن تفوق عنصر الجمال لديه جعل الله – تعالى الله عن ذلك – يتزوج منهم وينجب بنات هن الملائكة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا﴾ (الصافات ١٥٨) ونتيجة لذلك أشرك بهم هؤلاء العرب من دون الله.

في مقابل هذه التصورات هناك تصورات لذوي التفسيرات المادية للكون الذين ينكرون ما وراء عالمهم المدرك بالخبرة الحسية، حيث أنكروا وجود ملائكة وجن وشياطين وفسروا ما يشعر به الإنسان من ذلك بأنها نزعات رغبوية منبعثة من داخل الذات الإنسانية (فالأبالسة في نظرنا –يقول فرويد– رغبات شريرة مستهجنة تنبع من دوافع مكبوحة مكبوتة)[1].

هذه العوالم (ملائكة، جن، شياطين) عوالم غيبية بالنسبة للإنسان، فهي محجوبة عنه لم يشهد وجودها ولا عملها، ثم إنها من عالم آخر فهي تخضع لقوانين لا تنطبق عليها قوانين عالمنا المادي، فلا يتوصل إلى حقائقها من خلال قياس الشاهد على الغائب، لهذا لا يبقى أمام الإنسان إلا تخيلات وهمية لتلك العوالم. أو ما قدمه الوحي الإلهي الصحيح في نسبته إلى الله، هذا الوحي بهذه الصفة منحصر الآن فيما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم وفي الثابت من سنته الشريفة؛ فما هي خلاصة ذلك؟ ابتداء من الشيطان مجال التناول؟

الشيطان هو الكائن الذي ابتدأت به صورة الشر مع أبي البشرية آدم عليه السلام، الشيطان فرد من العالم الذي يسميه القرآن (الجن) والتسمية كان موجودة قبل الإسلام لدى العرب كما سبق. وعالم الجن يُفهم بإزاء عالمين آخرين هما (الملائكة) و(الإنس).

هذه العوالم الثلاثة يجمعها أنها مخلوقة لله تعالى وأنها مدبَّرة بأمره، وأن لها أهدافًا محددة من قبل خالقها، وتفترق في طبيعتها وشيء من وظائفها، فالملائكة كائنات روحانية تمارس عبودية متواصلة لربها ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (الأنبياء: ٢٠) ﴿لا يستكبرون من عبادته ولا يستحسرون﴾ (الأنبياء: ١٩) يعني لا يصيبهم الإعياء من مواصلة العبادة، ويقوم بعض الملائكة بتدبير الكون وفق أمر الله وقضائه، ومقرها في السماء وقد تنزل منها إلى الأرض ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ (مريم ٦٤)، ومع تجردها من الأصل عن المادة إلا أن الله أعطاها القدرة على التشكلات المادية ﴿فتمثل لها بشرًا سويًا﴾ (مريم ١٧) فضلاً عن تشكلات في ظل عالمها الخاص لا يمكن للإنسان تخيلها ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ (فاطر:١).

للملائكة علاقات وطيدة بالإنسان من حين بداية تشكل وجوده وأثناء حياته وخلال موته وفي حياته البرزخية والأخروية.

ومن مهمات الملائكة تجاه الإنسان دعوته للحق والخير وتزيينه له وتثبيت قلبه عليه.

أما الإنسان فهو كائن خلقه الله لمهمة تختلف عن الملائكة، هي الخلافة في الأرض والعبادة المتناسبة مع تلك الخلافة. فلئن كانت عبادة الملائكة طبيعة مرتبطة بوجودهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم ٦). فإن قيمة العبادة الإنسانية انطلاقها من الاختيار الحر لهذا الكائن بين خيارين متاحين أمامه؛ لقد أعطى الله الإنسان حرية الاختيار بين طريقي الخير والشر، الفضيلة والرذيلة، وأمده بمؤهلات الاختيار السليم وهي العقل بفطرته التدينية والقيمية، وبالوحي الهادي، ثم حمَّله مسؤولية هذه الحرية بهذه المؤهلات أمامه.

وتيسيرًا للإنسان في القيام بخلافته خلقه الله من مادة هذه الأرض التي يمارس فيها خلافته، ومهمته هي أن يعمر هذا الكون الذي يعيش فيه بتسخيره حضاريًا (ماديًا وإنسانيًا) وفق منهج الله الذي رسخ أصوله في عقله، وأرسل به رسلاً من الناس أنفسهم لتحقيق الأهداف التي حددها الوحي، وهي أهداف إنسانية أي أنها مصالح خالصة للإنسان نفسه في حاضره الدنيوي ومستقبله الأخروي.

أما الجن فهو نوع من المخلوقات التي خلقت قبل وجود الإنسان ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ (الحجر: ٢٧). والجن وإن كان عالمًا سفليًا لا علويًا كالملائكة إلا أنه عالم روحاني غيبي بالنسبة للإنسان لا يستطيع رؤيته في خلقه الأصلي وإن كان هو يرى الإنسان ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (الأعراف ٢٧)، لكنه يستطيع أن يتشكل بصور مادية من البشر أو من الحيوانات والحشرات ونحوها.

والجن كالإنس من حيث امتلاكهم الحرية في فعل الخير أو الشر وفي الغرائز الذاتية كالشهوة الجنسية، والأنانية كالعجب والغرور وحب التملك والضعف الطبيعي، فكما أن ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (النساء ٢٨) فكذلك ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ (النساء ٧٦) وبناء على تلك الحرية لم يكن الجن صنفًا واحدًا كالملائكة العابدين وإنما كالإنس، منهم الصالحون الأخيار ومنهم الفاسقون الفجار والكفار.

عند بداية خلق الإنس وإيجاد آدم أبي البشرية كان أحد الجن يعيش مع الملائكة بحكم تماثله معهم في الروحية وبحكم تفوقه في العبادة، فلما أمرت الملائكة بالسجود لآدم طاعة لله واستشعارًا لكرامة هذا الكائن الجديد- كان هذا الجني مشمولاً بالأمر مع الملائكة، لكنه أساء التقدير وانفعل بغروره بنفسه وشعوره بالتعالي على هذا المخلوق الجديد الذي سيشاركه عمران العالم الأرضي، فرفض السجود لآدم شاذًا عن الملائكة معلنًا

لو تصورنا أن عنصري الشر غرائز وشيطانا ذهبا من وجوده فصار كائنا مطبوعًا على الفضيلة فقط مسوقا بالملك في مساره لتحول ملكا وانتفت إنسانيته المتمثلة في حريته الاختيارية بين الخير والشر، ولو تصورنا العكس لانتفت أيضا وتحول شيطانا رجيمًا أو على الأقل حيوانًا محصورًا برغباته البهيمية

أن رفضه لهذا الكائن وحربه له سيتواصل مع وجودهما ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ (الحجر ٣٠: ٢١). هذا الجني هو الذي سمي بـ(إبليس) أي اليائس من رحمة الله، وبـ(الشيطان) أي البعيد عن الخير، والمتمرد والعاتي.

منذ ذلك الوقت -رَفْضه السجود لآدم- بدأت بين الشيطان والإنسان علاقة بغض وعداء مستمرين، إذ إنه بعد هذه المعصية التي تَحدد بها مصيره وهو الشقاء الأبدي قرر أن يسوق معه هذا الإنسان نحو مصيره بما يستطيع من قدرات، وطلب من الله أن يُعمِّره إلى نهاية الدنيا، وأعطاه الله ذلك فأعلن عن مشروعه الإفسادي لبني الإنسان ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأنعام ١٦-١٧).

لربما يتساءل متسائل عن مشكلة الإنسان مع الشيطان، فلئن كان الشيطان هو الذي رضي لنفسه هذا المصير، فما الحكمة في تمكين الله للشيطان أن يقوم بمهمته الإضلالية هذه ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص: ٨٢) ليصد بني آدم عن أداء دورهم الاستخلافي الذي خلقوا من أجله وسخرت لهم إمكانات السماء والأرض في سبيله؟

هنا ينبغي أن نفهم المؤثرات المحيطة بالإنسان متكاملة، حيث تتجلى من خلال فاعلية الإنسان الذاتية بين هذه المؤثرات قيمته الإنسانية المتميزة.

الإنسان يملك بصيرة ذاتية - بصفته إنسانًا - هي الفطرة المشتملة على عنصرين:

- عنصر نزعات الخير التي يعرف بها الإنسان خالقه ويشعر فيها بوحدانيته، ويدرك بها الفضائل الخلقية والرذائل مائلاً للأولى نافرًا من الثانية.

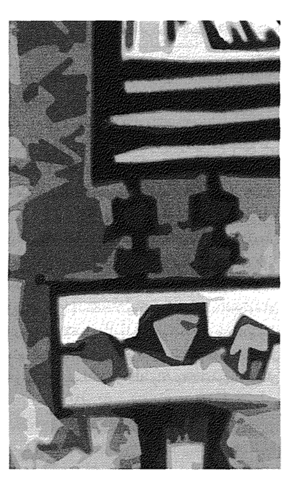
- عنصر الغرائز البشرية المرتبطة بعنصره المادي التي تجنح به نحو الظلم والجهل والأنانية ونحوها.

هذان عنصران متقابلان في الذات الإنسانية.

هناك أيضًا عنصران ملازمان للإنسان متقابلان أيضًا هما:

- عنصر الخير المتمثل بمَلَك ملازم لابن آدم يُقَوِّي نوازع الخير لديه ويؤكد له الحقائق ويغريه بطلبها والأخذ بها.

- عنصر الشر المتمثل بشيطان ملازم أيضًا له يبعث



فيه نوازع الشر والإثم ويحاول تعميته عن الحق.

قال سبحانه ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهًا آخر فألقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ (ص: ٢٣-٢٧). فالأول الملك والثاني الشيطان[٢].

وفي الحديث الشريف «إنّ للشيطان لمة وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق»[٣].

وفي حديث آخر رواه مسلم «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»[٤].

إذًا قيمة إنسانية الإنسان إنما هي نجاحه في ممارسة حريته بين هذه المتعارضات الداخلية: نزعات فطرية وغرائز حيوانية، والخارجية: ملك خير، وشيطان شرير. ولو تصورنا أن عنصري الشر غرائز وشيطانًا ذهبا من وجوده فصار كائنًا مطبوعًا على الفضيلة فقط مسوقًا بالمَلَك في مساره لتحول ملكًا وانتفت إنسانيته المتمثلة في حريته الاختيارية بين الخير والشر، ولو

تصورنا العكس لانتفت أيضًا وتحول شيطانًا رجيمًا أو على الأقل حيوانًا محصورًا برغباته البهيمية.

ما الذي يقوم به الشيطان تجاه الإنسان؟

جهود الشيطان لإفساد حياة الإنسان محدودة بالتزيين والوسوسة والإغراء والتخييل من أجل أن يلتفت إليه هذا الإنسان، وهذه خطوة يمارسها مع جميع بني آدم، وفي ضوء تفاعل الناس مع هذه الخطوة تكون خطواته التالية حيث ينقسم الناس قسمين:

- القسم الأول يرفض عروض الشيطان وإغراءاته ويقاومها، وهنا يتوقف جهد الشيطان نتيجة هذا الإيمان الذي حرر صاحبه من الوقوع في قبضة الشيطان ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (النحل ٩٩)، لكنه لا يزال يواصل هذه الخطوة أي الوسوسة والإغراء طامعًا أن يجد لحظات ضعف يتسلل منها نحو هذا المؤمن الذي يقاوم هذه الوسوسة بالإيمان الراسخ ومواصلة ذكر الله والاستعاذة من الشيطان



الرجيم وملازمة القرآن ومصاحبة المتقين، وهو في هذه المقاومة يمارس جهادًا هو الجهاد الأكبر الذي لا يطيق صور الجهاد العملية إلا من نجح فيه.

على أن ذلك لا يعني أن هذا الصنف المتحرر من سطوة الشيطان (المتقين) أصبح صورة ملائكية ذات عصمة دائمة، كلا إن هؤلاء بشر ومن ثم فالضعف والنقص وعوارض الغفلة لازمة لهم، ومن ثم فقد يسقط هذا التقي الفاضل في المعصية حيث يجتاله الشيطان في لحظة ضعف وسهو، فيلعب لعبته في إغوائه وإيقاعه في الخطيئة، لكن ميزة هذا الصنف أنه فور وقوعه وذهاب غمرة الشهوة يدرك خطورة مسلكه فيتوب إلى ربه ويقطع حبل الشيطان الذي طمع أن يجره فيه لأكثر من ذلك ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الأعراف ٢٠١).

ولهذا لا تمثل الخطيئة (المعصية) مشكلة في الإسلام، إنها شيء طبيعي في الجنس الآدمي ﴿كل بني آدم خطاء﴾[٥]... المشكلة هي في عدم التوبة منها، في مواصلة تجميع الأخطاء حتى تغمر الإنسان فتحجبه عن الله.

- القسم الثاني من الناس هو الذي انخدع بإغراءات إبليس وتأثر بوسوسته وصدق تخيلاته ومن ثم وقع في حقل ألغامه فوضع نفسه تحت سيطرة الشيطان ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (النحل ١٠٠).

وهنا يستغل الشيطان الفرصة فيظل يسوق هذا الإنسان من معصية لأخرى ومن انحراف لانحراف أكبر ويدحرجه من حفرة نحو ما تحتها ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ (الأعراف ٢٠٢)، ولا تقف جهود الشيطان في إضلال الإنسان عند حد، وإنما يقذف به في المهاوي حتى يحوله إلى شيطان، بحيث تختفي عناصر الخير من هذا الإنسان ويصبح واحدًا من أتباع الشيطان يمارس نفس مهماته إضلالا للناس ومحاربة للحق وتدميرًا للفضيلة، ويتواصل مع إبليس وذريته الشياطين للقيام بالمهمات المشتركة الشريرة وصدّ البشرية عن هداية الله التي يحملها أنبياؤه ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾ (الأنعام ١١٢).

قد يكون هؤلاء الشياطين (الإنس) من منتحلي الصفة الدينية أو من المثقفين أو من القادة السياسيين

أو من بائعي وبائعات الهوى والشهوات يغرون الناس بالأماني ويزورون الحقائق. ويسوفون بالتوبة مستقبلاً لمن عرف أنه على خطأ من الناس، وهكذا تسير بهم الحياة حتى يفاجئهم الموت حيث تتكشف الحقائق ولا يمكن الاستدراك، ولا يبقى إلا الخصام بين التابعين والمتبوعين سواء كانوا من شياطين الإنس أو الشيطان نفسه ﴿وبرزوا لله جميعًا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء، قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص، وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾ (إبراهيم ٢١-٢٢).

إن قضية الشيطان قضية شاغلة للناس في كل عصر ومع الانفجار الإعلامي والمعرفي في هذا الزمن تواصلت اهتمامات الناس بهذه القضية من زوايا عديدة : من أبرزها:

عبادة الشيطان:

سبق ذكر أن هناك أممًا منذ القدم تقدس الشيطان وتعبده إما بصفته إلهًا مستقلاً أو لامتلاكه -كما تتصور- قدرات لا مجال للإفلات منها إلا بترضيته، مما جعل الشيطان يتمادى في تخويف هؤلاء الناس وإيهامهم بقواه ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ (الجن ٦). قال المفسرون زاد الجنُّ الإنسَ خوفًا وذعرًا، وزاد الإنسُ الجنَّ طغيانًا وكفرًا[٦].

في أوروبا خرجت خلال القرون الوسيطة الحديثة جماعات عديدة من عبدة الشيطان مثل جماعة (فرسان الهيكل) في القرن الرابع عشر الميلادي في فرنسا، وجمعية (الصليب الوردي) والشعلة البافارية وغيرها.

وفي منتصف القرن العشرين ظهرت جماعة من عبدة الشيطان تزعمها شخص يدعى كراولي ثم اليهودي (انطوني ليفي) وأنشئت لها كنائس باسم (كنائس الشيطان) وبلغ أعضاؤها أكثر من خمسين ألفًا.

وقد كثرت الكتب المتعلقة بعبادة الشيطان مثل (صمت إبليس)، (الطقوس الشيطانية)، (مذكرة الشيطان).. إلخ.

جهود الشيطان لإفساد حياة الإنسان محدودة بالتزيين والوسوسة والإغراء والتخييل من أجل أن يلتفت إليه هذا الإنسان . وهذه خطوة يمارسها مع جميع بني آدم . وفي ضوء تفاعل الناس مع هذه الخطوة تكون خطواته التالية حيث ينقسم الناس قسمين

حتى العالم الإسلامي انساق بعض الشبان فيه نحو هذه العبادة طلبًا للذة ورفضًا للسائد وجهلاً بالدين الحق. وقد كشفت بمصر قبل سنوات خلية من عبدة الشيطان يجتمع فيها مائة وأربعون شخصًا، وقبل أسابيع ذكرت الصحف اكتشاف خلية في دولة البحرين.

من أبرز طقوس عبادة الشيطان في صورتها المعاصرة الرقص على كتب الأديان السماوية، الشذوذ الجنسي الجماعي، العري الكامل داخل أوكارهم. شرب بعضهم دم بعض، أحيانًا قتل الأطفال بحجة أنه وسيلة استحضار الشيطان، ومن وصاياهم! انغمسْ في اللذة، اتبعْ الشيطان، لا تتورط في الحب. انتزع حقوقك من الآخرين، لا تحب جارك..

تحضير الأرواح:

من التقليعات الرائجة في عصرنا ما يدعى بـ(استحضار أو تحضير الأرواح) الذي له مراكزه الكثيرة وجمعياته ومجلاته ومحضروه، وقد استخف مروجوه عقول كثير من الناس في هذا العصر المادي الجاف الذي يتلفت إنسانه نحو أي بارقة روحية يشعر معها بالدفء والتسامي ولو للحظات عن حمأة هذه المادية، وقد سرت هذه التقليعة من الغرب إلى المسلمين وأقيمت له جمعيات وأصدرت مجلات وترجمت كتب[٧]....

خلاصة هذه التقليعة دعوى بأن أناسًا لديهم قدرات ويستطيعون بوسائل معينة استدعاء أرواح الموتى لتلتقي بالأحياء من محبيها وتتحدث إليهم عبر وسائط بشرية.

وقد اهتم بعض العلماء المسلمين والمفكرين بهذه التقليعة ودرسوها عن قرب، حيث حضروا أعمالاً

تحضيرية بما كشف لهم عن الخداع والتمويه الذي يمارسونه على ضحاياهم والاستخدامات الشيطانية، ومن هؤلاء محمد محمد حسين، صاحب كتاب (الروحية الحديثة دعوة هدامة) وعز الدين البيانوني الذي توصل إلى أن هؤلاء يتعاملون مع الشياطين الذي يتمثلون بصور الناس ويقلدون أصواتهم، وقد ذكر تجاربه في سلسلة العقائد التي ألفها (رقم٣).

والحقيقة أنه ليس غريبًا على غير المسلم بحكم افتقاده للحقائق اليقينية عن تلك العوالم الغيبية أن يتخبط بشأنها، وأن يستخفه الدجالون بنسج التصورات عن تلك العوالم وإطلاق الدعاوى بالتعامل مع الموجودات الغيبية، أو بالحكم بعدم وجودها تمامًا أحيانًا.. إلخ.

إن الغريب هو أن يقع المسلم الذي يملك الحقائق اليقينية عن الملائكة والجن والشياطين وقدراتهم ووظائفهم من خلال الوحي الصريح في هذا المجال في اضطراب بشأنها نتيجة تقليد الآخرين ممن يدرك – هو – بداهة أنهم لا عماد لهم في تلك التصورات أو الأوهام التخيلية لهذه الغيبيات، لقد وصل الأمر ببعض المفكرين المسلمين في وقت ما إلى إنكار تلك الغيبيات وتفسير الملائكة والشياطين بأنها نزعات الخير والشر في الإنسان، وأن الجن الذين حضروا للرسول صلى الله عليه وسلم قبيلة من العرب الإنس اسمهم الجن انسياقًا مع موجة الوضعية المادية التي تنكر كل ما

من أبرز طقوس عبادة الشيطان في صورتها المعاصرة الرقص على كتب الأديان السماوية، الشذوذ الجنسي الجماعي، العري الكامل داخل أوكارهم، شرب بعضهم دم بعض، أحيانًا قتل الأطفال بحجة أنه وسيلة استحضار الشيطان

يتجاوز الظواهر الحسية، ثم ارتمى بعضهم بعد ذلك في أحضان الروحية التي تدعي تواصلها مع الموجودات الغيبية، وهذا بلا مراء استخذاء لضغط العصر دون تمكن علمي إيماني في الدين.

- السحر والشعوذة والكهانة:

ونحوها من الأعمال التي يمارسها أناس من خلال اتصالهم بالشياطين والتعاون معهم على كشف بعض المخبآت أو علاج بعض الأمراض، أو التنبؤ بالمستقبل لبعض الناس، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من السقوط في أحابيل هؤلاء الاشرار حتى لا ينجرف المسلم نحو الكفر وهو لا يشعر، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[٨].

- مس الشيطان:

يصاب بعض الناس بخلل في قواه الفكرية أو النفسية فيقال: إن فيه مسًا من الجن، أو تلبسًا؛ أي أن الجن قد تسلطوا على قواه العقلية أو النفسية فلم يعد يتحكم بها.

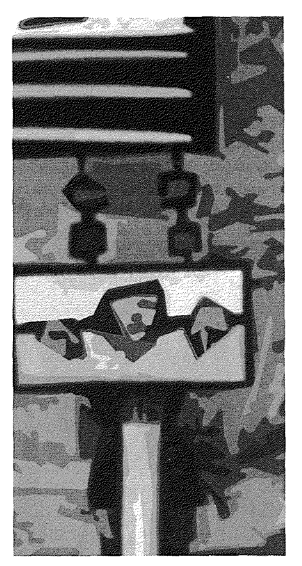
وهذا حق أثبته القرآن الكريم في قوله سبحانه ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ (البقرة ٢٧٥).

لكن ذلك لا يعني أن كل اضطراب عقلي أو نفسي لدى إنسان هو تلبس شيطاني، إذ قد يكون مرضًا نفسيًا ذاتيًا أو خللاً عصبيًا لا شأن للجن به.

هناك ما هو أكثر من ذلك في المس الشيطاني، تتجاوز الحالة العارضة لاعتداء الشيطان على الإنسان إلى حالة تلبس كامل يحتل فيها الجني جسد الإنسان الممسوس تمامًا، فهو الذي يتحدث ويتلقى ممن حوله مع تغييب شبه كامل للممسوس، هذه الحالة يؤكد حقيقتها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، وتتأكد لدى عموم الناس من خلال الوقائع اليومية لذلك، لكن بعض العلماء استنكروها لمجرد استبعاد حصولها كالشيخ الطنطاوي الذي حصلت بينه وبين الشيخ ابن باز – رحمهما الله – مساجلات في ذلك قبل وفاتهما[٩].

مشاركة الشيطان للناس في بعض أحوالهم:

تداول الناس قبل بضع سنوات حكاية المسرح الغنائي في أمريكا الذي كان صاخبًا في تلك الليلة، وكان المغنون والجمهور في حالة رقص وانفعال تحت الأنوار المتقافزة



الملونة، وكيف أنهم في تلك الحالة شاهدوا عناصر غريبة تشاركهم الرقص والعربدة، وفسروها بأنها أشباح متميزة عنهم، وقد ذُكرت على إثرها نماذج أخرى.

وجاء التساؤل هل تشارك الشياطين في مثل ذلك:

والجواب نعم، ومثل هذا المسرح من مواطنها فهي مشاركة فيه سواء بدعمها وإثارتها، أو حتى بتشكلاتها المادية أحيانًا، والله يقول ﴿قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ (الشعراء ٢٢١-٢٢٢).

وقد ثبت أن الشيطان شارك قريشًا في مسيرهم إلى بدر لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلًا بصورة أحد العرب[١٠].

التصورات الخرافية عن الشيطان:

قبل أيام شاهدت على إحدى الفضائيات العربية متحدثًا عن قضايا إيمانية وقال في توصيفه للشيطان: إن عيونه مرتكزة طولًا في جبهته. وإن أصابع يديه متساوية وإن كل ظفر من أظفاره مشقوق إلى نصفين وإن له تاجًا أبيض مضيئًا كالقمر...إلخ.

إن الشيطان من الجن، فهو كائن غير مادي وتشكلاته التي يظهر بها للناس استثناءً لا تعكس حقيقة ثابتة له. فلا مجال لتحديد تفاصيل خلقية له.

وما جاء في القرآن والسنة عنه من أوصاف إنما هو تقبيح لصورته بنقلها من القبح المعنوي: كفره وإفساده إلى القبح المتخيل في أشكال حسية كما في قوله تعالى عن شجرة الجحيم ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ (الصافات ٦٥)، والعرب لم يروا رؤوس الشياطين لكن الصورة المتخيلة عندهم لذلك صورة بشعة، كما وصف أحد الشعراء رماحًا بأنها كأنياب أغوال، والعرب لم يروا هذه الأنياب لكنها صورة افتراضية لديهم.

وقد قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم عن الشمس ﴿إنها تطلع بين قرني شيطان﴾[١١] إنه تمثيل وتشبيه، والمقصود أن الشيطان ينتصب مع الشمس حين طلوعها وغروبها حتى يكون سجود عباد الشمس له[١٢] ■

هوامش

(١) إبليس في التحليل النفسي سيجموند فرويد ترجمة جورج طرابيشي ٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٩١/١٣ ط ١٤٢٢هـ.

(٣) أخرجه الترمذي والطبري وابن حبان في صحيحه. انظر جامع الأصول ٥٨/٢.

(٤) أخرجه مسلم في صفات المنافقين.

(٥) أخرجه الترمذي والدارمي وابن ماجة - جامع الأصول ٥٨/٢.

(٦) انظر تفسير الشوكاني فتح القدير ٣٨/٥.

(٧) من ذلك جمعية الأهرام الروحية، ومجلة عالم الروح التي كان يصدرها فهمي أبو الخير كما ذكر محمد محمد حسين.

(٨) أخرجه مسلم في السلام باب تحريم الكهانة وإثبات الكهان.

(٩) انظر حكم السحر والكهانة – ابن باز.

(١٠) تبدى لهم بصورة أحد أشراف بني كنانة وهو سراقة بن مالك المدلجي انظر سيرة ابن هشام ٢٢٤/٢.

(١١) رواه مسلم وأبو داوود وغيرهما، انظر جامع الأصول ٢١٧/٥.

(١٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٦٠/٢.



بين الدين والفلسفة ..

الشيطان ومشكلة الشر في العالم..

محمد عثمان الخشت* - القاهرة

* أستاذ فلسفة الدين والمذاهب العصرية - جامعة القاهرة .

لا يزال ملف عالم الشيطان بغرائبه وقصصه الأسطورية مفتوحًا منذ اللحظات الأولى لخلق الإنسان. ورغم ظهور الدين الحق وتقدم العلم وتطور الفكر الفلسفي، فإن الإنسان لا يزال متخبطا على مدى التاريخ، وإلى اللحظة الحاضرة، في فهم عالم الشيطان المثير، وفي كيفية التعامل معه! وبين مؤيد ومعارض، يستمر الخلاف والجدال، وتبقى الحيرة مستمرة، ويزداد التردد، ولا يتوقف الضلال، ويظل البحث مفتوحًا في قضية ظلت تؤرق كثيرًا من الناس كما تؤرق كل من يبحث عن الحقيقة، رغم كل ما في الإسلام من حقائق نهائية تنطوي على قوة منطق، وأدلة واقعية، تتفق مع تجارب العقلاء في كل زمان ومكان.

ومثلما اختلف الناس حول الشيطان اختلفوا أيضًا حول مشكلة الشر، واستعصى على الجميع فهم المقاصد الإلهية إلا من آمن برسالة السماء. وتنوعت مواقف الفلاسفة من مشكلة الشر في العالم تبعًا لمواقفهم العامة من الدين وطبيعة رؤيتهم الأنطولوجية للعالم. كما تنوعت مواقف الأديان من الشيطان والشر تبعًا لمواقفها العامة من الألوهية وطبيعة رؤيتها للعالم والحياة؛ فهناك من الأديان الوضعية من تفسر وجود الشر في العالم عن طريق الاعتقاد في وجود إله للشر، أو أصل منفصل له في الوجود (أصل قديم لم يخلقه الله، مثل المادة أو الظلام) أو كائن كوني أسطوري مثل الأفعى أو التنين، يدخل في صراع مع إله الخير، مثل: الفيدية، والهندوسية، والمجوسية، والزرادشتية بعد تحريفها، والمانوية.

وهناك من الأديان من يفسر وجود الشر في العالم عن طريق الاعتقاد في وجود شيطان أو شياطين، مثل: اليهودية والمسيحية والإسلام. مع اختلاف بينهم في طبيعة دور الشيطان، وكيفية التغلب عليه، فضلاً عن وجود عناصر أخرى غير الشيطان لتفسير الشر في الإسلام؛ ذلك الدين الذي استطاع أن يتخلص من أساطير القدماء ومن أوهام البشر ومن مغالطات بعض الفلاسفة المتأثرين بالديانات الوضعية أو المحرفة. ورغم أن الشيطان مسؤول عن جزء من الشر في العالم، فإن الإنسان -عندما يضل الطريق- يتحمل جزءًا آخر.

وفي إطار رؤية ديالكتيكية للشر بين الدين والفلسفة، سوف نحاول تحديد طبيعة الرؤية الدينية للشر في العالم متبعين المنهج النقدي المقارن، كاشفين النقاب عن بنية التصور الديني للشيطان ودوره في إحداث الشر في العالم. وفي هذا السياق سوف نستحضر بعض التصورات الفلسفية المتأثرة بالدين أو المضادة له.

الشيطان إلهًا

إذا بدأنا بأهم ديانات المصريين القدماء نجد أن «ست» إله الشر والانتقام والدمار، أفضل من يمثل الشيطان في الديانة المصرية القديمة. ومع ذلك فقد عبده قدماء المصريين من قبيل الخوف لا المحبة. وكان «ست» هو المعبود القومي للصعيد، وعاصمته أمبوس، وكان حيوانه المقدس كلبًا بريًا، وكان رمزه القوة والبأس والعواصف والرعود.

ويقف ست على نقيض أخيه أوزوريس إله الخير والمحبة، وتروى تواريخ الأساطير المصرية أنه تآمر على قتل أوزوريس ليستولي على عرشه، ولكن إيزيس زوجة أوزوريس كانت ساحرة كبرى، نجحت في أن تلقح نفسها من أوزوريس الميت، ثم أنجبت حورس الذي حارب عمه «ست» وانتصر عليه، واسترد العرش السليب. واللافت للنظر بعيدًا عن الموضوع أن المصريين الآن يطلقون في اللغة العامية كلمة «ست» على أي امرأة!

التغيير الشيطاني المخادع وخلخلة نظام الكون

اتخذ الشر شكلاً آخر في الديانة الفيدية الهندية أقدم الديانات الوضعية في العالم، وهي تعبر عن قوى الشر في العالم بمصطلح «مايا Maya»، وهو مشتق من الجذر may بمعنى غيرَّ وفي «الريج فيدا» تعنى مايا: التغيير المدمر أو المنكر المنافي للغير، والتغيير الشيطاني والمخادع الذي يؤدي إلى خلخلة نظام الكون،

وأيضًا فساد الفساد.

لكن نجد في الفيدية بجوار المايات السيئة مايات خيرة. أما المايات الخيرة فهي على نوعين:

- مايات المعركة: التي يستخدمها اندرا عندما يحارب الكائنات الشيطانية.

- المايات الخالقة: وهي متميزة عن الآلهة العليا، وفي الدرجة الأولى عن فارونا.

ويمكن اعتبار هذه المايا الكونية كمعادلة لريتا. والريتا هي النظام الكوني الشامل في الديانة الفيدية، وتمثل الطبيعة الحق التي تنظم الأشياء، فهي القانون الأبدي الذي ينظم العالم. وهكذا نرى أن المايا تتعلق- كما يشير مرسيا إياد[1] بمفهوم مختلط، بل متناقض، فالمايا ليس مجرد فساد شيطاني للنظام الكوني، وإنما عملية إبداعية إلهية أيضًا. وفيما بعد فإن الكون ذاته سيصبح، بالنسبة للفيدانتا، تحولاً وهميًا ونظامًا من التغيرات مجردًا عن الحقيقة.

وفي الديانة الهندوسية أصبحت المايا تدل على «الوهم»، فالعالم المادي وهم؛ لأن الهندوسية تنظر إلى العالم المحسوس على أنه الشر بعينه الذي يجب تحرر الروح منه. ومن هنا فالمادة في الهندوسية شر، فالمادة هي «مايا».أي وهم وخداع وباطل.

وإذا عدنا للمايا الشريرة في الفيدية نجد أنها تتعلق بالحيل والسحر، وبخاصة أنواع السحر المتعلق بالتحول لنموذج شيطاني، مثل تلك التي للتنين الجبار فريترا Vritra أو الأفعى الكونية التي هي «ماين Mayin» أي الساحرة.

ومايا التي من هذا النوع تفسد النظام الكوني، فمثلاً تعيق مسير الشمس وتحبس المياه. وفريترا هي الخصم اللدود للنظام الكوني، ودخلت هي وأعوانها من قوى الشر في صراع مع الإله إندرا عند بدء الخليقة. وقد كاد الشر أن يهزم الخير، حيث خاف إندرا في البداية عندما رأى فريترا، وأسرع بالهرب، لكنه عاد وتغلب عليها بقتلها.وأطلق المياه الحبيسة.فقد كان من الضروري مواجهة وقتل هذا الكائن الشرير:حتى يمكن للوجود والكائنات أن تتولد وتنشأ بواسطة إندرا. وقام إندرا بعد ذلك بقسمة الوجود إلى عالمين:عالم علوي،وعالم سفلي،وأجبر القوى الشريرة على الانعزال في العالم السفلي،هذا العالم الذي لا يوجد فيه نظام ولا قانون ولا نور؛ فهو عالم الاضطراب والفوضى والظلام.

ونجد هذه الرؤية للشر في عديد من أساطير الديانات القديمة.إذ يوجد:«خط مميز وشائع في كل هذه الأساطير، هو الخوف أو خيبة أولى للبطل،...»[2]. لكن يعقب ذلك انتصار الإله أو البطل.

وفي فارس اتخذ الشر شكلاً إلهيًا أيضًا. ففي ديانة زرادشت(٦٦٠- ٥٨٣ ق. م) المحرفة (الأصلية توحيدية وليست ثنائية كما تدل ترانيم زرادشت)، إيمان بنوع من ثنائية الإلهي: الأول باسم أهورامزدا، وهو الإله المضيء والظاهر في ذاته. ونقيضه هو أهريمان، أي الظلام، وهو نجس في ذاته. فمملكة النور لا تستقل وحدها بالعالم، وإنما تقف على النقيض منها مملكة الظلام، وعلى رأسها أهريمان. وينتمي إليها الشر الروحي والطبيعي، وكل ما هو هدام وسلبي. غير أنه غير مسموح لأهريمان إله الشر أن يوسع نفوذه ويبسط سلطانه، حيث إن العالم في مجموعه يسعى إلى تدمير مملكة الظلام وإزالتها نهائيًا، وتأمين حضور أهورامزدا وسيطرته على كل مناحي الحياة.

ووفق هذا التصور لطبيعة الإلهي، تأتى العبادة في الزرادشتية، حيث ينبغى على الإنسان أن يكرس حياته كلها من أجل مملكة النور، فيعمل على تطهير جسمه وروحه، وإشاعة الخير حوله، وأن يتعبد بالقول والفكر لأهورامزدا وكل ما هو منبثق عنه، ومحاربة أهريمان وكل نشاط منبثق عنه. أي أن المجوسي لا يوجه صلواته فقط إلى أهورامزدا، وإنما كذلك إلى جميع ما انبثق عنه تبعًا لدرجته ومقامه من الطهارة والصلاح.

رغم دخول الغرب في عصر الحداثة والعقلانية، بعثت عبادة الشيطان من جديد. وتدور عقائد عبدة الشيطان عامة في العصر الحديث على أن الشيطان يمثل الوجود الحيوي والروحانية الحقيقية والفكر الذكي، في مقابل الأمل الكاذب الوهمي!

فبعد الصلاة إلى أهورامزدا يصلي المجوسي إلى «الأمسشسباندات» وهي الانبثاقات الأولى لأهورامزدا والأكثر سطوعًا وتجليًا، والتي تحيط بعرشه، وتساعده في حكم العالم.

وتستهدف الصلاة التي توجه إلى تلك الأرواح السماوية، خواصها ومهامها بالتحديد، فإذا كانت من الكواكب، فإن الصلاة توجه إليها في زمن ظهورها، وترتفع الابتهالات إلى الشمس نهارًا، وتختلف طبيعة الابتهالات تبعًا لحالة الشمس، من شروق إلى تعامد إلى غروب. ويصلي المجوسي في فترة الضحى لأهورامزدا في المقام الأول حتى يزيد من سطوعه وتجليه، وعندما يأتي المساء يصلى توسلا لأهورامزدا من أجل أن تتم الشمس مسارها. وعندما جاء الإسلام نهى عن الصلاة في تلك الأوقات درءًا للتشبه بالمجوس وحرّصا على التفرد.



وكانت الديانة الميثرائية نوعًا من الديانة الزروانية الفارسية التي كان يعبد فيها كل من ميثرا إله الشمس، وانكراماينـدو إلـه الشر. وكان أتباعها يمارسون شعائر وتعازيم خاصة لتجنيد الشياطين في خدمتهم واستخدامهم ضد أعدائهم أملاً في القضاء عليهم. لكن كان بها فرع يقوم على عبادة إله الشر أو الشيطان فقط وممارسة السحر والجحود والإباحيات. وكانت الميثرائية كديانة للجيش الفارسي تنتشر في الأقطار التي تصلها الجيوش الزروانية. إلا أنها واجهت الضربة القاضية من الديانة المسيحية في القرن الرابع بعد الميلاد.

والشيطان لا وجود له في أساطير اليونان، لكن توجد أرواح شريرة تسمى (Alastores) وهي تحاول دائمًا أن تزين الضلال للناس ليسلكوا طريق الشر.

أما الغنوصية في القرن الأول للميلاد المعرفة فقد أدخلت كثيرًا من السحر والشعوذة في تعاليمها، وقالت بإمكانية السيطرة على القوى الخفية كالشياطين وغيرهم. وتأثرت في مراحلها المتأخرة بالديانة الثنوية، حيث اعتبرت الشيطان مساويًا لله في القوة والسلطان! وهذا ما تأثرت به المسيحية كما سنرى فيما بعد.

عبادة الشيطان في التاريخ الإسلامي

تنسب عبادة الشيطان في التاريخ الإسلامي إلى اليزيدية التي نشأت بعد انهيار الدولة الأموية، ويقطن أكثر أتباعها الشمال الشرقي من الموصل، وبغداد، ودمشق، وحلب، ومنهم طوائف في إيران وأوران الروسية. وتقوى الشكوك حول هذه الطائفة عند التدقيق العلمي، لأن أغلب الدراسات الشائعة تقول بعبادتهم للشيطان، بينما ثمة دراسات حديثة لا سيما من أبناء هذه الطائفة تنفي هذا. والرؤية التقليدية هي أن اليزيدية تدين بعبادة الشيطان بسبب تأثرها بالعقيدة الزرادشتية، فهم بقية عبدة أهريمان، وقيل لأنهم يعتقدون أن الشيطان تاب والله قبل توبته، فرجع يتعبد مع الملائكة. والذي أسسها حسب هذه الرؤية هو عدي بن مسافر المتوفى حوالي سنة ١١٥٤ م الذي قال بتحريم لعن الشيطان. وهناك من يرى أن اليزيدية أخذت هذه التسمية من تأليههم ليزيد بن معاوية. ويعتقد آخرون بأنها ظهرت في العصر العباسي من مجموعة أحاديث كبار متصوفي بغداد. ولهم كتابان مقدسان أحدهما يسمى «الجلوة» وفيه خطاب الإله إلى

اليزيديين خاصة ويشتمل على عقيدة تناسخ الأرواح، ويؤكد أن الكتب السماوية بدلت وحرفت. أما الكتاب الثاني فيسمى «مصحف رش» أي الكتاب الأسود، وفيه الشرائع التي أنزلت إليهم. ومنها الإباحية، وشرب الخمر، وارتكاب الفواحش.

لكن يدافع د. ميرزا حسن دنايي عنها ويرى أنها بريئة من عبادة الشيطان، وتؤمن بالله الواحد الأحد ولا تقبل له شريكًا، وطاووس ملك هو اسم من أسماء الله. وظهر هذا الاتهام ضدها في العهد العثماني عام ١٧٩١ حينما اصدر أحد الأئمة وبتحريك من سليمان باشا فتوى تحرض على قتل اليزيدية، لغايات سياسية بحتة من أجل الاستيلاء على أملاكهم وعقاراتهم وسبي نسائهم. والله حسب اليزيدية هو الذي خلق نفسه، ومن ثم خلق كل شيء بما فيه الخير والشر. واليزيديون يحرمون الأعمال الشريرة والتعدي على الغير، ويقدمون جل احترامهم- حسب قول ميرزا- لأتباع كافة الديانات الأخرى ولكل الأنبياء والرسل



والكتب والتعاليم المقدسة. بل يزعم ميرزا أنهم لا يؤمنون بوجود الشيطان أو ملاك الشر، حيث إن الملائكة السبعة في اللاهوت اليزيدي خيرة كلها وتدير أمور الدنيا بأمر من الله تعالى[٣].

ومن وجهة نظري يبدو أن الطائفة اليزيدية تقلبت في أطوار مختلفة على مر القرون، فدخلتها عناصر غنوصية ويهودية ونصرانية وفارسية، كما تأثرت بالإسلام، وتوالى عليها التحريف والنقص والتبديل حتى اليوم. ويبدو أن رأي د.ميرزا يدور حولها في مرحلتها الأخيرة تحت التأثير الإسلامي. لكنه لا يذكر ذلك.

عودة إله الشر في العصور الوسطى الأوروبية

رغم عدم وجود كيان شيطاني قوي عند اليونان فقد نشأ الإيمان بإله الشر في الغرب عند بعض الفرق المسيحية تحت تأثير الديانة الزروانية الفارسية وبعض نصوص العهد الجديد المتأثرة بالثنوية. وأبرز فرقه «البوجمولية» المنشقة عن المسيحية في آسيا الوسطى والبلقان. وتؤمن بإله شرير وإله خير، وأنزلت إله الشر«ساتانيل» منزلة رفيعة، واعتبرته الابن الأول المتمرد على الإله الآب، وآمنت بأن إله الشر خلق العالم وآدم من أجل احتباس الروح في المادة. وأرسل الله الآب ابنه الثاني المسيح من أجل إنقاذ العالم. وتم إعدام مؤسسها سنة ١١١٨م.

وفي القرن ١١ نشأت فرقة أخرى هي «الألبجنسية» بجنوب فرنسا، تعتبر أن الأرواح خلقت من مبدأ خير، بينما المادة خلقت بواسطة مبدأ الشر الأزلي. وتعتقد أن الله لم يخلق هذا العالم المادي، بل هو من خلق الشيطان. وهي منشقة عن المسيحية، وتعتبر أن المسيح ملاك وجسده وهم أو شبح. وهي ليست إباحية، وتحرم الفواحش، وتدعو إلى العمل، وتنكر البابوية الكاثوليكية وتعتبرها دجلاً.

وثمة فرقة أخرى منشقة عن المسيحية ظهرت في ألمانيا في القرن ١٢ ، هي «الكاثارية»، وتقوم عقيدتها على احتقار الحياة والمادة لأنهما من صنع إله الشر الذي سجن الروح في المادة، ولهذا الإله النفوذ والسيطرة على الأرض. ولذا أرسل الإله الأكبر المسيح إله الخير ليعلم البشرية طريقة النجاة! وفي عام ١٢٠٨م شن عليهم البابا أنوسينت الثالث حربًا دامت عشرين عامًا، تلا ذلك ظهور محاكم التفتيش فتم القضاء عليهم في

القرن الرابع عشر.

ولم تعبد هذه الفرق إله الشر على عكس ما هو شائع، لكن من جهة أخرى ظهرت عبادة الشيطان في الغرب في القرون الوسطى، وتدور حول الاعتقاد بأن الشيطان إله الأرض، والله إله السماء، وهما متكافئان في القوة، ويتصارعان صراعًا قويًا، ويتساجلان النصر والهزيمة، ولذا فالعالم محل نزاع بين القوى السفلى الممثلة للشر والقوى العليا الممثلة للخير. وتكشف الحالة الحاضرة للصراع عن انتصار الشيطان؛ حيث تبدو واضحة سيادة الشيطان على العالم الأرضي، لذا يرون من الضروري التقرب من الشيطان واتباع أوامره خوفًا من شروره! وقد مارس عبدة الشيطان طقوسهم بعيدًا عن الأعين في الجبال والغابات والأودية، في حفلات جنسية إباحية وتضحيتهم بالبشر وخاصة الأطفال وأكل لحومهم. وسبوا المسيح وحوارييه والقديسين، ودعوا إلى الانتقام من البابا والملوك المسيحيين وتدنيس كل ما هو مقدس. ويزعم بعضهم أن الشيطان يزورهم في صورة امرأة.

وقد وصلتنا وثيقة من عام ١٠٢٢م في أورلنس بفرنسا، أشارت إلى أنه حوكم عدد من الأفراد لاشتراكهم في عبادة الشيطان. كما ظهرت فرق مشابهة في إنجلترا والنمسا تبتهل للشيطان. وقد اكتشفت الكنيسة هذه الفرق، وقامت بحرق مجموعة من أتباعها وقتلت زعيمها ما بين عام ١٣١٠م وعام ١٣٣٥م . ولكن الحرق والقتل لم يقض على عقائدهم الشيطانية، إذ ظهرت بمدينة «تولوز» جماعة تدعو لنفس العقائد، لاسيما التضحية بالأطفال، وقد خطفت مئات الأطفال لهذا الغرض بين عامي ١٤٣٢-١٤٤٠م.

وثمة إشارات في المراجع المختلفة تصنف فرسان الهيكل وجمعية الصليب الوردي في القرون الوسطى مع عبدة الشيطان وتنسب لهم كثيرًا من المعتقدات المذكورة أعلاه. وظهر في القرن السابع عشر فرق مشابهة مثل «ياكين»، والشعلة البافارية، والشعلة الفرنسية، وأخوة آسيا، وكلها ذات طقوس ومفاهيم تؤله الشيطان.

الأديان الكتابية: نمط آخر لرؤية الشر في العالم

هناك نمط آخر في اليهودية والمسيحية لرؤية الشر في العالم، وهو النمط الذي يعد الشيطان هو الأساس في وجود الشر في العالم، لكن هذا الشيطان

تبقى الكلمة الأخيرة للدين المهيمن الذي استطاع تحرير المؤمنين به من أوهام الوجدان، وخيالات النفس، وضلالات العقل، وخرافات الديانات الوضعية. تبقى الكلمة الأخيرة للإسلام

ليس كائنًا قديمًا أزليًا، ولكنه مخلوق، كان في البدء خيرًا، ثم تمرد على الأمر الإلهي وتحول كائنًا شريرًا يسعى لغواية البشرية.

إن الكتاب المقدس في رؤيته للعالم لا يستطيع أن يحقق اتساقًا داخليًا في نسق عقائده دون افتراض شيطان ماكر يلعب دورًا رئيسًا منذ بداية التاريخ البشرى في محاولة إضلال بنى الإنسان. ولذا فإن اليهودية والمسيحية من النمط الذي يرد الشر إلى الشيطان المتمرد. يقول الأب كزافييه ليون دوفور اليسوعي:«إن الكتاب المقدس، تارة تحت اسم «الشيطان» (بالعبرية Satan = المقاوم)، وتارة تحت اسم «إبليس» (باليونانية diabolos= المشتكى زورًا) يشير إلى كائن شخصي غير مرئي في حد ذاته، ولكنه يظهر بعمله أو بتأثيره إما من خلال نشاط كائنات أخرى (شياطين أو أرواح نجسة) وإما من خلال التجربة. وعلى كل، فإن الكتاب يبدو في هذا الشأن، خلافًا للحال في فترة اليهودية المتأخرة، وفي غالبية آداب الشرق القديم، على جانب من الإيجاز الشديد، قاصرًا على إرشادنا عن وجود هذا الكائن وعن حيله، وعلى إرشادنا عن وسائل الحماية منها»[٤].

ففي اليهودية الوضعية[٥] نجد معنى الشيطان هو الخصم، وهو لفظ مأخوذ من فعل عبري معناه «يكمن»، «يقاوم»، فهو أكبر عدو لله وللناس، وتتضح المطابقة بين «إبليس» و«الشيطان» من (رؤ ١٢ : ٩ ، ٢٠ : ٢). وتستخدم الإشارات إلى الشيطان في العهد القديم الكلمة بدون «الـ»التعريف بمعنى «عدو»، وهكذا ترجمت في (١ صم ٢٩ : ٤) عن داود كعدو محتمل في المعركة، وفي (١ مل ١٤:١١ و٢٣ و٢٤ و٢٥) ترجمت خصمًا. وفي

سفر العدد (٢٢ : ٢٢) ترجمت «يقاوم». واستخدمت بلفظها للدلالة على خصم بشري . أما بأداة التعريف «أل» فيصبح اسم علم للدلالة على «الشيطان» بالذات ، وهو ما نجده مثلاً في أيوب (١، ٢)، زكريا (٣ : ١، ٢). إذ واضح أن الإشارة هنا إلى كائن غير بشري . وفي (١ أخ ٢١ : ١) ترد الكلمة بدون «أل» التعريف ولكن واضح أيضًا أن المقصود بها هو الشيطان نفسه (انظر ٢ صم ٢٤ : ١).

ويقول البعض إن صورة الشيطان في العهد القديم لا يبدو منها أنه كائن شرير أساسًا بل يبدو كائنًا ملائكيًا، عمله أن يمتحن الناس. ولا شك أن الصورة الكاملة للشيطان لا تتضح تمامًا في الإشارات القليلة إليه في العهد القديم. ولكن من الواضح أيضًا أن اللمحات المسجلة عن نشاطه تكشف عن أنه يعمل لمقاومة كل خير للإنسان. فنرى في أيوب (١، ٢) بكل جلاء طبيعته الخبيثة. كما أنه هو الذي أغوى داود ليعد إسرائيل فيجلب السخط عليه. كما انتهره الرب من أجل شكواه ضد الكاهن يهوشع. ولا تذكر كلمة شيطان في أسفار «الأبوكريفا» إلا في يشـوع بن سيراخ (٢١ :). أما حكمة سليمان (٢ : ٢٤) فتذكر كلمة «ديابولس».

وفي سفر أشعياء النبى يتم تصوير الشيطان على متكبر أراد أن يصير مثل العلي، جاء في سفر أشعياء النبى «كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسيًا فوق كواكب الله، أصير مثل العلي.. لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب» (أش ١٤:١٢-١٥).

ورغم أن ماهية الشيطان في المسيحية التاريخية أكثر وضوحًا من الديانة اليهودية التاريخية: فإنها تأثرت بالأديان الوضعية في تصورها للشيطان؛ حيث اعتبرته أمير الظلام، مثل إله الظلام في الزرادشتية المحرفة والزروانية وغيرهما من الديانات الثنوية، وهو رئيس هذا العالم، جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح١٢: ٣١:«الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا». والعالم الذي يحكمه هو النظام العالمي الحالي القائم على مبادئ إبليس وأساليبه وأهدافه (٢ كو ٤ : ٣ و ٤ ، أف ٢ : ٢ ، كو ١ : ١٣ ، ١ يو ٢ : ١٥ - ١٧). فالحقد والجشع والطمع والأنانية والمكر والكراهية إلخ، من عمل الشيطان ، «الروح الذي يعمل في أبناء المعصية» (أف ٢:٢). وعبارة «العالم كله وضع في الشرير» (١ يو ٥ : ١٩). ومن أسمائه التي تكشف عن ماهيته في العقيدة المسيحية «المضل لكل العالم»(رؤ ١٢ :) و«التنين العظيم» (رؤ ١٢: ٩)، و«العدو» (مت ١٣:٢٨ و٣٩)، و«الشرير» (مت ١٣: ١٩ ٣٨)، و«أبو الكذاب» (يو ٨ : ٤٤)، و«الكذاب» (يو ٨ :٤٤)، و«القتَّال» (يو ٤٤ : ٨)، و«الحية القديمة» (رؤ ١٢: ٩)، و «المجرب» (مت ٤ : ٣ ، ١ تس ٣ : ٥)[٦].

وهو إله الدهر ففي رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح٤:« ولكن إن كان إنجيلنا مكتومًا فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين». وبيده مقاليد الريح والهواء، جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح٢ :«حسب رئيس سلطان الهواء والروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية».

التصور الفلسفي للشيطان في العصر الحديث

هناك من الفلاسفة من نظر للشر نظرة مختلفة عن النظرة المسيحية،مثل كنت. لكن كان للتصور المسيحي للشيطان باعتباره منبع الشر تأثير على بعض الفلاسفة المحدثين الآخرين، مثل ديكارت. في حين أن هيجل يؤكد أن الوقوع في الشر والانشقاق، ثم يقظة الوعي تنبع من طبيعة الإنسان ذاتها، وهو في ذلك يختلف عما ترويه قصة السقوط في الكتاب المقدس عندما نسبت تخلي الإنسان عن وحدته الطبيعية إلى غواية خارجية هي الشيطان المختفي في شكل الحية. لكن هيجل يقبل العقيدة المسيحية عن الخطيئة الأصلية!

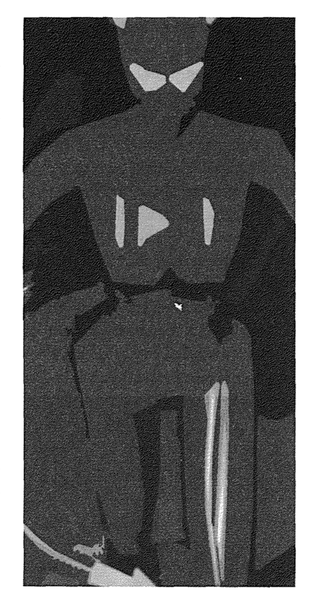
وإذا ما بدأنا حسب الترتيب التاريخي نجد ديكارت شك في كل شيء، بما في ذلك وجود نفسه ووجود العالم الخارجي، افترض وجود الشيطان باعتباره كائنًا شخصيًا غير مرئي في حد ذاته، ولكنه

الشر موجود من أجل إمكان الحرية الإنسانية ؛ لأنه يمتنع القول إن الإنسان حر إذا كان مجبولا على الخير فقط . ولا يكتسب فعل الخير ميزته إلا إذا كان فعل الشر ممكن الحدوث

تتواصل وتتسق في بنيتها المنهجية الداخلية دون افتراض وجود هذا الشيطان الماكر. يقول ديكارت: «سأفترض، لا أن الله - وهو أرحم الراحمين وهو المصدر الأعلى للحقيقة - بل إن شيطانًا خبيثًا ذا مكر وبأس شديدين قد استعمل كل ما أوتي من مهارة لإضلالي؛ وسأفترض أن السماء والهواء والأرض والألوان والأشكال والأصوات وسائر الأشياء الخارجية لاتعدو أن تكون أوهامًا وخيالات قد نصبها ذلك الشيطان فخاخًا لاقتناص سذاجتي في التصديق. وسأعد نفسي خلوًا من اليدين والعينين واللحم والدم، وخلوًا من الحواس، وأن الوهم هو الذي يخيل لي أني مالك لهذه الأشياء كلها. وسأصر على التشبث بهذا الخاطر. فإن لم أتمكن بهذه الوسيلة من الوصول إلى معرفة أي حقيقة فإن في مقدوري على الأقل أن أتوقف عن الحكم. ولذلك سأتوخى تمام الحذر من التسليم بما هو باطل، وسأوطن ذهني على مواجهة جميع الحيل التي يعمد إليها ذلك المخادع الكبير، حتى لا يستطيع مهما يكن من بأسه ومكره أن يقهرني على شيء أبدًا»[٩].

والشيطان في الإيمان المسيحي روح رهيب بحيله وشراكه وخداعه ووساوسه. ومع ذلك يظل عدوًا مهزومًا عن طريق الاتحاد بالمسيح بالإيمان والصلاة التي تساندها دومًا صلاة يسوع. وهكذا فالنجاة الدينية لابد لها حتى تتحقق من الانتصار على الشيطان بالاستنجاد بالله. وموقف ديكارت من طرق الانتصار على الشيطان موقف في ظاهره فلسفي وفي حقيقته لاهوتي مسيحي.. كيف؟

من الظاهر أن آلية النجاة الفلسفية عند ديكارت تتحدد في «الفكر»، لكن هل «الفكر» وحده هو سبيل النجاة الكافي بذاته، أم أنه بحاجة لضمان إلهي، ومن ثم تصبح النجاة الفلسفية ذاتها غير ممكنة إلا بتحقيق النجاة الدينية أولاً؟ في الواقع، أن ثمة دورًا منطقيًا في موقف ديكارت، حيث إنه يستخدم الفكر الواضح كآلية لا تخدع للاستدلال على وجود الله، لكنه من ناحية أخرى يلوذ بالله الصادق من أجل ضمان مصداقية الفكر الواضح ضد ألاعيب الشيطان الماكر. فإذا كان ديكارت يصرح بأن الفكر يكتشف نفسه في اللحظة التي يقوم فيها الشيطان بممارسة أفعال الخداع والتضليل المختلفة، وكأن يقين الفكر «أنا أفكر إذن أنا موجود I am thinking, Therefore I exist»، حقيقة



يظهر بعمله أو بتأثيره وله القدرة على تضليل حواسنا وخداع إدراكاتنا.

يقول J.H.Hick على لسان ديكارت: «ربما للوصول إلى منتهى الشك، يوجد شيطان ماكر ذو قدرة كاملة، وهو لا يضلل حواسنا فقط، بل يتلاعب كذلك بعقولنا»[٧].. «وبالنسبة لإمكانية وجود شيطان ماكر يمتلك قوة فوق عقولنا تقوض كل الأدلة، فإن ذلك الشيطان يستطيع (بواسطة التلاعب بذاكرتنا) أن يجعلنا نعتقد أن حجة ما صحيحة مع أنها ليست صحيحة»[٨].

إن ديكارت رافع لواء العقلانية في مطلع العصور الحديثة - هكذا يعتبر نفسه وهكذا يعتبره الكثيرون - لم يستطع أن يعتق نفسه ويفلت بأفكاره من أسر الرؤية المسيحية للشيطان، حيث قدم رؤية فلسفية لا يمكنها أن

أولى Apriori متسمة بالوضوح والتميز، حيث إن الشيطان يستطيع أن يشكك الإنسان في كل شيء سوى أنه موجود[١٠] - إذا كان الأمر على هذا النحو تارة، فإنه تارة أخرى وفي نصوص أخرى من الكثرة بمكان، يؤكد أن هناك حقيقة حدسية أسبق من حقيقة الفكر منطقيًا، لأنها هي التي تضمن صحة الفكر نفسه بوضوحه وتميزه ضد عوامل الخداع المختلفة بما فيها الشيطان، أي أن الفكر يستلزم أولاً ضامنًا له هو «الله الصادق» الذي لا يخدع، والذي لا يسمح للشيطان أن يتلاعب بأفكار الإنسان، فهو مصدر الحقائق وهو ضامنها: ومن هنا فهو «المخلّص» الحقيقي من براثن الشك: بما له من أسبقية منطقية وأنطولوجية في عملية العبور من الشك إلى اليقين، إنه بمنزلة الجسر الذي يعبر عليه الفكر تلك الهوة المحفورة بين الجانبين. ومن ثم فإن آلية النجاة الفلسفية تظل بحاجة دومًا إلى تدعيم من آلية النجاة الدينية. مما يدل على أن مفهوم الشيطان رمز الشر. والشر هنا هو الشك، حاضر في بنية التفكير الديكارتي.

لكن هناك من الفلاسفة من نظر للشر نظرة مختلفة عن النظرة المسيحية، مثل «كنت» الذي يبدأ في تناول الخطيئة عند أدنى مرتبة أخلاقية وهي الشر. ويطرح المسألة برمتها طرحًا فلسفيًا يرفض فيه الخطيئة الأصلية التي تقول بها المسيحية. والميول هي التي تسمح بالانحراف نحو الشر، فهي الأساس الذاتي لإمكان النزوع أو الشهوة، وهي قد تكون فطرية طبيعية. بيد أنها غالبًا ما تكون مكتسبة بسبب خطأ يقع فيه الإنسان، وهذا ما يجب تصوره. والميول تتنوع إلى ثلاثة أنواع، هي ضعف العزيمة أو القلب، وهو ما عبر عنه بدقة القول الآتي:«عندي الإرادة بيد أني أفتقر إلى التنفيذ»[١١]، والنجاسة أو عدم النقاء، تحدث عندما لا يكتفي الفعل بالقاعدة الخلقية، ويحتاج إلى دوافع أخرى[١٢]. وأخيرًا الفساد الذي ينشأ عندما تميل الإرادة إلى تفضيل دوافع دنيا على الدوافع الخلقية[١٣].

وتأخذ هذه الميول مجراها نتيجة سوء استعمال الإرادة الحرة، عندما لا يسلك الإنسان وفقًا للواجب، وإنما بدافع من بعض المغريات، وهذا يعني أن الشر لا ينشأ عن وجود إرادة شريرة كامنة أنطولوجيا في الطبيعة الإنسانية، وإنما عن ضعف هذه الطبيعة عندما لا تفصل بين بعض الدوافع وبعضها الآخر على أساس القاعدة الخلقية[١٤].

إن فهم كنت على هذا النحو لا يمكن أن يؤدي بأي حال إلى الاعتقاد الذي ذهب إليه د.بدوي عندما قال:«إن النتائج المترتبة على نظرية «كنت» هذه في الشر الأصيل نتائج بالغة الخطورة ولو استخلصت كلها بعمق واستقصاء لأفضت بـ«كنت» إلى متاهات لاهوتية بعيدة كل البعد عن نقده العقلي: مثل التبرير، الغفران، القدر السابق، التحول...إلخ[١٥].

ويذهب «كنت» إلى أن أفسد تفسير لأصل الشر الأخلاقي القول إنه خطيئة أولى منتقلة بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وهو في هذا يتفق بوضوح مع الإسلام . ويستند «كنت» في رفضه للخطيئة الأولى إلى التحليل العقلي وتأويل نصوص الكتاب المقدس التي تؤكد حدوثها، وينظر إلى قصة السقوط باعتبارها صورة مجازية (ليست حقيقية) تصور ما نفعله نحن كل يوم



عندما نغلب بإرادتنا دوافع حسية على ما يقضي به القانون الأخلاقي[16].

إن «كنت» يرفض مواقف القديس أوغسطين ومارتن لوثر[17]، بالإضافة إلى رفضه لكل محاولة ترمي إلى إخضاع الإنسان لتحمل خطيئة أصلية لم يتسبب هو في جلبها لنفسه. ومن هنا فإن جوته وهردر وشيلر لم يحسنوا فهم موقف «كنت» من الخطيئة، عندما اعتبروا أنه قد لطخ رداءه الفلسفي بنظرية الخطيئة الأصلية، وفتح ثغرة لاعقلانية في نسقه النقدي العقلاني المحض.

في حين أن هيجل يحلل موقف المسيحية من الشر عبر تحليله لقصة السقوط؛ سواء في «محاضرات في فلسفة الدين» أو في «موسوعة العلوم الفلسفية»، ويذهب في الأخيرة إلى أن الإنسان في مبدئه يتمتع بالبراءة الأولى، لكنه انقطع مع هذه البراءة، وانشق عن الطبيعة، واختلف مع الله، نتيجة التدخل الشيطاني.. وهذا هو معنى الوقوع في الشر، ومعاناة الألم والشقاء في العالم. وهو ما عبرت عنه قصة السقوط[18]. وتحكي قصة السقوط أن آدم وحواء كانا يعيشان في جنة عدن، حيث نمت شجرتان: شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر. وتقول القصة في سفر التكوين إن الله حرم عليهما الأكل من شجرة المعرفة. أما الشجرة الأخرى فقد لزمت القصة الصمت بصددها. ويدل تحريم الأكل من شجرة المعرفة دلالة واضحة على أن الإنسان يجب ألا يطلب المعرفة، وعليه أن يستمر في حالة البراءة الأولى.

ولا يجد هيجل شكًا في أن براءة الأطفال تحوي جانبًا مدهشًا ومثيرًا للإعجاب، فهذه البراءة تعرفنا بما ينبغي أن تفوز به الروح الناضجة لنفسها. فليس انسجام الطفولة إلا منحة من الطبيعة، بينما الانسجام الثاني يتوقف على الكدح والمكابدة والاجتهاد والتضحية، حيث يلزم أن يأتي بعد جهد جهيد من الروح وارتقائها في مضمار التهذيب والثقافة. ولذا قال المسيح: «الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات»[19]. إنه قول يشير إلى هذا المعنى في اعتقاد هيجل، أي أنه لا يريد منا أن نظل أطفالاً بل أن نصل بجهدنا إلى مرحلة الانسجام الثانية.

فلكي يخرج الإنسان من الشقاء عليه أن يحول العالم ويتعامل معه بالعمل بالكدح، أما المرأة فلابد من أن تلد بالألم والمعاناة. وهكذا تجد أن الإنسان – وفق التحليل الهيجلي[20] – في تعامله مع الأشياء الخارجية لا يتعامل إلا مع نفسه. والعمل هو الذي يعيد إليه وحدته مع الطبيعة، بيد أنها ليست وحدة اندماجية مثلما كان الحال في البداية، وإنما وحدة يتخللها انفصال يتمثل في شعور الإنسان بأنه مختلف عن الطبيعة التي يعمل على الاتحاد بها.

وحسب العرض الهيجلي في الموسوعة لا تنتهي قصة السقوط بطرد آدم وحواء من الجنة بل هي تستمر لتخبرنا أن الله قال: «هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر»[21] أي أن المعرفة أمر إلهي ولم تعد عملاً الآن مثل الماضي. وتدحض هذه الآية فيما يرى هيجل الزعم القائل إن الفلسفة تهتم بتناهي الروح فحسب. فالفلسفة معرفة، ومن خلال المعرفة حقق الإنسان لأول مرة شعوره الأصلي بأنه صورة الله. وهذا يعني أن الإنسان – من زاوية المعرفة – لامتناه وخالد. لكنه في الجانب الطبيعي متناه وفان، وهذا ما يقرؤه هيجل في بقية الآية السابقة التي تذكر أن الله طرد الإنسان من جنة عدن بعد أن أكل من شجرة المعرفة حتى لا يأكل من شجرة الحياة»[22]: «والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن..».

وعلى هذا يرى هيجل أن العقيدة المسيحية عن الخطيئة الأصلية حقيقة عميقة! رغم أن عصر التنوير الحديث يفضل الإيمان بأن الإنسان خير بطبيعته، وأنه يسلك سلوكًا صوابًا بمقدار ما يواصل الالتزام بطبيعته الحقيقية. ومن الواضح أن الإسلام ضد فكرة الخطيئة الأصلية، فكل إنسان يولد على الفطرة، ويبدأ حياته بصفحة جديدة لا تشتمل على خطيئة أصلية موروثة، فلا تزر وازرة وزر أخرى، وكل نفس بما كسبت رهينة، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. وهكذا يتوافق صريح

إن الشيطان في الإسلام عدو لا يملك إلا الوسوسة، ولا يستطيع إلا الدعوة والتحريض والإغواء

المعقول مع صحيح المنقول في الإسلام، في حين يتورط هيجل في عقائد «لا عقلانية» بسبب عقلانيته المنحازة!

لكن كيف يتغلب الإنسان عند هيجل على الشر والانشقاق ولحظة الاختلاف داخل الحياة الإلهية وفي العالم؟

عن طريق المصالحة وعودة الإنسان إلى الله. ومضمون هذه المصالحة يتمثل في اتحاد الحقيقة المطلقة الإلهية والذاتية الفردية الإنسانية؛ فكل إنسان هو الله، والله إنسان فردي. ويعتبر هذا من المسلمات التي يصادر عليها الوعي الديني المسيحي الذي يعتقد بأن الله ذاته صار بشرًا، جسدًا، وتجلى كإنسان فرد. إن منعطف حياة الله في المسيحية هو ذلك الذي يخسر فيه وجوده الفردي ويكف معه عن أن يكون ذلك الإنسان المتعين. ومن ثم فإن المنعطف يتمثل في سيرة آلام المسيح وعذابه على الصليب وجلجلة الروح ونكال الموت.

وفي شطحة فلسفية لا عقلانية يرى هيجل في موت الإله في العقيدة المسيحية بعثًا حقيقيًا للروح، لأن موت الإله ليس نفيًا له وإنما نفي للوجود المتعين الذى تظاهر فيه. ثم تحوله إلى روح كلي تعيش في صميم الجماعة المسيحية[٢٣]. يقول هيجل: «الله ذاته قد مات» كما قال لوثر في أحد أناشيده. على هذا النحو تم التعبير عن إدراك أن البشري، والتناهي، والغيرية، والضعف، والسلب، كلها موجودة في الله، وتمثل مرحلة في ما هو إلهي. إن التناهي، والسلب، والغيرية، لا توجد خارج الله، ولا تشكل الغيرية حاجزًا أمام الاتحاد مع الله. لقد تم الوعي بأن الغيرية، السلب، لحظة في الألوهية ذاتها. هنا تظهر أرقى فكرة روحية»[٢٤]!!

ألا ما أسخف مغالطات بعض الفلاسفة! إن الوعي الديني التنزيهي ليس بحاجة لمثل هذا النوع من الوحدة التي تتحدث عنه الفلسفة الهيجلية، تلك الوحدة التي تقتضي موت إلهها! حتى ولو على سبيل التمثيل، لأن في ذلك ردة إلى مرحلة الأديان البدائية في مصر وسوريا والتي كانت تعتبر الموت لحظة ضرورية بالنسبة لله على نحو ما تجلى في عقيدة أوزريس المصرية وعقيدة أدونيس السورية. فالإله يتضمن هنا سلبه، أي أنه يموت!

فالمسيحية كما تشكلت بعد المسيح، في أجيالها الأولى ما هي إلا صورة جديدة من تلك العقائد القديمة ملقحة بمفهوم الإله اليهودي، وهذا ما يشير إليه أورسيل ماسون عندما يقرر أن الأجيال المسيحية الأولى قامت بالتأليف المنتظر منذ زمن طويل بين إله الساميين، ومفهوم الإله عند الإيجيين والأسيانيين، في شخصية المسيح المثالية. وإذا كان يهوه هو التعبير المباشر، القريب، عن الإله – الأب، فإن الآلهة التي تعذبت من أجل إنقاذ الإنسانية سواء كانت فريجية أم سورية أم مصرية، هيأت لإنشاء مفهوم الإله الابن، مفهوم الإله الذي يعاني الموت من أجل إنقاذ الإنسانية من الشيطان أو من الشر[٢٥].

عبادة الشيطان في العصر الحديث

رغم دخول الغرب في عصر الحداثة والعقلانية، بعث عبادة الشيطان من جديد. وتدور عقائد عبدة الشيطان عامة في العصر الحديث على أن الشيطان يمثل الوجود الحيوي والروحانية الحقيقية والفكر الذكي، في مقابل الأمل الكاذب الوهمي! ويدعو إلى الانتقام، بدلاً من الحب الزائف للحاقدين وجاحدي الجميل. ويمثل الحكمة غير المزيفة في مقابل ما يوجد في الأديان من خداع النفس بأفكار زائفة؛ فالشيطان يعبر عن الانغماس الذاتي في الأهواء والشهوات والتمتع ويقبل كل ما يطلق عليه خطايا أو آثام باعتبارها طاعات؛ لأنها تؤدي إلى الإشباع العضوي والعقلي والعاطفي.

وفي القرن التاسع عشر دعا إلى عبادة الشيطان الساحر الإنجليزي بريت أليسر كرولي Brite aleiser Crowly ١٨٧٥-١٩٤٥م. ومع دخول القرن العشرين إلى منتصفه، دخل هذا الدين الخرافي مرحلة ثانية، بصدور كتاب لا فالي «الكتاب الشيطاني المقدس» سنة ١٩٥٧م، شرح فيه طرق ممارسة شعائر

"إنه ليس إلهًا كما هو في الهندوسية والزرادشتية المحرفة والزروانية والجماعات المسيحية المنشقة في العصور الوسطى. وليس إلهًا للدهر كما هو عند المسيحية في العهد الجديد. إنه مجرد مخلوق من مخلوقات الله تعالى. وليس أزليًا أو كائنًا من ذاته بدون خالق. إنه من طائفة الجن المخلوقة من النار"

عبادة الشيطان، والأركان الأساسية للإيمان بالشيطان كإله تتجسد قوته في التحكم بعناصر الطبيعة، وإنكار البعث والجنة والنار. ومن ثم دعا إلى استغلال الحياة في ممارسة كل الرغبات، والشذوذ، والسحاق، والاستعانة بالسحر والشعوذة للحصول على أي شيء، ودعا إلى عدم قتل الحيوان(عدا البشر) إلا دفاعًا عن النفس أو لتقديمها قربانًا للشيطان!

وفي سنة ١٩٦٦م ظهر كتاب «إنجيل الشيطان» في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية، وأسس مؤلف الكتاب أنطوان تليدر ليفي أول معبد لعبادة الشيطان، ثم أنشئت معابد أخرى في عدة بلدان أمريكية وأوروبية. وفي هذا السياق من التخبط الذهني والروحي ظهرت عدة مؤلفات له:«الطقوس الشيطانية»، و«الساحر الشيطاني»، و«مذكرة الشيطان». كما ظهرت كتابات أخرى مثل:«صمت إبليس» تأليف د.لورانس بازدر. وتكونت طائفة أخرى بزعامة «مايك وازنكي» تزعم أن الملة الشيطانية تشمل بعض التيارات المسيحية مثل روحانية العصر الحديث. كما توجد جماعات عبدة الشيطان في منطقة «برواكن بابك» المقدسة عند عبدة الشيطان بجبال هيرتس بألمانيا.

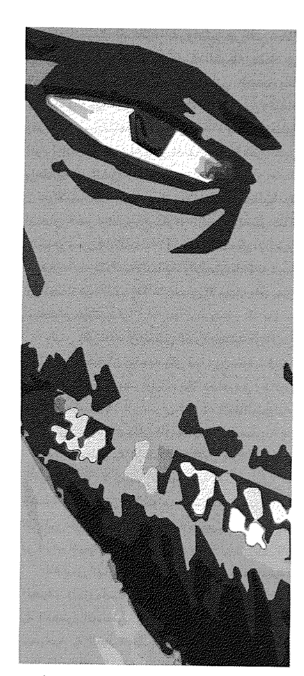
وفي عام ١٩٨٠م فضحت ميشيل سميث في كتابها «ميشيل تتذكر» كل رذائلهم، بعد أن خرجت من طائفتهم، ووصفت ما تعرضت له من تعذيب جنسي، وشرحت كيف يقومون بعمليات تضحية بشرية كجزء من سحرهم الأسود الذي يقوم على الاعتقاد بأن الألم الذي يتعرض له الضحايا يزيد من فعاليته.

ومن أسف فقد وجدت هذه المعتقدات الشيطانية لها سبيلاً في بعض البلدان العربية، مثل مصر والأردن والمغرب، نتيجة حياة الترف والتحلل الاجتماعي والفراغ الروحي الموجود عند بعض فئات الطبقات الغنية. وقد تم القضاء على أتباعها بالسجن.

وتبقى الكلمة الأخيرة للدين المهيمن الذي استطاع تحرير المؤمنين به من أوهام الوجدان، وخيالات النفس، وضلالات العقل، وخرافات الديانات الوضعية. تبقى الكلمة الأخيرة للإسلام.

عالم بلا خوف: الإسلام

يختلف الإسلام بوضوح عن كل الديانات الوضعية، بل ويختلف عن اليهودية والمسيحية التاريخيتين في تفسير وجود الشر في العالم، وفي النظر إلى الشيطان



من حيث طبيعته ودوره، وكيفية التغلب عليه، فضلاً عن وجود عناصر أخرى في الإسلام غير الشيطان لتفسير الشر في العالم. وقد استطاع هذا الدين أن يتخلص من أساطير القدماء ومن أوهام البشر ومن مغالطات بعض الفلاسفة المتأثرين بالديانات الوضعية أو المحرفة.

فالشر موجود من أجل إمكان الحرية الإنسانية؛ لأنه يمتنع القول إن الإنسان حر إذا كان مجبولاً على الخير فقط. ولا يكتسب فعل الخير ميزته إلا إذا كان فعل الشر ممكن الحدوث. ومن هنا يمكن القول بأن الإسلام لا يقول بطبيعة شريرة في الإنسان، وإنما إمكانية للشر وللخير، موجودة في الإنسان كأساس

ضروري للحرية. فإمكانية الشر والخير هي التي تجعل الحرية ممكنة، والشر ليس محركه الشيطان فقط، بل النفس أيضًا عندها القابلية؛ يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠). فلا يتصور المرء إرادة حرة دون أن يكون لديها إمكانية فعل الخير وإمكانية فعل الشر.

والأمر كله يتوقف على الإرادة الإنسانية في امتحان الشر والخير. ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (لأنبياء:٣٥)، فالشر امتحان، والخير امتحان، أمام الإرادة الإنسانية. والإنسان بإمكانه دومًا أن يتجنب هذا الشر إذا ما أحسن الاختيار ولم يسئ استخدام حريته.

وليس على المرء أن يخشى الشر وممثليه من الجن والإنس، بل عليه أن يواجهه بكل قوة دون خوف! ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥).. ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء:٧٦).

إن الشيطان في الإسلام —ولأول مرة في تاريخ الأديان- عدو لا يملك إلا الوسوسة. ولا يستطيع إلا الدعوة والتحريض والإغواء، باعترافه الأخير: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم:٢٢).

إنه ليس إلهًا كما هو في الهندوسية والزرادشتية المحرفة والزروانية والجماعات المسيحية المنشقة في العصور الوسطى. وليس إلهًا للدهر كما هو عند المسيحية في العهد الجديد. إنه مجرد مخلوق من مخلوقات الله تعالى. وليس أزليًا أو كائنًا من ذاته بدون خالق. إنه من طائفة الجن المخلوقة من النار ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر:٢٧).

ولذا له طبيعة مختلفة عن الإنسان، ومن ثم فإن القوانين التي تحكم عالمه مختلفة، وله قدرات خاصة، لكنه كائن محدود ليس كامل القدرة ولا العلم. ويرى الإنسان في حين أن الإنسان لا يراه، ومع ذلك لا يملك إلا الفتنة. وله تأثير، لكنه تأثير محدود بالوسوسة. وله سلطان على الغاوين لا المؤمنين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر:٤٢). وكيده ضعيف ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء:٧٦).



وهذا واضح على مدى التاريخ من تخبطه في معاركه التي ينهزم فيها عند مواجهة أية طائفة قوية من المؤمنين. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: من الآية١٩).

أما انتصاراته فهي انتصارات مزيفة؛ لأنها على ضعفاء الإيمان أو غير المؤمنين ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٧).

وما يمتع به من سلطان، فإنما هو معطى له من الله، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الأعراف:١٤-١٥). ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾ (الإسراء:٦٣). وهو حر أن يعمل داخل الحدود التي سمح له بها، لكنه لا يستطيع تجاوزها ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا

رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (الملك:٥).

ولقد أوضح الله للإنسان طريق التغلب على الشيطان: فمواجهة نزغاته لا تستلزم سحرًا ولا كهانة ولا طقوسًا معقدة، بل إرادة قوية واستعاذة بالله، ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:٢٠٠)؛ فالانتصار على كل هجمات الشيطان ممكنة.

ومع أن الحكم الإلهي صدر عليه، إلا أنه مازال مسموحًا له بممارسة سلطانه المحدود كفتنة واختبار للناس لامتحان إرادتهم، وبانتهاء هذا الامتحان يتحدد المصير النهائي بالعذاب الأبدي؛ هكذا أعلن القرآن المصير المحتوم للشيطان والنهاية الأخيرة للصراع بين الخير والشر، ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم:٢٢).

وهكذا فإن الشيطان كائن مهزأ، ومنبوذ، يهاجمه المسلم ولا يخشاه، ويرجمه دون خوف في شعيرة من شعائر الحج؛ لأنه أصبح عدوًا مهزومًا بفضل الإيمان بالله، فليس له من سلطان عليه، إنما سلطانه على الذين لا يؤمنون، ومن ثم تحرر الإنسان مع الإسلام من عبودية كائن طالما استحوذ على النفوس الضعيفة، مثلما تحرر من كل مخاوفه الأخرى التي طالما عاش بسببها في جحيم من الخرافة والوهم والوعي الشقي، وأصبح العالم مع الإسلام عالمًا بلا خوف.

المراجع

١ - انظر: مرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبدالهادي عباس، دمشق، دار دمشق،١٩٨٧، ج ١، ص ٢٥٠.

٢ - المرجع السابق، ج١، ص٢٥٤.

٣ - مجلة قنديل، العدد ٧٥، بغداد ١١ من أغسطس ٢٠٠٥.

٤ - كزافييه ليون دوفور اليسوعي، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمه إلى العربية مجموعة من علماء اللاهوت بإشراف المطران أنطونيوس نجيب، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٨، ص ٤٦٦.

٥ - انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة شيطان، مصر، دار الثقافة، ٢٠٠٤.

٦ - المرجع السابق، الموضع نفسه.

٧ - J. H. Hick, Philosophy of Religion, Prentice-Hall International, London, ١٩٨٨, P. ٥٨.

٨ - Idem

٩ - ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة د. عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ٨٠.

١٠ - D.E. Cooper, World philosophies, Oxford, Blackwell, ١٩٩٦, p. ٤٤٢.

١١ - Kant, Religion Within the Limits of Reason Alone, tr., T. M. Greene and H. H. Hudson. Chicago, The Open Court Publishing Company (Ger. ١٧٩٣), ١٩٣٤. pp. ٢٤-٥.

١٢ - Ibid., p. ٢٥.

١٣ - Idem.

١٤ - Ibid., pp. ٣٢-٣.

١٥ - د. عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كنت، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٨٠، ص ٣١.

١٦ - Kant, Religion Within the Limits of Reason Alone, p. ٢٦-٩, ٧٣.

١٧ - Idem

١٨ - Hegel, Enzyklopadie der Philosophschen Wissenschaften in Grundrisse, Par. ٢٤.
والترجمة العربية ١، ص ١٠٩.

١٩ - إنجيل متى، إصحاح ١٨، آية ٣.

٢٠ - Hegel, Enzyklopadie.., Par. ٢٤.
والترجمة العربية ١، ص ١١٢.

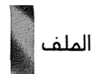
٢١ - سفر التكوين، إصحاح ٣، آية ٢٢.
قارن:
Hegel, Lectures on the Philosophy of Religion, the Lectures of ١٨٢٧, edited by Peter C. Hodgson, tr. By R. F. Brown, P. C. Hodgson, and J. M. Stwart with the assistance of H. S. Harris, University of California Press, ١٩٨٨, P. ٧٨-٩.

٢٢ - Ibid., P. ٤٤٤.

٢٣ - Ibid. P ٤٦٤ ff.

٢٤ - Ibid., p ٤٦٨ ff.

٢٥ - أورسيل ماسون، فلسفة الشرق، باريس، الكان ١٩٣٨، ص ٢٤. عن فيلسيان شالي، موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، دمشق، دار طلاس، ١٩٩١، ص ٢٢٥.



مهمات شيطانية!

عبدالكريم بكار - الرياض

خلق الله هذه الدنيا دارًا للابتلاء، فوفر فيها كل شروط الابتلاء وكل أدواته. ولعل من أهم شروط الابتلاء تلك الظروف المعاكسة والأحوال المعيشية الصعبة إلى جانب المصائب ووضعيات الرخاء والرفاهية الزائدة. أما أهم أدواته فهي الميول والغرائز وأثمان ما يفرضه البدن من حاجات ومتطلبات. بالإضافة إلى وجود نفس توسوس، وشيطان يزين المعصية، ويصرف عن الطاعة، ويستغل نقاط الضعف. وعلى مدار التاريخ كان الوعي بالشيطان بوصفه ذاتًا شريرة وسيئة أوضح من الوعي بوساوس النفس. حيث إنه يشكل ذاتًا منفصلة ومبلورة، وليست الوساوس كذلك. حين هبط أبونا آدم وأمنا حواء من الجنة لم يهبطا وحدهما، وإنما هبط معهما إبليس أيضًا، وكان في ذلك إشارة واضحة إلى الجدلية التي ستسود في هذه الحياة: جدلية الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، وما يجوز وما لا يجوز. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع عدة، منها قوله - سبحانه -: ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[1].

إن التدين الحق ينشئ لدى صاحبه (عضلة أخلاقية) اعتدنا تسميتها (الضمير) أو (الوازع الداخلي). وهذه العضلة هي التي تصارع الشيطان، وتقدم للوعي الشخصي الكثير من التحذير من خطورة الانسياق وراء وساوس الشيطان. ولهذا فإن الشيطان يُبدي الكثير من الارتياح، ويحقق الكثير من النجاح في مهماته الشريرة حين يخفت صوت الضمير، أو يمنحه صاحبه إجازة مفتوحة. وهذا يعني أن على المربين والمصلحين أن يتعلموا كيف يوفرون الشروط والظروف التي توقظ الضمائر، وتؤسس لدرجة عالية من الحساسية ضد الخطأ والشر والمنكر.

إن في إمكاننا أن نقول: إن الشيطان يستخدم في عمله عين الأسلوب الذي يستخدمه (السوس) الذي ينخر في أسنان البشر. إن السوس يفضل العمل في (مقاتل الأسنان) وهي المواضع التي لا يصل إليها السواك، ولا تصل إليها الفرشاة. وهكذا الشيطان يلعب على نقاط ضعفنا وغرائزنا، ويستغل معاناتنا والثغرات الموجودة في حياتنا كي يحصل على ما يحب الوصول إليه. إن طموحاته واسعة وحركته دائبة وشاملة، والأبواب التي يدخل منها علينا تفوق الحصر والعد. ونلمس الإشارة إلى هذا فيما حكاه الله تعالى عن إبليس: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثر شاكرين﴾[2].

إن هناك من النصوص ما يدل صراحة على أن البشر من خلال أخطائهم الشخصية ومن خلال ما يظهرونه من قابلية للغواية والانقياد يقدمون الأرضية التي يقف عليها الشيطان وقت وسوسته لهم. إنهم يوفرون له رأس الجسر الذي سيعبر عليه متسللًا إلى أعماقهم وأعمالهم. وهذا واضح في عدد من الآيات منها قوله سبحانه ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾[3]. وقد حكى لنا القرآن الكريم جهود إبليس في التنصل من المسؤولية الملقاة على عاتقه حين قال: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾[4]. ولهذا قال أحدهم: «إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن جزاء السيئة السيئة بعدها». وهذا يعني أن على الناس أن يوجهوا اللوم لأنفسهم عوضًا عن لوم إبليس، وأن يحموا أنفسهم من شروره من خلال المجاهدة والاستقامة، وأن يجعلوا من ملازمة الآداب والسنن خط الدفاع الأول عن الفرائض والواجبات، كما أن عليهم أن يجعلوا بينهم وبين الوقوع في الكبائر والمعاصي واقيًا منيعًا، يتمثل في تجنب الشبهات والمكروهات، وما هو موضع خلاف ونزاع، حيث

إن الشيطان لا يحاول الوسوسة لشخص يقوم الليل بترك صلاة الفريضة، كما لا يوسوس لمن يتورع عن عمل شيء مختلف في جوازه بعمل شيء متفق على حرمته.

وأود الآن أن أذكر نماذج من المهمات التي يقوم بها إبليس في إضلال البشر، وذلك عبر المفردات الآتية:

- إن المهمة الأولى التي ندب الشيطان نفسه لها، هي خديعة أبينا آدم وأمنا حواء حين حلف لهما أن الله تعالى ما نهاهما عن الأكل من الشجرة إلا من أجل حرمانهما من أن يكونا ملكين أو من أجل حرمانهما من نيل الخلد والمكوث الأبدي في الجنة: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾[٥]. وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾[٦]. قد رأى إبليس النعمة العظمى التي كان يتقلب فيها آدم وحواء في الجنة، فما كان منه إلا أن حسدهما، وأخذ يفكر في سلبهما تلك النعمة، وقد أدرك نقطة الضعف الكبرى لدى الإنسان، وهي حبه الخلود والبقاء السرمدي. وخوفه من الموت وما بعده. إن الإنسان يفعل كل ما في وسعه من أجل التشبث بهذه الحياة والبقاء فيها أطول مدة ممكنة مع الاعتراف بأن النهاية لجميع البشر هي مغادرة هذه الحياة إلى العالم الأخروي. ويبدو أن الغفلة وسوء الفهم يزيدان في ارتفاع وتيرة هذا التعلق، وإلا فإن المتوقع من أهل الإيمان أن يكون لهم موقف مختلف، حيث إن ما نعتقده في هذا الشأن هو أن المسلم إذا أدى ما افترضه الله تعالى عليه، وانتهى عما نهاه عنه لم يكن بينه وبين أن يدخل الجنة إلا أن يموت: أي أن الحياة التي يتفانى الناس بالاستمساك بها هي الحائل الوحيد بين صالحيهم وبين دخول الجنة!

حين تتعلق غرائزنا بشيء، ويصبح الحصول عليه محورًا من محاور تفكيرنا فإن من السهل علينا قبول المساومة وقبول التنازل: وهذا ما جرى لأبينا وأمنا، فإنهما على الرغم من تحذير الله لهما من الأكل من الشجرة، فإنهما استجابا لإغراء إبليس: ولذا فإن القرآن الكريم يذكرنا بضرورة أخذ العبرة مما حصل، حيث قال سبحانه: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾[٧].

- حين يحاول الشيطان إغراء الإنسان بالوقوع في معصية أو في شيء يخالف قناعاته، فإنه يصطدم بعقيدة ذلك الإنسان ووعيه الذاتي، كما يصطدم برؤاه حول ركائز الممانعة لديه، مما يجعل بالتالي نجاحه أمرًا صعبًا؛ ومن هنا فإن الشيطان يمارس نوعًا من الاستدراج في الوسوسة أو نوعًا من التحايل على الوعي من أجل تجاوز لاءاته وحساسياته، وكثيرًا ما يكون ذلك عبر تمرير الفكرة بالتقسيط. وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يأتي أحدكم، فيقول: من خلق السماء؟ فيقول: الله. فيقول من خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟. فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنت بالله ورسله. فإن ذلك يذهب عنه»[٨]. إن من الصعب على الشيطان أن يفاجئ المؤمن الراسخ الإيمان بسؤال من نوع: (من خلق الله؟) ولهذا فإنه يحاول أولاً زج من يوسوس له في سياق عام قائم على التساؤل وعدم اليقين. وورد



في بعض الآثار ما يدل على أن الناس أنفسهم يقدمون المساعدة للشيطان في القيام بمهامه من خلال استخدام بعض الألفاظ أو من خلال الإغراق في الأسى والأسف على بعض ما جرى، على نحو ما نجده في قوله صلى الله عليه وسلم: «... احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[٩]. إن النبي صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين هنا إلى طيّ ملفات الماضي بعد أخذ العبرة منها، لأن تحديث النفس بالنتائج التي يمكن أن تترتب على بعض التصرفات سيعني الأسف على شيء لا يمكن استدراكه، كما سيعني إفساح المجال للشيطان كي يُضعف إيمان المسلم بنفاذ ما قدره الله وأراد ولهذا جاء إرشاد من وقع في خطأ، أو أصيب بمصيبة أن يقول: «قدر الله، وما شاء فعل». إذًا حتى لا نفتح الباب أمام وساوس الشيطان فإن علينا أن نقف الموقف القائم على الجزم واليقين والتسليم، وإلا نكون كمن يفتح أبواب القلعة الحصينة من الداخل ليدخل منها العدو.

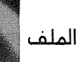
- إن حب الإنسان للمال والخير غير محدود بحدود، وكلما حصل على مرفه من المرفهات، نظر إليه على أنه شيء يصعب التخلي عنه أو العيش من دونه: وهذه الحالة ولدت لديه نوعًا من الرُهاب من المستقبل، والخوف مما يُخبئه قابل الأيام من ضيق وقلة، وجعلت مشاعره نحو موارد رزقه في حالة من التوتر الدائم. وقد وجد الشيطان في هذا مدخلاً جيدًا لوساوسه وإيحاءاته. يقول سبحانه: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾[١٠]. إن الشيطان يستغل خوفنا من انحسار الرزق في أن يوسوس لنا بقبض أيدينا عن الإنفاق في سبيل الله وبذل المال لمساعدة العناصر الضعيفة في المجتمع. إنه يجعل من الفقر هاجسًا ملحًا لدى الناس حتى أصحاب الثروات الطائلة، ومع ذلك فإنه يحضهم على الوقوع في الآثام والمعاصي؛ لكن الله يرشد عباده إلى عدم الاستجابة لوساوس الشيطان، فهو واسع عليم، وخزائنه تفيض بالخير العميم، وإذا وقعوا في المعاصي، فلا يقنطوا لأنه وعد بالمغفرة لمن تاب وأناب.

- يدرك الشيطان - على ما يبدو - دور الوئام الاجتماعي عامة والأسري خاصة في توفير الهناء والسعادة للناس، ومن هنا فإن إفساد العلاقات بين العباد يشكل واحدة من أولوياته. وقد ورد في الحديث الصحيح ما يشير إلى أن الشيطان الأكبر أو قائد الشياطين يتخذ من البحر قاعدة تنطلق منها جيوشه لإيقاع الناس في الفتنة والضلالة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئًا. قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال فيدنيه، ويقول: نعمَ أنت»[١١]. إن معقد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية هو هذا الاختلاف في الطبائع والميول والأفكار والخلفيات والمصالح والطموحات والإدراكات.. وإن أكثر ما يثير النزاع بين الناس هو تجاهل هذه الحقيقة. والإصرار من قبل كل واحد منا على أن يجعل من نفسه المحور أو الأصل، وعلى الآخرين أن يكونوا نسخة منه أو تابعين له. وقد دلت بعض الدراسات على أن معظم وقائع الطلاق يحدث في السنوات الأربع الأولى من الحياة الزوجية. وذلك - في كثير من الأحيان - بسبب عدم إدراك الزوجين لحقيقة مهمة، هي أن العلاقة بينهما يجب أن تقوم على قاعدة التخالف وليس على قاعدة التشابه. إنهما مختلفان من أجل تحقيق التكامل والتآلف. إن إبليس يستغل أوهام الناس، كما يستغل غرورهم وطموحاتهم غير المحدودة من أجل التحريش بينهم، وإفساد علاقاتهم، عليهم أن يفطنوا لذلك.

أعتقد أن أفضل ما ننتقم به من إبليس هو أن نقتبس منه روح المثابرة، ولكن في عمل الخير، واستخدام المعرفة ولكن في مقاومة الشر. ■

الهوامش:

(١) سورة البقرة: ٣٦.
(٢) سورة الأعراف: ١٦، ١٧.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٥.
(٤) سورة ق: ٢٧.
(٥) سورة الأعراف: ١٦، ١٧.
(٦) سورة طه: ١٢٠.
(٧) سورة الأعراف: ٢٧.
(٨) أخرجه أحمد وغيره.
(٩) أخرجه مسلم.
(١٠) سورة البقرة: ٢٦٨.
(١١) رواه مسلم.



رفض أن يكون عابدًا
فاتخذه الضالون معبودًا

محمد الصاوي - مصر

THE SATANIC BIBLE

ANTON SZANDOR LaVEY

ما من لفظة تفوقت على لفظة «شيطان» في تجسيد الشرور والمفاسد والآثام. ولعلها أكثر الألفاظ المشحونة بالدلالات، المكتظة بالمعاني، المفعمة بالإيحاءات، في لغات البشر، وفي مجالات المعرفة كافة.

ولو أعلن عن مسابقة في فن الرسم والتصوير، وكان موضوعها هو «الشيطان»، لفازت بالجائزة الكبرى أقدر اللوحات على إثارة الهلع والانقباض، وأكثرها تجسيداً لمعاني الغواية والمراوغة، وأشدها غموضاً وغرابة.

والإنسان في سعيه للتعامل مع المجهول والمستور لا يستطيع أن يتحاشى صورة «الشيطان». والناس أمام العجائب والخوارق يصنعون «شياطين» شتى، حتى يتمكنوا من تفسير الواقع والتعامل معه. وفي مواجهة المخاوف والمحاذير يصنع كل قوم ما يعتبرونه «شيطاناً». حتى صارت كلمة «شيطان» بمثابة «الثقب الأسود» الذي نصدر إليه كل مخاوفنا ومفاسدنا وشرورنا وإحباطاتنا، وكل ما لا تستوعبه عقولنا، وكل مرفوض منبوذ مستقبح، وكل عجيب مستغرب. وبرغم ذلك كله فإن «الشيطان» في نظر كثير من الناس لا وجود له. وفي المقابل صار «الشيطان» لدى طائفة منهم إلهًا معبودًا، يستحوذ على إعجابهم! ويحلو لبعضهم أن يردد:

«المجد للشيطان معبود الرياح. من قال: لا، في وجه من قالوا: نعم، من علم الإنسان تمزيق العدم من قال لا، ولم يمت،وظل روحًا أبدية الألم».

وفي تاريخ الأدب الفارسي أن السعدي الشيرازي رأى الشيطان في المنام في صورة بهية، فسأله عن ذلك، فأجابه: «لا تصدق يا صاح أنه مثالي ذلك الذي رأيتهم يمثلونه؛ فإن الريشة التي ترسمني تجري بها يد عدو حسود. سلبتهم السماء فسلبوني البهاء».

وفي دراسة للدكتور محمد يونس في الشعر الفارسي القديم أن الشيطان ليس عاصيًا، وأنه مهذب، فيه حكمة ورزانة، وأنه مصدر للعلم والمعرفة. (تعبر عن ذلك صورة الطاووس). وهناك من يؤمنون بأن الشيطان تاب وأن الله قبل توبته. حتى إن هناك من يدعو إلى «رد الاعتبار لإبليس، والكف عن كيل السباب له والتعوذ منه، والعفو عنه وطلب الصفح له، وتوصية الناس به خيرًا».

بدأت المعركة بين الشيطان و الإنسان مبكرًا جدًا، لقد بدأت قبل خلق الإنسان نفسه!

فهي المعركة الكبرى بحق، لأنها معركة المصير الحقيقي. فقد أصر الشيطان إصرارًا على أن يلازم الإنسان منذ لحظة البدء، وحتى لحظة الختام. وفيما بينهما. فصار الفوز كل الفوز هو الانتصار على الشيطان، والخسران كل الخسران هو الانقياد للشيطان. ومن شاء أن يستوثق من ذلك فليتمهل طويلاً مع المكتبة الإسلامية. وفي المقدمة منها: الكتابان المهمان: «إحياء علوم الدين» لأبي حامد. و«إغاثة اللهفان» لابن القيم. ثم كتاب «تلبيس إبليس» لابن الجوزي. و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية. ففي كتاب الإحياء وحده وردت كلمة «الشيطان» - بصيغة المفرد المعرف بأل فقط - أكثر من ٥٧٧ مرة. وليس هذا بعجيب، فكتاب الإحياء قائم على تبيان «المهلكات» و«المنجيات». وعلى هاتين مدار علاقة الإنسان والشيطان.

والكلمة نفسها وردت في القرآن الكريم ٦٨ مرة. وبغير أل مرتين. وبصيغة الجمع ١٧ مرة، ومضافة إلى ضمير مرة واحدة. (فيكون المجموع ٨٨ مرة). وأما كلمة «إبليس» (كبير الشياطين) فجاءت في القرآن (١١) مرة، ولم ترد في غير صيغة المفرد.

وفي كتب السنة المشهورة وردت لفظة «الشيطان» نحوا من ٩٦٣ مرة، فيها كنز من الأنوار الإلهية، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأرجو أن أوافق الصواب إذا قلت إن الكثير الكثير مما يقال عن «الشيطان» إنما يقال على سبيل المجاز، كالكلام عن حبائل الشيطان وشباكه، وكثير مما ينسب إلى الشيطان من الأقوال والأفعال والهيئات. (وقد يساق كلام الأدباء على سبيل الفكاهة أو السخافة). فمن كان عاجزًا عن فهم طبيعة المجاز اللغوي العربي فليرح نفسه، وليمسك عن الجهالة. ومن لم يفقه سنن العرب في كلامها، ومرادها من الاستعارة والتشبيهات والكنايات، فليجلس يتعلم، فذلك خير له من مشاكسة الناس بالباطل.

فشتان بين قرن الكبش و«قرن الشيطان»، فالأول معروف. لكن الثاني تعني به العرب: «حزب الشيطان وأعوانه وشروره وفتنه». وقد يعني «القرن» الاقتران زمانًا أو مكانًا. و«قرنا الشيطان» أي جانبا رأسه. ويضرب المثل بقرني الشيطان فيما لا يحمد من الأمور. هكذا تتحدث العرب، وليس كل كلامها على الظاهر (كما يتخيل الأطفال معنى الآية: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾). والرسول الأعظم كان حريصًا على دحض الجهل عن النفوس الراغبة في التعلم، حين قال: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان) قال العلماء: معناه: الإشارة إلى الهوى، والدعاء إلى الفتنة بها، لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن. فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر، بوسوسته وتزيينه له. (شرح النووي).

وعَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ). «فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ. وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ. وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرٌ مِنْ فَقْرٍ». (أحمد مرفوعًا). هكذا يفقه العلماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحين قال صلى الله عليه وسلم: (فراش

وإذا كانت «العجلة من الشيطان» فنحن في عصر العجلة بامتياز؛ فقد كانت الحروب الساذجة تمتد أربعين عامًا. أما اليوم فالحرب تدمر كل شيء في أربعين دقيقة. ولو فتحت خزائن القنابل النووية، فعندها سينتهي كل شيء في أربعين ثانية

للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان) قال العلماء: ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان: لأنه يرتضيه، ويوسوس به، ويحسنه، ويساعد عليه. (شرح النووي).

ومن أظهر الأمثلة على عروبة الأسلوب النبوي الحديث «الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب». وهو لا يفهم إلا في ضوء سنن العرب ومذاهبها في كلامها. قال الشراح : سفر الواحد منفردًا منهي عنه. وكذلك مشي الاثنين في الفيافي المتدة مظنة الهلاك. ومن ارتكب منهيًا فقد أطاع الشيطان. ومن أطاعه فكأنه هو. وقالوا:«الشيطان يهم بالواحد والاثنين. فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم». واستنبط أولو العلم أن المنفرد في السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه. ولا عنده من يوصي إليه في ماله ويحمل تركته إلى أهله ويورد خبره إليهم. ولا معه في سفره من يعينه على الحمولة. فإذا كانوا ثلاثة تعاونوا وتناوبوا المهنة والحراسة وصلوا الجماعة. فأين هذا الفقه من حماقات المتحذلقين؟

وفي الحديث:(التَّثَاؤُبُ مِنْ الشَّيْطَانِ. فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ). والتثاؤب يكون غالبًا مع ثقل البدن وامتلائه. واسترخائه وميله إلى الكسل. وإضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات. والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل. وفي الحديث إرشاد إلى كل جميل من السلوك (دع عنك ما يسمونه الإتيكيت).

إن أي طفل عربي لا يجد صعوبة في فهم المراد بقول الله:﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾. لكن ماذا نصنع مع قوم معتوهين، أصيبوا بعاهة تمنعهم من فهم الخطاب العربي؟

وأما المدسوس والمكذوب والمصنوع من المرويات فتلك قصة أخرى. وأما ضلالات المستشرقين، وكلام أشباه الباحثين، وأحقاد أهل الضلالة الذين يجاهرون بسب الله ورسوله، فلا شأن لنا بهم، لأن شيطانهم قد سعد أن يبول في آذانهم ويبيت على خياشيمهم ويستحوذ على قلوبهم. وليس أقسى من الجهل عقوبة للجاهلين.

جاء في أساس البلاغة: يقال «ركبه شيطانه» إذا غضب. ومنه قول الشاعر:

ولما أتاني ما يقول ترقّصت
شياطينُ رأسي وانتشيتُ من الخمر

ومثله قول الآخر:

فلما أتاني ما تقول محارب
بعثت شياطيني وجن جنونها

وتقول العرب:«نزع شيطانه» أي ترك التكبر. وتقول:«كأنه شيطان الحماطة» أي يشبه الداهية من الحيات.

والعرب تنسب كل صنعة رائعة فائقة البراعة إلى الجن، حتى نسبوا نفائس القول إلى شيطان الشعر، حتى قال قائلهم:

إني وكل شاعر من البشر

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

ونسبوا إلى الجن أشعارًا لا يصح منها شيء. وهي إن تكن تلفيقًا فهي تلفيق شاعر لاشك. ولأن العرب كانت تنسب روائع القول إلى الجن، فقد روي أنه (احْتَبَسَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبْطَأَ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ. فَنَزَلَتْ ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾). ثم كان مزيد من الإيضاح الإلهي: ﴿وما تنزّلتْ به الشياطينُ وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ (الشعراء٢١٠) وبعدها: ﴿هل أنبئكم على من تنزّلُ الشياطين تنزّلُ على كل أفاك أثيم﴾ (الشعراء٢٢١).

واشتهر بذكر الشياطين المتظرفون من الشعراء. ونسبوا إلى إبليس ألحانًا موسيقية فاتنة تفوق القدرات المألوفة. والخلاصة أن العرب عرفت الشيطان في لغتها وفي تصوراتها من قبل نزول القرآن الكريم. والعرب تطلق لفظ «إبليس» على الشخص الذي يأتي بأفعال إبليس. وتسمي الثعبان شيطانًا، وكذلك تسمي كل متمرد.

وفي التصور الميثولوجي أن إبليس أسود البشرة، له عينان تقدحان الشر أو اللهب، وتشم منه رائحة الكبريت! وله قرنان وأظافر وحوافر. وفيه من جسد الخنزير والقرد شبه، وأنه أحدب... إلخ وعبر عن ذلك الشعر:

وحافر العير في ساق مخدلجة

وجفن عين خلاف الإنس في الطول

الملمح الجدير بالملاحظة هو أنك لا تستطيع أن تجزم إن كان الإبداع الأدبي هو تعبير عن عقيدة أم هو خيالات شاعر تمزج الجد بالهزل. لكن الملاحظ أن الشيطان في معظم التصورات القديمة هو من الممسوخات. على نحو ما اعتقده أهل بابل قديمًا من وجود جنس نصفه إنسان ونصفه شيطان. كما آمنوا بأن آلهتهم تتصارع فيما بينها: آنو، وآبسو، وأهورا، وفردا، وأيل، وبعل.

حكى الجاحظ: «أتتني امرأة وأنا على باب داري فقالت: لي إليك حاجة. وأريد أن تسير معي. فقمت معها. إلى أن أتت بي إلى صائغ، وقالت له: مثل هذا. وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها، فقال: لا مؤاخذة يا سيدي. إنها أتت إليَّ بحصى، وأمرتني أن أنقش لها عليها صورة شيطان. فقلت لها: يا سيدتي ما رأيت الشيطان، فأتت بك وكان ما سمعت»!! والرواية تؤكد على كل حال أن العرب تخيلت الشيطان مثالاً للخلقة غير السوية.

كما يتحدث بعض الناس عن الشيطان من باب الإغراب والتفكه، كحديث أحدهم عن «براز الشيطان» وإنما كان حديثه عن النفط! وكحديث بعضهم عن «الشيطان الأزرق»، يقصدون نبات «ورد النيل» الذي يعوق الملاحة ويبدد مياه النيل. أما «مخاط الشيطان» فهو في كلام الصبيان خيط العنكبوت. وأما قولهم «لعاب الشيطان» فيعنون شعاع الشمس الدقيق الذي يتسلل من الثقوب. ومن ذلك قول أحدهم إنه يقود في سنة ٢٠٠٣ «حربًا ضد الشيطان»!. أو كالكلام في معرض الخطاب السياسي عن «الشيطان الأكبر»! أو كمن يقسم العالم –على طريقة زرادشت- إلى قسم النور

وقسم الظلام (إما معنا وإما مع الشيطان). وما أشبه ذلك.

وفي اللغات الأجنبية نحو ٣٥ اسمًا، تطلق على الشيطان وإبليس والجن: فتجد Lucifer وSatan وDemon، ومنها demonology اسم للبحث في أحوال الشيطان وفنون الشر. وأشهرها "devil" التي تجعل مقابلاً لكلمة "angel".

وفي معجم لالاند تحت كلمة Demon: الشيطان (كائن خفي) قوة روحية أدنى من إله، لكنها أعلى من قدرة البشر. وفيه أيضًا أن الشيطان هو «المبدأ الفعال للشر، يعتبره العهد القديم والعهد الجديد كما لو كان كائنا شخصيًا». وهو روح شرير أو كائن مؤذ، يؤثر في الإنسان أو يخترقه. وهو سبب الرذيلة والاضطراب العقلي أو المرض. بهذا المعنى تستخدم في الأناجيل.

ويضيف المعجم نفسه: كلمة «شيطان» مألوفة عند الأخلاقيين بالمعنى المجازي: شيطان اللعب، وشيطان الطموح. ويذكر أن كلمة «إبليس» هي مرادف للشيطان بالمعنى الحقيقي، ولا يستعمل في العبارات المجازية.

و«الشيطان الماكر» في فلسفة ديكارت عبارة عن افتراض للتعبير عن أقصى مراحل الشك، فهو لذلك روح شرير مضلل.

والمتبادر إلى الذهن أن يكون الشيطان عنوانًا للمهالك، وأن يكون موقف الإنسان منه هو موقف الحذر بل العداوة. لكن الموقف النقيض أن يكون الشيطان محل التعظيم والتقديس لدى طائفة تزعم أن الشيطان هو عنوان الكبرياء، وتعظيم الشيطان لون من التمرد، يمارسه بعض المسحوقين والمقهورين: بهدف إغاظة الكبار، وتحدي المجتمع. وبخاصة في مجتمعات الوفرة والفراغ. (نعمتان مغبون فيهما ابن آدم : الصحة والفراغ)

إن الشباب والفراغ والجِدَة

مفسدة للمرء أي مفسدة

وبينما كنت أجمع مادة هذا المقال عثرت على بضع مئات من الصور الشيطانية، من «القداس الأسود» و«كنيسة الشيطان»، مما لا يجرؤ المرء

يقدر تعداد من يعبدون الشيطان في فرنسا بعشرين ألفًا. وفي الولايات المتحدة مثلهم. وأهم أعيادهم هو ٣٠ من أبريل ذكرى تأسيس جماعة عبدة الشيطان في العصر الحديث سنة ١٩٦٦

على إذاعته بين الناس، بل على مجرد النظر إليه: لبلوغه الغاية في القبح والشذوذ.

وربما لا يعلم كثير من الناس أنه توجد في العالم تجارة يروَج لها، قوامها تصاوير للشيطان، وقمصان وفانلات وحقائب وأغان، وتذكارات لحفلات عبادة الشيطان والقداس الأسود.

وحاليًا يقدر تعداد من يعبدون الشيطان في فرنسا بعشرين ألفًا، وفي الولايات المتحدة مثلهم. وأهم أعيادهم هو ٣٠ من أبريل ذكرى تأسيس جماعة عبدة الشيطان في العصر الحديث سنة ١٩٦٦.

وطقوس عبادتهم هي دماء وخمر وسحر أسود، وممارسة الجنس الشاذ الجماعي، وصخب وشموع وسط ظلام، وأجراس وسيف، ووشم وقمصان سوداء ومخدرات وجماجم وطلاسم ونجمة خماسية تحيط بها دائرة. ويبجلون الرقم (٦٦٦) والأحرف (FFF). (حكم على شخصين في ألمانيا بالسجن بعد أن طعنًا رجلا (٦٦) طعنة، وفي المحاكمة قالا إن الشيطان أمرهما بذلك).

ولديهم ما يسمونه «الوصايا التسع» و«إنجيل الشيطان» لمؤسس جماعة عبادة الشيطان (أنطون لاڤي Anton Szandor LaVey):«الشيطان خير صديق- الشيطان يمثل المسؤولية- الشيطان يعني الإشباع العضوي والعقلي والعاطفي- الشيطان أعنف حيوان على الإطلاق- الشيطان

يمثل الانتقام بدلاً من إدارة الخد- الشيطان يمثل الشفقة- الشيطان يمثل الحكمة- الشيطان يمثل التواجد بدلاً من الأمل الكاذب- الشيطان يمثل إطلاق العنان للرغبات بدلاً من الامتناع».

وترحب جماعة عبادة الشيطان بالأعضاء من عمر ١٦-٢٠ سنة (مرحلة من أخطر ما يكون)، ويلقنونهم من «كتاب الظلام» أن: «كل عضو في عبدة الشيطان هو إله، ليس لأحد سيادة عليه. وأن الدين هو ما يعتقده الشخص، وليس هناك من آخرة. وأن الشر منتصر في النهاية. وأن طقوس كل الأديان وثنية. وأن الزواج حرام، ويحرم أكل اللحم والجبن والبيض وكل ما جاء من تناسل ذكر وأنثى. وأن البقاء للأقوى، والضعيف يستحق أن يراق دمه. وأن كل ما يؤمن به عبدة الشيطان هو مضاد للأديان. شذوذ في شذوذ، ومبلغ الشذوذ أن يستعبد العقل، وتستبد الشهوة، في غلاف من السرية، تذكرنا بسرية المحافل الماسونية وتوابعها. هذه السرية أحاطت العقيدة بالغموض المتعمد: لأنها لم تكن يومًا علنية، ولم تكن لها تعاليم مدونة متاحة وصريحة. وكل العقائد الغريبة تتنصل مما يقال عنها، وتؤكد أنها بخلاف ما يقوله عنها غير المؤمنين بها. وبخاصة العقائد المدونة بلغات قديمة جدًا، أو لغات لا يعرفها إلا أفراد قليلون (كهنة أو ما شابه). وكذلك العقائد التي لها شقان: معلن يدعى إليه جهرًا، وباطني يحرم الاطلاع عليه إلا للخواص، والذي يفشي الأسرار تدق عنقه (إما بالخنق أو بإسالة الدم حتى آخر قطرة). أضف إلى كل تلك التعقيدات والأسرار المصطلحات الخاصة جدًا في كل عقيدة، والتي لا يكفي معرفة اللغة التي كتبت بها لفهم ما تعنيه.

أليس التعرف على الشيطان فاتحة خير ؟ لو أن معاداة الشيطان جعلتنا على الدوام نستحضر ذكر الله في قلوبنا ، لكان الشيطان بحق فاتحة خير لنا ، لأنه جعلنا أبدًا منه على حذر . هذا هو مرادنا من الموضوع ، وأما غير ذلك فمضيعة للعمر ، وزيادة في قسوة القلب

ولئن ظهرت جماعات عبدة الشيطان سنة ١٩٩٦ في مصر والأردن والبحرين والمغرب ولبنان، فإن عبادة الشيطان هي عقيدة قديمة، وجدت قبل ميلاد المسيح عليه السلام. فقديما تصور الناس إلهين: إله للخير وآخر للشر. وقد نظر الناس على ما يقع لهم من مصائب وكوارث ونكبات، نسبوها إلى قوى شيطانية، فاخترعوا إزاء ذلك فكرة القرابين. لترضية الشيطان. واختلط الأمر بطقوس السحر. ولما كان القربان أحيانًا عبارة عن جدي (تيس) فقد تخيلوا الشيطان في صورة العنزة ذات القرون والذنب والأظلاف.

ومن المنطقي تمامًا أن يحرم عبدة الشيطان ما أحل الله، وأن يحلوا ما حرم الله: فهم يحلون كل الموبقات من الخمر والشذوذ. ويحرمون الزواج. ومنهم اليوم من يضع شارة الصليب مقلوبة، ويرفضون تقديس الصليب في ذاته. ومبررهم في ذلك أنه «ما من أحد يعبد المشنقة التي خنقت أباه».

ويعزو بعض الباحثين انتشار عبادة الشيطان حديثًا إلى تنازع الكنائس فيما بينها، وإلى تناقض المذاهب الدينية، وإلى تناحر مجموعات ترفع شعارات دينية، وإلى فشل رجال الدين في إزالة الشبهات عن عقائدهم. بجانب أسباب ودوافع أخرى: كالرغبة في الانتقام، والتمرد والتنفيس عن الشهوات المكبوتة، وتحدي المجتمع، وانتشار الإنترنت. (في إسرائيل يعفى الشباب الأعضاء في جماعة الشيطان من الخدمة العسكرية).

وفي الحالات التي قبض فيها على تنظيمات من عبدة الشيطان لم يلجأ المجتمع إلى تطبيق الحد الشرعي للمرتد. وكان ينظر إليهم على أنهم

البدائي. من عبادة الأرواح، واسترضاء الأرواح الشريرة، إلى آلهة الشر عند اليونان ثم الرومان، وصراع آلهة الشر مع آلهة الخير، وعبادة الأسلاف لدى بعض النحل الهندية والصينية واليابانية، مرورًا باليهودية فالمسيحية، وصولاً إلى الإسلام. ولست أظن أن عاقلاً يقول إن آيات القرآن التي تتحدث عن الشيطان فيها أثر من الهندوسية أو الزرادشتية أو المانوية، ناهيك عما يسمى في علم الاجتماع الأوربي بالطوطم، في طفولة الجنس البشري وعصور السذاجة الأولى. أين ذاك كله من قول الله: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾.

المرفوض في هذا المنهج (بل اللامنهج) هو أن يوضع أهل القرآن الكريم في نسق واحد مع عقائد الوثنيين وعباد الآلهة المتعددة، ومع الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، وما هو من عند الله. فهل هذا من العلم في شيء؟ لست أظن أن هناك رابطًا بين المخلوق الذي عرفناه باسمه «الشيطان»، وبين المخاوف الساذجة والأوهام التي عرفها الإنسان القديم في سهول سيبريا أو في حوض الأمازون أو في مجاهل أستراليا أو في الأحراش الأفريقية. وعلى أية حال لم يكن البحث في عقائد القبائل البدائية مضيعة للوقت؛ فلقد أسفرت البحوث عن أن معظم القبائل البدائية –إن لم تكن كلها- اشتركت في اعتقاد بإله أعظم رب الأرباب أجمعين، قاهر لكل ما عداه.

وفي المقابل يرفض كثير من المشتغلين بالعلم موضوع «الشيطان»، لأنه –في مفهومهم- مما لا يقاس ولا يلاحظ ولا يختبر ولا يخضع للتجربة في المعمل ولا تضبطه المعادلات الرياضية، ولا تلتقطه شاشات الرادار، ولا يرصده التليسكوب هابل، ولا مجموعة أقمار التجسس «عاموس» وأخواتها.

ضحايا حالة من الفشل في التربية، وهو فشل لا يمكن التنصل منه، بعد أن تحولت بعض المجتمعات إلى (كباريه).

على الجانب الآخر لا يؤمن كثير من الباحثين في الفلسفة والعقائد بأن للدين مصدرًا سماويًا. واتساقًا مع عدم إيمانهم، فإنهم يقولون إن الشيطان هو (فكرة) نشأت في عقول الناس قديماً، أو (أسطورة وثنية) pagan myth توراثتها الأجيال عبر العصور، التي تطور فيها الذكاء البشري، حتى وصلت إلى (الأديان) فاستقرت في تعاليمها!!. وكأن العقائد صارت خاضعة لنظرية النشوء والارتقاء كما فهمها داروين!

وسار بعض الباحثين والكتاب العرب المعاصرين وراء هؤلاء، تقليدًا لهذا التوجه الذي لا يؤمن بالمصدر الإلهي للدين. فراحوا يبحثون ويرددون كلامًا مكرورًا عن نشأة فكرة الشر لدى الإنسان

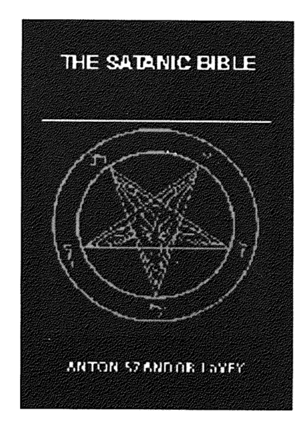
وفريق آخر يصر على أن الشيطان ليس كائنًا له وجود في العالم، لكن الأمر لا يعدو في تحليلهم مجرد مكونات في الوعي الباطن (اللاشعور)، ويصفونها أحيانًا بأنها العقد المكبوتة أو الرغبات غير المشبعة، مقلدين في ذلك آراء فرويد، الذي بنى أفكاره على معايشة مرضى القلق والهلوسة والوسواس القهري والفصام والاكتئاب وجنون العظمة.

لكن هذا لم يمنع طوائف من العلماء والمتفلسفين والفقهاء والأدباء واللغويين والأطباء (مع أحلاس من الحمقى والمغفلين) من الكلام عن الشيطان، لأنه قرين الحياة البشرية. وأقول: كم من حقائق فيها الناس يختلفون، وكم من أباطيل هم عليها يتفقون. وكم من حق أعوزه التأييد فاختفى وزال، وكم من باطل لايزال بمؤيديه أشد رسوخًا من الجبال.

مكمن الصعوبة في بحوث العقائد هو أن كثيرًا من المعتقدات هي مما يحرص أهله على كتمانه وطيه في عالم السر. لذلك تكثر في مثل هذه البحوث النقول غير الموثقة -كما في هذا المقال- لأن معرفة عقائد قوم تتطلب مخالطتهم دهرًا طويلاً. (كيف يمكنك أن تعرف أن طائفة تحرم على نفسها أكل الخس؟). وكلما حاولت أن تشير إلى معتقدات طائفة انبرى لك منهم من ينقض قولك، ويتهمك بعدم الفهم. (خذ مثلاً الاختلاف الكبير في اسم طائفة: هل هم «اليزيدية» نسبة إلى يزيد، أم «اليزدية» نسبة إلى يزد، أم «الايزيدية»). فحري بالباحث أن يمايز بين قول أصحاب العقيدة عن أنفسهم، وبين قول غيرهم عنهم. وحري بالباحث أن يلحظ أن بعض الفرق تطور عقائدها وتبدلها، فليس كل ما تحويه الكتب أبديًا مخلدًا. ومن الواجب أن نعلم أن اتفاق الأسماء لا يعني اتفاق المسميات: فليس كل الذين يتكلمون عن إبليس مثلاً يتكلمون عن شيء واحد متفق عليه. كما أن تناقل الكلام من شخص إلى آخر تتم فيه تحويرات واختلافات في فهم كل شخص. وكذلك ترجمة النصوص من لغة إلى أخرى تتضمن قدرًا من (الخيانة) وقدرًا من (الجهل). والأهم من ذلك كله ضياع الأعمال الأصلية.

ولم تعد القضية إن الشيطان له قرنان أو ذيل، وإنما ما يحدث اليوم هو عملية منهجية لتفجير الإسلام، وتفريغه من حقيقته، وإنكار التشريع الإسلامي بالكلية، ثم السخرية من كل كلام عن أي شيء مقدس. لا قرآن ولا نبوة ولا صحابة ولا فقه ولا حتى لغة. ويسمون ذلك (حداثة) و(ليبرالية جديدة).

لقد كانت البشرية -ولا تزال- في حاجة ماسة إلى الوحي الأخير الحق، بعد قرون من الخرافة والضلال. يذكر الدكتور مصطفى محمود أن «تاريخ الأديان بكل ما خالطه من أساطير، لا يمكن أن يكون مطعنًا على الدين الحق، وإنما هو رحلة العقل في مسراه ومعراجه نحو إدراك الحقيقة، وهي رحلة شائكة يتخبط فيها العقل ويتوه الوجدان، وتدمى الأقدام ويضل المسافر ويصطدم بالعديد من الأزقة المسدودة، قبل أن يهتدي إلى الطريق المستقيم. ودور الأنبياء أنهم اختصروا لنا الطريق، وقدموا لنا الحقيقة كلها دفعة واحدة، كما جاءتهم وحيًا». هكذا بعد طول الرحلة، وبعد



طول التخبط: بين من حافظوا على جسد الميت أبلغ المحافظة بالتحنيط، وبين من يفنونه أبعد الفناء بالتحريق.

فالحمد لله الذي علم الإنسان أن يقول: (سبحان ربي الأعلى) و (سبحان ربي العظيم).

وأياً ما كانت عقائد الناس في الشيطان، فهل من الممكن أن يتحصن الإنسان –الذي لم يعد يصدق الأساطير– في الألفية الثالثة من الأفاعيل الشيطانية؟ وهل لازلنا نتذكر صورة السجين ذي الكيس فوق رأسه وأسلاك الكهرباء في أطرافه؟ أعيد هنا ما نقله الدكتور خالص جلبي: «في ٨ أبريل عام ٩١ نشرت مجلة در شبيجل الألمانية في عددها ١٥ أن قافلة عراقية تضم ستين ألف جندي بطول ١٦ كم كانت في طريقها للانسحاب من الكويت تم عقابها على طريقة آلهة الأولمب فلم يرجع منهم مخبر». وأضيف: أيوجد تجسيد للشيطان أدل من سجن «أبو غريب». وهل توجد ساحة للشيطان أبشع من «جوانتانامو»! ومن قاذفات اليورانيوم المنضب، ومن عصابات (تجارة) الأطفال؟ ومن قلع شعب من أرضه، وسجنه وراء جدار عازل؟

دراكيولا مصاص الدماء صار بدائيًا جدًا أمام أحفاده في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، والشركات الاحتكارية وحماة الملكية الفكرية، ومنتجي البذور التي لا تنبت سوى مرة يتيمة لا ثاني لها، ولصوص الماس والنفط في أفريقيا، ومغتصبي براءة الشعوب.

غواصة نووية واحدة يمكنها أن تطلق من النيران ما يعادل كل النيران التي أطلقت في الحرب العالمية الثانية. وإذا كانت «العجلة من الشيطان» فنحن في عصر العجلة بامتياز؛ فقد كانت الحروب الساذجة تمتد أربعين عامًا، أما اليوم فالحرب تدمر كل شيء في أربعين دقيقة، ولو فتحت خزائن القنابل النووية، فعندها سينتهي كل شيء في أربعين ثانية.

فارق بين أن يعرف الإنسان الشيطان، وبين أن يتحول هو نفسه إلى شيطان. وأتفق مع أستاذنا العقاد إذ اعتبر أنه «يوم عرف الإنسان الشيطان كانت فاتحة خير» فنحن البشر ندرك الأخلاق حقًا

لم تعد القضية إن الشيطان لم قرنان أو ذيل . وإنما ما يحدث اليوم هو عملية منهجية لتفجير الإسلام . وتفريغه من حقيقته . وإنكار التشريع الإسلامي بالكلية . ثم السخرية من كل كلام عن أي شيء مقدس . لا قرآن ولا نبوة ولا صحابة ولا فقه ولا حتى لغة

من مسيرة الإنسان والشيطان. ومن الغرائب أن هناك من ينكرون وجود الشيطان، برغم أنه أرسخ وجودًا وأسبق من الإنسان نفسه!

الشر في عصرنا هو الشر في كل العصور، لكنه الشر الأضخم والأكثر: لا على المستوى الشخصي، بل على مستوى النظم والجيوش وحاملات الطائرات.

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى
بي الحال حتى صار إبليس من جندي

إن الشر الشخصي توارى خجلاً وضآلة أمام شرور الحكومات والأساطيل والتحالفات. من هنا كان الصحابي الجليل حذيفة مشغولاً بالمسألة ويقول: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي). وهو القائل: (تَعَلَّمَ أَصْحَابِي الْخَيْرَ وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ). لذلك فليس موضوعنا لونًا من المباراة الفلسفية، وإنما هو استقامة على الجادة (قل آمنت بالله ثم استقم). فمن الخير كل الخير أن نتذاكر شيئًا من نور النبوة الباقي فينا: (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ. ثُمَّ تَلَا «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»).

(إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ).

(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمَا تَحْقِرُونَ).

(عن عَلِيِّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا).

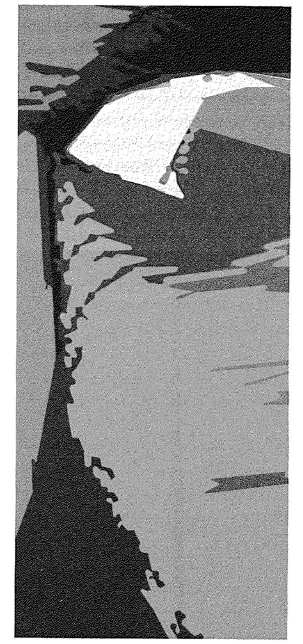
(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ).

(عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ. فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ. لَوْ قَالَ (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ) ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ. فَقَالُوا لَهُ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ. فَقَالَ وَهَلْ بِي جُنُونٌ).

(عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ).

فعلى كل من يعرف فرق ما بين التمر والجمر أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام آية الكرسي، ليجدد إيمانه بربه الواحد الأحد، وليجدد العهد والميثاق مع خالقه. وأن يصفي نفسه من الهواجس تجاه إخوانه. وأن يربأ بنفسه عن التحريش بين مسلمين. وألا يغيبن الله عن قلبه حتى في لحظة المتعة الحلال، وعند البيع والشراء، ودخول الأسواق. وأن يترفع عن السفسطة وعن الخوض فيما لا ينفع. وأن يذكر الله عند الغضب لينجو من سوء العاقبة. وأن يتحلى بأرقى السلوكيات وألطفها وأطيبها وأجملها، حتى لا يسخر منه شيطان الإنس أو الجن.(من الإنس شياطين:﴿شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام ١١٢)).

والمؤمن يتنزه عما أكرمه الله بالتخلص منه، من نواح على الميت ونحوه، ومن التحسر والندم على ما فات. والمؤمن لا يتشاءم من حلم رآه في



النوم: فالمؤمن في رعاية ربه. والمؤمن لا يماري ولا يجادل بالباطل. والمؤمن يدوم على حالين: ذكر الله والتعوذ من الشيطان. ومن استعاذ بالله من الشيطان لم يفعل فعل الشيطان، من خمر وقمار واتباع شبهات لا يعلمهن كثير من الناس. والمؤمن الحق ينسحق أمامه رهط الشيطان، وهو لا يعين الشيطان على أخيه. والمؤمن يضيء بيته بتلاوة القرآن وسماع الأذان.

وليكن الله أمام عين القاضي فينا والقائد والمعلم والمتعلم والتاجر والصانع والزارع.(إنّ اللَّهَ مَعَ الْقَاضي مَا لَمْ يَجُرْ فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ). «ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

والمؤمن يتحمل المسؤولية كل المسؤولية: لأنه سمع قول الله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم. وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي؛ فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾. فليس في الإسلام (ما يسمى بالخطيئة الأصلية) أو ذنب يرثه أحد من أبيه أو يورثه لبنيه. والمؤمن يعلم أن قدرات الشيطان محدودة ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾. والمؤن دومًا في كمال اليقظة والحذر وتمام التأهب لمواجهة الشر؛ لأن الله أخبره: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾. ولأن الله وصف الشيطان بالكفر، فقد تأكد النفور منه والفرار من إغوائه.

ولأن المؤمن عرف أعوان الشيطان، فهو يجتنبها كافة: الخمر والميسر، والفرقة بين المؤمنين، وتخمة الطعام، والغفلة عن ذكر الله، والجزع عند المصائب.

والمؤمن الحق يعرف جذوره الضاربة في أطناب التاريخ الإيماني (لا التاريخ الأسطوري) فعندما يرمي الحاج الجمرات في الحج فإنما يسترجع صنيع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. فعن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:«إِنَّ جِبْرِيلَ ذَهَبَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ فَسَاخَ ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ فَسَاخَ ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الْقُصْوَى فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ فَسَاخَ». ذلكم هو إبراهيم﴿يا أبت لا تعبد الشيطان: إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾. من هنا اقترنت الصلاة على إبراهيم بالصلاة على النبي الأكرم محمد صلوات الله عليهم. ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾. ورمي الجمار تأكيد على حتمية انتصار العبد المؤمن على الشيطان. والرجم رمز لذلك الانتصار. وعهد مع الله على تحقيقه.

وعود على بدء: أليس التعرف على الشيطان فاتحة خير؟ لو أن معاداة الشيطان جعلتنا على الدوام نستحضر ذكر الله في قلوبنا. لكان الشيطان بحق فاتحة خير لنا، لأنه جعلنا أبدًا منه على حذر. هذا هو مرادنا من الموضوع. وأما غير ذلك فمضيعة للعمر، وزيادة في قسوة القلب.■

مراجع

- عباس محمود العقاد. إبليس:بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم». طبع مرارًا.
- سامي سعيد الأحمد «الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان» بغداد -ط١-١٩٧٠.
- سيجموند فرويد «إبليس في التحليل النفسي». ترجمة جورج طرابيشي، بيروت ١٩٨٠.
- ناصر محمود وهدان «مفهوم الشيطان في الفكر العربي» ١٩٩٩ (دكتوراه).
- البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود وابن حبان ومالك وأحمد والدارمي.
- Mammon, Asmodeus, Beelzebul, Leviathan, Belphegor, Zabulon,
- HYPERLINK "http://www.angelfire.com/az٢/synagogasatanae/Pictures.htm"_http://www.angelfire.com/az٢/synagogasatanae/Pictures.htm.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الإسكندرية



الأدمي و التلبيس الشيطاني

جدلية الحرية والحتمية

أحميدة النيفر* - تونس

* أستاذ محاضر - جامعة الزيتونة .

إذا كانت مسألة «الشيطان» مشكلة شيطانية تستتر بحجب اللغة و شحناتها الرمزية فليس من المبالغة القول إن الشيطان في الفكر الإسلامي يمكن أن يعتبر أحد الأبعاد المؤسسة لمنزلة الآدمي الوجودية. لا أدل على هذا المعنى من الآية الكريمة التي تقرن بين سعي الشيطان وحرية الإنسان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾. أكثر من آية قرآنية تؤكد أن كيد الشيطان ضعيف، وأن وسواسه لا يمكن أن يؤثر إلا في النفوس المستكينة والعقول الساذجة، وأن تجنب غوايته ليس متعذرًا.

ما يعنينا في هذا الجانب الأول أن التوجه الذي ساد في أدبيات الفكر الإسلامي قديمًا وحديثًا نادرًا ما كان يعالج الحضور الشيطاني كما حرص عليه السياق القرآني الذي اهتم به أساسًا من زاوية دلالته البيداغوجية لتربية الجنس البشري.

أغلب ما انساق فيه الباحثون عند معالجة الموضوع كان إعراضًا عن الخطاب القرآني في تأسيسه لحرية الآدمي قيمة مركزية لمشروع استخلافه في الأرض.

بتعبير آخر، ظل موقع الشيطان يفضح مفارقة انساقت فيها عموم أدبيات الفكر الإسلامي. إذ صار هذا الكائن شديد الالتصاق بالمسحة العجائبية المروعة التي طبعته بها الوثنية العربية وما ركزه فضاء التصورات القديمة لشعوب ما بين النهرين وما رفدها من رؤى وافدة من الهند.

لقد تضاءل المقصد الأخلاقي للعبارات القرآنية المفيدة بأن الشيطان مذموم مدحور، وأنه سرعان ما يخنس ويتراجع، وأنه يتحالف مع نظرائه من الإنس، وأن الاستعاذة مما يسوله أمر ممكن، تضاءل هذا المقصد ليتضخم على حسابه خنوع مفزع يستهين بالذات الآدمية وإرادتها وحاجتها إلى روحية إيجابية تدعم مسيرتها الاستخلافية.

أكثر من هذا، لقد ساهم في هذا النكوص عدد من أصحاب المعاجم اللغوية الذين اعتبروا لفظة الشيطان مشتقة من الجذر «ش ط ن»، وأن الشطن هو «الحبل الطويل الشديد الفتل». لم يعتنوا بأن الكلمة دخيلة على العربية فلا حاجة إلى هذا التعسف في إرجاعها إلى ثلاثي يتضمن دلالة القوة والشدة.

بذلك لم ينتشر القول بالطابع السلبي للشيطان المقلل من أهميته. القاصر أمره على كونه أحد الحوافز لحياة روحية وأخلاقية تواجه نزعات الضعف والتخاذل. لم يبرز في فكرنا الأخلاقي- التربوي عامل التصادم البنائي مع الشيطان على اعتبار أنه عقبة يجب على الإنسان تجاوزها وأنه الافتراض الضروري الحافز للإرادة للتغلب عليه.

مع ذلك فقد حرص قديمًا عدد من العارفين والمفكرين والأدباء المجددين على الخروج من خطاب التثبيط والتخويف متمثلين بوعي قولة: عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد. ذلك كان شأن جلال الدين الرومي في المثنوي حين اعتبر أن الشيطان وأنانية الآدمي ليسا إلا شيئًا واحدًا، قبله كان رجل كابن سينا قد قلل من أهمية الشيطان ولم ير له سلطة فعلية. لم تختلف معالجة أبي عثمان الجاحظ في كتابه الحيوان المسألة فقد تناولها بأسلوبه المتميز المذكي للعقلية النقدية المتلمسة في الواقع الاجتماعي والثقافي ما يعتمل في نسيجه من تباين ومفارقات.

مثل هذه النماذج -على أهميتها وفعالية جهودها- لم تفلح مع توالي نكسات الحواضر الإسلامية في الصمود في وجه الذهنية الاتباعية المتوجسة من الانخراط في المسيرة الاستخلافية للآدمي.

نقرأ مثلا ما كتبه الحافظ ابن الجوزي البغدادي

(القرن السادس الهجري) في «تلبيس إبليس» فنجد عجبًا. من الاستعراض الحاشد للأحاديث والآثار والروايات المتعلقة بالشيطان نقف على انقلاب مفهومي خطير في هذه القضية. مرجع هذه الخطورة يعود إلى طريقة التعامل مع مسألة ليست من أصول الاعتقاد. لكنها تحولت مع ذلك إلى عنصر تأثير بالغ في المجالات الحيوية من الشخصية الإسلامية. تحقق هذا الانزلاق المفهومي نتيجة ذهنية وتصورات فرضت علاقة سلبية بالنصوص القرآنية والنبوية الصحيحة المتصلة بهذه القضية. يقول ابن الجوزي في مقدمة التلبيس معللاً اختياره لطرق هذا الموضوع:«وضعت هذا الكتاب محذرا من فتنه(الشيطان) ومخوفًا من محنه وكاشفًا عن مستوره...ورأيت أن أحذر من مكايده وأدل على مصائده فإن في تعريف الشر تحذيرًا عن الوقوع فيه ...».

وراء هذه النوايا الحسنة يكمن -في تقديرنا- صميم الإشكال الذي هو ليس في النصوص المعتمدة ولكن في الطريقة التي يستند إليها الكاتب عندما يتعامل مع تلك النصوص وينتقيها. جوهر الموضوع يتحدد في المنهج الفكري الذي يؤسس عليه الفهم ويلتزم به فيما يقع استنتاجه من جملة النصوص.

إذا كان مفهوم العداوة المعلنة بين الشيطان والآدمي أمرًا قارا فإن الفرق شاسع بين من ينزله ضمن معنى دفاعي متوجس ومن يفهم تلك العداوة في سياق بنائي يتحول فيه التحدي إلى عامل إبداع و تجاوز.

بتعبير آخر هناك اختلاف كامل بين من يعالج أمر الشيطان بمعزل عن كل بعد فكري وجودي ومن ينزل ذات الوجود ضمن دائرة الصراع بين حريتين: حرية تحولت إلى جبرية أحادية عندما تبنى الشيطان الشر خيارًا واحدًا أبديا وحرية الإنسان الذي يخطئ دون أن يتحول خطؤه إلى خيار نهائي.

ما فعله ابن الجوزي لا يعدو -في الظاهر- أن يكون من قبيل النصح لأخذ الحيطة، وهو أمر يراه البعض محمودًا لأنه يحمي المؤمن في حصن حصين. لكنه تعبير عن تسطيح في الفكر الديني لا يمكن أن يفضي إلا إلى تهافت نظرية التربية عند المسلم وشحوب للنموذج الذي يراد أن تتم تنشئة الأجيال عليه.

يتجلى هذا القصور بما نلحظه في الاتجاه الآخر عند أبي حامد الغزالي في كتابه «أيها الولد المحب» الذي ينطلق من رؤية مغايرة لذات الآدمي وضرورة الاهتمام بما تحمله من مكامن القوة و مواهب الحرية. بذلك تكون التربية عنده أولاً شحذًا وإبرازًا لقيمة الأفراد وطاقاتهم ضمن المجتمع. أما التحذير والتنبيه إلى المخاطر فلا يكون إلا بالتبعية والعرض، لذلك فأول ما افتتح به رسالته في التنشئة قوله :«إن النصيحة سهلة والمشكل قبولها» ذلك أن التحدي الرئيس في العمل التربوي هو الوعي بجدلية الحرية التي تمكن المعلم من الوصول بالمتعلم إلى أن يكتشف نفسه بنفسه. بناء الذات في ضوء هذه الجدلية لا تكون تلقينًا أو تخويفًا بقدر ما هي رهان على المتعلم يصل به إلى امتلاك زمام ذاته بنفسه. « لأن العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم لا يكون».

في هذا المستوى الأوّل يقترن البحث في مسألة الشيطان بتصور للتوحيد، وفهم لمسألة الشر وما يتولد عنهما من نظرية في التربية، أي أن إشكال بناء الذات الإنسانية هو أعقد من أي نزعة حمائية وقائية لأنه يتطلب وعيًا يؤسس لمعنى الوجود وتمثلاً شاملاً لوحدانية الله وعدله ومتطلبات موقع الآدمي المتميز بالعقل والحرية في الاختيار التربوي.

❖ التفسير و تشظي الوعي

يؤكد الدكتور المهدي المنجرة- أحد كبار المهتمين بالدراسات المستقبلية في العالم الإسلامي- أن سر الابتكارات التكنولوجية الغربية التي تحقق زيادة ضخمة في الكفاءة الإنتاجية يكمن في مدى النجاح الذي تحققه كل أمة في إقامة التربية والتعليم الملائمين للتغيير المجتمعي الذي تريده.

إذا كان مفهوم العداوة المعلنة بين الشيطان والآدمي أمرًا قارًا فإن الفرق شاسع بين من ينزله ضمن معنى دفاعي متوجس ومن يفهم تلك العداوة في سياق بنائي يتحول فيه التحدي إلى عامل إبداع و تجاوز

مثل هذا التأكيد يثبت عمق العلاقة بين نظرية التربية وخلفيتها العقدية وما تؤدي إليه من تصور للإنسان ضمن جدلية الخير والشر وتبعاتها على أرض الواقع وآفاق المستقبل.

لكننا إذا أردنا أن نفحص مسألة الشيطان بصورة أكثر تدقيقًا فإننا نجد أنها تتجاوز المجال العقدي- التربوي وما اعتراه في عالم المسلمين من ارتباك.

المسألة في جانبها الثاني تعود إلى النظرية المعتمدة في التفسير، ذلك أن ما أعان على تفكك نظريتنا التربوية وقوى فيها عنصر الترهيب ذلك المنهج السائد في تعاملنا مع النص القرآني.

كيف يمكن اعتبار مسألة الشيطان مثالاً كاشفًا يمكن من خلاله الوقوف على جانب ثان من جوانب تعثر تصورنا العقدي ومنظومتنا الفكرية و أثر ذلك في قصور فاعليتنا الحضارية؟

إذا بدأنا من جانب الخطاب القرآني فإننا نلاحظ أن الشيطان قد ذكر في سبعين آية بصيغة المفرد بنسبة ورود متقاربة جدًا بين عدد المكية منها والمدنية. لم يتجاوز عدد الآيات التي تستعمل صيغة الجمع، شياطين، أكثر من ثماني عشرة آية ثلاث منها مدنية فقط. أما وروده في كامل القرآن بتسمية إبليس فإنه انحصر في إحدى عشرة آية، اثنتان منها لم ترتبط برفض السجود لآدم.

إلى جانب هذا الحضور المحدود كميًا فإن دلالات الورود كلها تربطه بالفعل الإنساني وقدَره الاستخلافي. الشيطان مخلوق منعدم التأثير على العالم ومسيرة الكون، والشر- من ناحية ثانية - لا يصدر عنه بقدر ما يصدر عن النفس الإنسانية الحرة والمسؤولة. بتعبير آخر يمكن القول إن إبليس في الخطاب القرآني له مكانة هامشية جدًا مقارنة بالموقع المحوري للآدمي في المسيرة الكونية التي أرادها الله تعالى. هذا الفهم يعطي الخطاب القرآني طابعا مميزًا لا يمكن أن يخفى مقارنة ببعض الديانات الأخرى التي اعتنت بالشيطان.

ليس في القرآن الكريم أكثر من أن إبليس هو قائد حملة تضليل للآدمي يستعين فيها مع أعوان من قوى الشر. من هذه الناحية فهو مختلف اختلافًا كاملاً عمن ينطلق من وجود أصلين أزليين: النور والظلمة أو الروح والمادة ، يكونان دائمًا في حالة تصارع متواصل.



يختلف منطلق إبليس وأثره في الخطاب القرآني عن ذلك المعتقد لكونه لم يكن خصمًا لله تعالى و لا هو قائد لهذا العالم ولا هو إله لهذه الدنيا. إنه مخلوق مقر بسلطان الله أبى أن يسجد لآدم واستكبر عن الانصياع لأمر الله فهو ليس «أهريمان» خالق الشرور ولا هو يمثل مركز صراع دائم مع «أهور مزدا» إله الخير.

أصالة الخطاب القرآني إذن في مسألة الشيطان تتحدد أولاً في ضوء عقيدة التوحيد التي تنطلق من الأصل الواحد للوجود، وأنه تعالى في مفارقته للعالم يظل حفيًا به فاعلاً فيه. بذلك تحققت إرادة استخلاف الآدمي التي تقتضي حريته سنة لخلقه ضمن سيرورة الزمن. في هذه الدائرة التي تكرس اختيار الإنسان وقدرته على الاهتداء بين سبل الخير والشر يتأكد أن طرد الشيطان عن مقام القرب لم يكن اعتباطًا أو عفوا بل جاء نتيجة اختياره للشر مسلكًا ثابتًا لا يتحول عنه، بينما تكون دائرة استخلاف الآدمي لا تعني خيارًا نهائيًا لا رجعة فيه بل انفتاحًا على احتمالات مختلفة. وهذا ما يؤكده الخطاب القرآني المتعلق بالشيطان من إثبات لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال

داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم في الأرض ومبدأ تحقق خيار الآدمي المستخلف.

هذا ما يمكن أن تفضي إليه قراءة موضوعية لخصوصية الخطاب القرآني في مسألة الشيطان.

ما يعنينا في هذا المستوى أن عدم الاتفاق على نظرية في التعامل مع الخطاب القرآني وعلى أصالة هذا الخطاب أفضت ببعض المفسرين إلى أسئلة مثيرة نأت بالفكر الإسلامي عن المعاني والدلالات التي أسبغها القرآن على الإنسان والشيطان. من هذا القبيل اخترنا مسألة معبرة حصل فيها اختلاف عالجت كيد الشيطان. وهل هو أضعف من كيد المرأة؟

اختلف أهل العلم في هذا الموضوع على قولين:

- رأى البعض أن كيد المرأة أعظم من كيد الشيطان لظاهر نص الآية ﴿إنَّ كيدكنَّ عظيم﴾ بينما قال في الشيطان: ﴿إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ مما



يدل على أن كيدهن أعظم من كيده.

- يذهب آخرون إلى أن المسألة تحتاج إلى توضيح لبيان ما بين الآيتين من فروق لا تتيح المقابلة اللغوية بين العظم والضعف، ولأن كيد الشيطان اعتبر ضعيفًا لإمكان دحره والتخلص منه بالاستعاذة، أو الأذان، أو ذكر الله عمومًا أما كيد المرأة فهو عظيم لأنه من الصعب طردها والتخلص منها! إضافة إلى هذا فسياق الآية المتعلقة بكيد الشيطان يختلف عن السياق الآية المتصلة بكيد النساء في سورة يوسف.

خلاصة الاختلاف الذي انتهى إليه عدد من المفسرين هو أن كيد المرأة ليس أقوى من كيد الشيطان لأنه جزء منه، ولأنه يظل معتمدًا طريق الوسوسة المختلف عن طريق المواجهة التي تعتمدها المرأة.

ما الذي يعنينا في هذا الضرب من الخلاف وفي المعالجة التي اعتمدت من الجانبين؟

للإجابة لا مفر من التركيز على ما انزلقت إليه هذه المعالجة من رؤية تجزيئية شنيعة للخطاب القرآني. فلكأن الخائض في الموضوع عشي عن كل ما ذكره القرآن الكريم من آيات تكريم الإنسان واستخلافه وعن الآيات التي ذكرت المؤمنات الصالحات القانتات الحافظات للغيب، وعما وعد به سبحانه من عدل ونعيم لمن عمل صالحًا من ذكر وأنثى.

أخطر ما في المثال الذي سقناه هو هذا الذهول الفاضح عن «كليات القرآن» المكونة لوحدته الأساسية والتي تجعل له نظرة للعالم وموقفًا محددا من الحياة.

إنه القصور الذي يفضي إلى تشظي الوعي وإلى العجز عن الاهتداء لأنجع الحلول التي يتطلبها الواقع المتجدد والأحوال المتغيرة.

الحاجة إلى نظرية في التفسير تغدو – على ذلك – مطلبا معرفيًا وحضاريًا تعيد الاعتبار للتصور القرآني مما ينَسِّب أفهام القدامى ومعالجاتهم وما أحاط بهم من مناخ ثقافي واجتماعي خاص.

هذا ما نحسب أنه انتهى إليه فضل الرحمن في مطلع كتابه «الإسلام وضرورة التحديث» حين أكد في دراسته عن التغير الاجتماعي وعلاقته بالنزعة العقلية الإسلامية أن الأمر موصول بأسلوب تفسير القرآن، وأن تعثرات الحاضر وعدم نجاعة الأدوات الفكرية المعتمدة إنما يرجع إلى الافتقار إلى المنهج الصالح لفهم القرآن نفسه.

الجوهرانية والبؤس الإبليسي

يبقى بعد كل ما سلف جانب أخير يثيره موضوع الشيطان وطلبه الإنظار إلى يوم الدين. في هذا المجال تبدو أصالة الخطاب القرآني كاملة في معالجتها لمسألة الشر من منظور ثقافي مميز.

في ظل ما يعرف اليوم بصراع الحضارات وما ارتبط بهذه المقولة من تنظير وما نتج عنها من اختيارات، تتجاوز الشيطنة المجال الأنطولوجي الفكري والحقل الرمزي الديني لتصب في صميم بؤر التوتر والصدام في المستويين العالمي والإقليمي. ذلك ما يتيح للخطاب القرآني في أصالته التي عالج بها مسألة الشيطان معاصرة ونجاعة لافتتين للانتباه.

ماذا نجد إذا عدنا إلى المشاهد التي يتحدث فيها إبليس في النسق القرآني؟

لقد سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون متغير، وحين صار الطين صلصالا – يصل إذ ضرب كالفخار - نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حي. عندها ظهر إبليس الذي كان من الجن ففسق عن أمر ربه وأبى أن يسجد استكبارًا على اعتبار أنه خير من آدم: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. الحجة الإبليسية أنه لا يمكن لمن خلق من عنصر النار الذي هو أشرف من الطين أن يؤمر بالسجود إلى من هو دونه.

نحن-دون شك- أمام نظرة جوهرانية (Essentialisme) للكائنات والحضارات. هي نظرة تؤبد الاختلافات والفروق وتجعل منها حواجز عازلة لا يمكن تخطيها بأي حال.

بإزاء هذه الجوهرانية وفي الجانب الآخر من اللوحة القرآنية يظهر الآدمي بأبرز خصوصياته الذاتية : قدرة على النمو من حالة بدائية إلى مرحلة أكثر تطورًا واستعداد للوعي بأنه صاحب إرادة.

الآدمي وإبليس في اللوحة التأسيسية هما المشروع واللامشروع، الصورة بأفقها المفتوح وقرينتها المعكوسة التي نزلت إلى درك الخيار النهائي. ما اعتنى به إبليس مما اعتبره ضعة في الآدمي ألهاه عما ينطوي عليه هذا الكائن من قدرات تتيح له أخطاء و صعودًا عبر الحرية التي أعطاه إياها الخالق والتي لم تؤد به إلى خيار نهائي بل أتاحت له مجالاً مفتوحًا يمكن أن ينتهي بإعانة الله إلى المسلك الأفضل.

ما يقال اليوم تشهيرًا بالثقافة الإسلامية وقيمها ورموزها وبـ«عدوانية» الشعوب الإسلامية واستعدادها «الفطري» للعنف والفوضى . كل هذا عود لإنتاج الحتمية الإبليسية التي لم تر في الآدمي إلا مخلوقا بدائيًا وكائنًا معطوبًا لا يمكن تغيّره

الآدمي- على هذا - هو الإمكان، بينما الشيطان هو الحتمية. في الإمكان انفتاح وحرية ، والحرية صبغة إلهية أما الحتمية فطبع شيطاني؛ من رام الحرية كان متمثلاً لنفخة الروح فيه، ومن انصاع إلى الجبر عاد بما هو شيطاني. في الأول- الإمكان- ارتقاء عن طريق وعي الذات المتناهية الحرة. أما الثاني- الحتمية- فهو المثال عن الحرية البدئية التي هبطت إلى جبرية لا ترى في الآدمي إلا خصوصيات ثابتة ونهائية.

تلك هي المواجهة القديمة المتجددة.

ما يقال اليوم تشهيرًا بالثقافة الإسلامية وقيمها ورموزها وبـ«عدوانية» الشعوب الإسلامية واستعدادها «الفطري» للعنف والفوضى، كل هذا عود لإنتاج الحتمية الإبليسية التي لم تر في الآدمي إلا مخلوقا بدائيًا وكائنًا معطوبًا لا يمكن تغيّره.

لا تختلف عنصريات المركزيات الثقافية المعاصرة عن جوهرانية البؤس الإبليسي فهي في اعتقادها بتفوقها الذي لا يطال لا ترى في الآخر إلا مجموعة من الثوابت والطبائع المتناقضة الحاجزة عن كل تغيير.

نهاية المطاف تتحدد في علاقة مسلمي اليوم بالمشروع المؤسس وبأصالة الخطاب القرآني في أبعاده الثقافية والعقدية والتربوية.

السؤال الأهم هو : كيف يمكن أن نتجاوز بؤس الجوهرانية الإبليسية والانخراط بإيجابية في سيرورة التاريخ وفق الشروط المعرفية البشرية وضمن ثقة لا تفتر في العناية العُلوية؟

ذلك هو التحدي الأكبر الذي يواجه المسلم المدرك للخط الفاصل بين شيطانيته وآدميته ■

لمحات «شيطانية» من الثقافة الغربية

محمد الدعمي* - العراق

* جامعة بغداد .

ينطوي لفظ «الشيطان»، تلقائيًا، على معان ودلالات سلبية في ذهن المستمع. بل إن إطلاقه على شخص ما أو وصف تصرفاته بأنها شيطانية يُعد إهانة لا يمكن التسامح معها بالنسبة للكثيرين نظرًا لمرادفة اللفظ لكل ما هو شرير ومظلم ومراوغ.

إن شيوع عادة لعن الشيطان في أغلب المناسبات وتكرار الاستعاذة بالله منه عند ارتكاب الخطأ وعدم القدرة حتى على التركيز أو التذكر يقدمان دلائل على دينية الفرد وتمسكه بحبل الله واستعدائه للنزعات الشريرة. لذا دخلت الكلمة في اللغات المتنوعة، خاصة في اللغة اليومية الشائعة، مولدة دلالات سلبية، إذ لا يمر يوم دون سماع عبارات من نوع: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، أو «لعنة الله على إبليس»، زيادة على الإشارة إلى «ألفاظ» تُربط دائمًا بالشيطان، من نوع: «يوسوس»، «الخناس»، «رجس»، «الرجيم». كما تغلغل اللفظ حتى إلى لغة السياسة والإعلام، إذ يصف بعض الساسة خصومهم بأنهم «شياطين»، بينما ينعت إعلام دولة دولة أخرى بتعبير «الشيطان الأكبر»، كناية عن التحايل والمكر والخداع. ويلتصق اللفظ بقوة بجميع الأعمال غير القانونية والأفعال المحرمة، إذ ارتبط الشيطان بممارسة المحرمات وبارتكاب الجريمة وبالإغواء الجنسي غير المشروع، إضافة إلى تواشجه بالسحر والشعوذة وإساءة استعمال نصوص الكتب المقدسة. لذا وُصفت هذه الأعمال المحرمة والأنشطة السرية بأنها من «الفنون الشيطانية». وقد تجاوز اللفظ هذه الحدود ليغدو أكثر شيوعًا بمعان من نوع الاحتيال والحيلة وحتى الذكاء والقدرة على المناورة: فيوصف الطفل (خطأ) بأنه «شيطان»، بمعنى أنه محتال أو قادر على التحايل والتدبير.

«الشيطان» في الثقافة الشعبية الغربية

وإذا كانت مثل هذه الألفاظ والدلالات متاحة بكثرة في لغتنا العربية الجميلة، مستوحاة من ثقافة دينية راسخة ومتواصلة، فإنها تظهر كذلك في اللغات الأخرى (شرقية وغربية). ليس فقط بين الأقوام التي تحتضن الأديان المنزلة (كاليهودية والمسيحية إضافة إلى الإسلام)، بل كذلك بين أتباع الأديان الأخرى، كالعبادات الوثنية والمشركة والثنوية وسواها. لذا ابتكر العقل الجمعي والشعبي ألفاظاً خاصة لتسمية الشيطان وتحديده وتوصيفه. وإذا كانت لغة القرآن الكريم قد قدمت العديد من الألفاظ في هذا المجال، فإن اللغات الأوروبية هي الأخرى قد وضعت الألفاظ الخاصة بالشيطان، ومنها الألفاظ المستعارة من اللغات السامية (العربية والعبرية الأصول) من نوع Satan، ومنها الألفاظ غير المستعارة من نوع Devil أو Mephistopheles أو Lucifer أو Teufel وسواها كثير. وتشيع في الثقافة الشعبية في عصرنا هذا «متغيرات» لصورة الشيطان، كما يتخيلها البعض، فهي ترتبط (في السينما الأميركية خاصة) بشكل المرأة الجميلة المغرية القادرة على جرف الرجل وحرفه عن طريق الاستقامة والأخلاق الحميدة، زد على ذلك توظيف هذه الصورة لابتكار «أقوام أسطورية» من نوع مصاصي الدماء Vampires واختلاق عوالم الموتى والمقابر والسحر والقلاع المهجورة

والبيوت المسكونة، على سبيل الإثارة ومغازلة ميل الإنسان إلى اكتشاف العوالم السفلية الغامضة. وهذه، حسب الخيال الشعبي، هي الأماكن المظلمة التي يفضلها الشيطان وينشط فيها «أتباعه» من «الشيطانيين» والمتشيطنين، هؤلاء الذين «باعوا» أرواحهم لهذا «الملاك المحتال» مقابل تلبية نزوات أو رغبات أو تحقيق أمنيات دنيوية تبعدهم عن الله عز وجل. لذا عمدت الرواية القوطية Gothic في الأدب الإنكليزي إلى استثارة عواطف القارئ من خلال القصص الذي يتموقع في القلاع المهجورة التي تسكنها البوم والتي تعصف بها الريح حيث تنتشر رائحة الموت وتتبلور فكرة مرور الزمن عبر عوالم يغادرها الإنسان وتسكنها الأرواح الشريرة.

الشيطان في الأدب الإنكليزي

ويتيح الاطلاع على الآداب الغربية التعامل مع الشيطان، فكرة ومفهومًا موسعًا، ليس في هذا النوع فقط المار ذكره من الرواية، بل كذلك في نوع أدبي مهّد الطريق لظهور الحركة الرومانسية، وأطلق عليه عنوان «شعر المقابر» Graveyard Poetry. ويمكن الاطلاع على أعداد كبيرة من النتاجات الأدبية والإعلانات الثقافية التي توظف الشيطان، كائنًا مصورًا، في كتاباتها. ولا يفلت أي متابع لهذا الحقل الثقافي من ملاحظة «أقوى» صورة أدبية للشيطان في الملحمة الشعرية العملاقة التي ألّفها الشاعر والوزير البيوريتاني جون ملتون Milton بعنوان «الفردوس المفقود» Paradise Lost، المستوحاة من القصص الإنجيلي ومن قصة الخلق والخليقة. يقدم ملتون في هذا العمل الشعري الملحمي (الذي يضعه بعض النقاد بالمرتبة الثانية بعد أعمال شكسبير) صورة مؤثرة ودراماتيكية لقصة سقوط «أجمل الملائكة» من الفردوس (لنلاحظ أن الشيطان يصور في التخطيطات التصويرية المرافقة لهذه القصيدة بشكل رجل أشقر له جناحان)، نظراً لتمرده على إرادة الخالق. وهنا يظهر الشيطان، ليس فقط كواحد من الملائكة التي خلقها الإله، بل كذلك بوصفه أكثر الملائكة كمالاً بالدرجة التي «أهّلته» للغرور وللتمرد على خالقه على طريق تأسيس مملكة الشر المبتناة على كل ما من شأنه رفض الإرادة الإلهية واستدراج المخلوقات إلى مملكة التمرد والعصيان. لذا كان استهداف الإنسان من قبل الشيطان لغرض إغوائه وحرفه عن الصراط المستقيم هو جوهر رسالة الكتب المقدسة التي استعار ملتون منها فكرته ليصبها في عمل إبداعي تعليمي الأهداف.

وهذه هي نفس الفكرة المستوحاة من الصورة الإنجيلية الشائعة التي تمثل قصة سقوط آدم وحواء من الجنة (جنة عدن) إلى الأرض. وحسب التقديم الإنجيلي لهذه القصة: ترى الصورة الشائعة التي تمثل آدم وحواء عراة وهما يقفان إلى جانب الشجرة المحرمة، بينما تمسك حواء بـ«التفاحة» لتقدمها إلى آدم. أما الصورة الشائعة في الرسومات الغربية للشجرة فهي صورة لشجرة خضراء جميلة تلتف حولها حية، رمزًا للشيطان. وبحسب التفسير الإكليريكي المسيحي لهذه الصورة، فإن الشجرة هي رمز لـ«شجرة المعرفة» والتفاحة هي رمز «للفاكهة المحرمة»، حيث حرم الخالق الإنسان من المعرفة ووضعه في فردوس أبدي لا يحتاج فيه للمعرفة. وتذكر الحكاية الإنجيلية بأن الله عز وجل قد خلق آدم وحواء عراة في حديقة أزلية يتوفر فيها كل شيء من طيبات الأثمار والمشروبات والسعادة. بيد أن مجرد تناول ثمار هذه الشجرة سيمنح الإنسان «المعرفة» التي تجعل «العقل» سيدًا على «الإيمان»

> **كان العقل الغربي، عبر تاريخه، غالبًا ما ينزع إلى الربط بين الشرق والشيطان، تعسفًا، تأسيسًا على الاعتقاد الخاطئ بأن المسيحية الأوروبية تمثل الإيمان «الأوحد» وأن ما عداها من أنظمة دينية وتقاليد روحية هي: إما وثنية أو كافرة أو محرفة عن المسيحية بفعل ابتعادها عن الكنيسة**

الروحي، والتي تُتوج الإنسان سيدًا على نفسه. وهكذا طرد الخالق آدم وحواء من الفردوس حال تناولهما (بإغواء حواء) شيئاً من الفاكهة المحرمة The forbidden fruit. كانت هذه هي «الخطيئة الأولى» التي (حسب العقائد المسيحية) صُلب يسوع المسيح عليه السلام، مضحيًا بنفسه، من أجل إزالتها عن الإنسان غير المعصوم. وهكذا يتواشج «الشيطان» بقوة مع الآداب الغربية، خاصة بين الأمم التي يعتنق غالبيتها المسيحية، ذلك أن مثل هذا القصص الإنجيلي يشكل الخلفية الروحية الشائعة في نظامهم الديني: لذا يظهر الشيطان مرادفاً للملعون والمخادع والكذاب والمتمرد والثائر والمغري.

ملاك الظلام في عصر الأنوار

على الرغم من أن تتبع ورصد صورة الشيطان



ودلالاتها في الآداب الغربية تحتاج إلى عشرات المجلدات، فإن أعمالاً مفتاحية من نوع مسرحية كريستوفر مارلو Marlowe المعنونة «الدكتور فاوستس» Dr. Faustus تستحق الملاحظة في مثل هذا السياق نظرًا لأهميتها الرمزية في تاريخ أوروبا. وقصة الدكتور فاوستس هي قصة الباحث العالم الذي سبر أغوار المعارف بالدرجة الكافية لاستشعاره داخليًا بـ«الكمال» وبأنه مخلوق كامل لا ينقصه شيء لأنه قد «توّج» العقل بديلاً عن الإيمان الروحي، و«التجربة» بديلاً عن التنزيل. هذا الاختلال المأساوي كان وراء اعتقاده بأنه مخلوق «كلي» القدرات: لا تحد قدراته وآفاقه أية قوة. فخدم هذا الضعف الذي يخترقه الغرور منفذًا نفذ منه الشيطان إلى حياة هذا الفيلسوف العبقري. والمسرحية في أغلب صفحاتها تتشكل من قصة وتفاصيل الحوار السري بين الفيلسوف والشيطان، وهو محور الصراع المركزي بين إرادتين وذهنيتين متناقضتين أدتا إلى أن قاد الغرور و«تأليه» العقل الدكتور فاوستس إلى إمضاء «عقد» قام بموجبه ببيع روحه إلى الشيطان. وهكذا امتلك الشيطان روح الفيلسوف فاوستس، ليؤشر عصرًا جديدًا في تاريخ أوروبا وهو عصر النهضة والاستنارة: حيث تحولت أوروبا من كينونة إيمانية التمحور (مركزية الكنيسة الكاثوليكية) God-centered Europe إلى كينونة بشرية التمحور Man-centered، تتوج الإنسان وتعظم الروح التجريبية. وهنا يكمن شرح «الانتقالة» في التاريخ الأوروبي من العصر الوسيط (عندما كانت أوروبا عالمًا مسيحيًا واحدًا يتربع البابا على رأسه Christendom) إلى عصر النهضة الذي شهد تتويج الإنسان والإيمان بقدراته اللامحدودة على الإنجاز العلمي والتقني. حدث هذا كله في اللقطة الرمزية عندما «باع» فاوستس (رمزًا لأوروبا كلها) روحه للشيطان الذي اشترى هذه الروح مقابل «هدية» المعرفة والقدرات البشرية اللامحدودة. من هنا ينظر المؤرخون إلى عصر النهضة والاستنارة على أنه العصر الذي شهد أكبر منجزات الإنسان العقلية التجريبية (المادية وليست الروحية)، ذلك أنه العصر الذي شهد اكتشاف العوالم الغامضة والقارات الجديدة

(أميركا وأستراليا وسواهما)، عصر رجال من نوع كولومبس. كما أنه عصر الاختراعات والابتكارات، كالطباعة والبارود التي آلت إلى ظهور الروح القومية الشوفينية، ومن ثم الدولة القومية في أوروبا (ألمانيا، إيطاليا، فرنسا، وسواها). لقد كان فعل الشيطان (في قعر العقل الأوروبي) فعلاً فظيعًا لأنه تمكن من إقصاء سلطة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة لإحالة أوروبا إلى مجموعة دول قومية متخاصمة، بعد أن أحيا اللغات القومية التي كانت تُعد لغات محلية «محتقرة» مقارنة بلغة الثقافة في



القرون الوسطى، اللغة اللاتينية. من هنا تكون شخصية الدكتور فاوستس رمزًا للانجراف في التيار الشيطاني الذي تسبب في أن تنسى أوروبا الخالق وأن تتشبث بـ«العاصي» أو «المتمرد» الذي قدم لها المعرفة والذهنية التجريبية بديلاً عن الإيمان الروحي.

شرقنة الشيطان

كان العقل الغربي، عبر تاريخه، غالبًا ما ينزع إلى الربط بين الشرق والشيطان، تعسفًا، تأسيسًا على الاعتقاد الخاطئ بأن المسيحية الأوروبية تمثل الإيمان «الأوحد» وأن ما عداها من أنظمة دينية وتقاليد روحية هي: إما وثنية أو كافرة أو محرفة عن المسيحية بفعل ابتعادها عن الكنيسة. ويبدو أن رواية سلمان رشدي سيئة الصيت «آيات شيطانية» Satanic Verses التي أحدثت الكثير من الامتعاض في العالم الإسلامي لم تكن سوى رأس جبل الجليد الذي تختفي كتلته تحت سطح محيط من الضغائن والتصويرات المشوهة والمفاهيم المسبقة التي كوّمها الغرب عن الشرق، الشرق العربي الإسلامي خاصة. وتزخر أدبيات الاستشراق (خاصة الاستشراق التاريخي) بالكثير من القرائن التي تساعد المرء على التنقيب في قعر العقل الغربي لاستخراج ما يكمن عليه من مثل هذه المفاهيم الخاطئة للحضارات وللثقافات الشرقية عامة. فعلى الرغم من اعتراف أوائل المؤرخين الأوروبيين (في القرون الوسطى المتأخرة) بالإسلام كدين توحيد، إلاّ أن تورخة قصة الإسلام وحياة الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وتطور «مؤسسة» الخلافة - إذا ما استعرنا مصطلحاتهم المفضلة - تعكس ذلك الشعور «الوسواسي» الذي شاب الذهنية الأوروبية في أن هذا الدين الحنيف إنما يشكل «انحرافًا» عن عقائدهم برغم ارتكانه إلى عقيدة التوحيد. لذا ركزت تواريخهم للأمم الإسلامية على استلال الجوانب «المظلمة» والبقاع السلبية التي شابت هذا التاريخ، بدلاً من أن تركز على انتخاب الجوانب المشرقة والمضيئة فيه. لقد كان جُلّ ما كُتب عن المسلمين والسلاطين والخلفاء مستوحى من الأسطورة ومن الأدبيات الخرافية التي تؤول إلى تشويه الإنسان المسلم، ثقافته

وعقائده، بوصفه ضحية لكينونة يركبها الشيطان. لذا كان التركيز الغربي على أعمال فولكلورية من نوع «ألف ليلة وليلة» أكبر من التركيز على الحركات الفكرية والفقهية والفلسفية أوعلى الشواخص المشرقة في ماضينا والمتمثلة بأبطال الثقافة والفكر والعلوم. بل إن القراءة النقدية المستنيرة لأدبيات الاستشراق حتى في العصر الحديث تدل على تواتر هذا «الاستمكان» التعسفي الذي تعمّده بعض المستشرقين لدفع كل ما هو «شيطاني» إلى الأمام (خاصة في العناصر الطارئة على تراثنا من الأمم الأعجمية) ضمن جهودهم لرسم الصورة التي يرغبون بها للشرق: فقد كانت صور الخلفاء والمتنفذين غالبًا ما ترتبط بالفنون «الشيطانية» أو بـ«السحر الأسود» وبالاعتقاد والتشبث بالغيبيات والماورائيات. كما كانت شخصية السلطان (الشرقي، المسلم، الأسمر) لا تفارق شخصية «ساحر» البلاط الذي يعتمد مثل هذه «الفنون» الشريرة للنبوءة وللتأثير على مجريات الأحداث الشخصية والعامة. ويبدو أن أفضل نموذج لهذا النوع من «التحالف» بين السلطان والساحر يتجسد في تورخة أبي الأدب الأميركي، واشنطن إرفنغ Irving، لقصة ظهور وسقوط الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، خاصة في كتابه المهم «الحمراء» The Alhambra.

استشراق عصر الثورة الصناعية

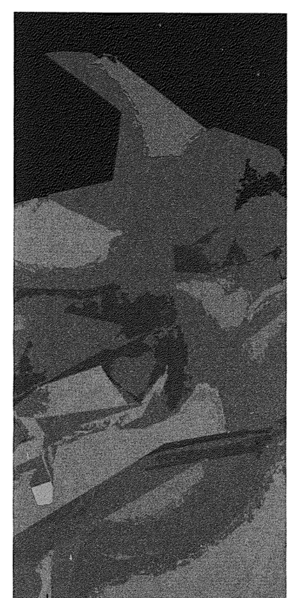
وإذا كان القرن التاسع عشر (عصر الثورة الصناعية) قد جسّد هذا الميل الغربي إلى اعتبار الشرق العربي الإسلامي كينونة «شيطانية» أو كينونة «يمتطيها الشيطان» ينبغي دراستها وتجنب محاكاة نموذجها، فإن هذا الميل يتبلور في كتابات مؤسس حركة أوكسفورد The Oxford Movement، الكاردينال جون هنري نيومن Cardinal Newman حيث إن كتابه الموسوم بـ«تصويرات تاريخية: الترك وعلاقاتهم بأوربا» Historical Sketches يؤشر لهذا النوع من الاستثمار السلبي، المتعسف والمتحامل دينيًا، لدور الإسلام والمسلمين في التاريخ. إن هذا المجلد المهم والمنسي مستوحى من أحداث «حرب القرم» ومن موضوع تدخل بريطانيا وسواها من الدول الأوروبية

> إنها لمن المفارقات الطريفة التي تستدعي التندر أن نلاحظ أن «سوق» الفنون الغيبية الشيطانية تروج في الدول الغربية على نحو يفوق بكثير رواجها في الدول الشرقية

لصالح الدولة العثمانية ضد الروس. وإذا كان هذا موضوعًا سياسيًا طارئًا، فإن الكتاب يوفر للباحث المسلم بيّنة تاريخية خطيرة توثق اعتقاد نيومن وسواه من كبار رجال الدين الكاثوليك أن الأتراك لا يستحقون أن يكونوا إمبراطورية كبرى، وبأن واحداً من أهم أسباب ذلك يرد إلى اعتناقهم الإسلام. وبالرغم من احترام نيومن للعرب (على نحو يميزهم عن الأتراك) لأنهم «شعب ذو عمق»، شعب ميال للعلوم وللتحضر والثقافة، فإنه يرى أن الإسلام كان يشكل سلاحًا ذا حدين على أيدي العثمانيين بسبب تموقعهم الجغرافي بين الشرق والغرب: بمعنى احتلالهم إقليمًا في «الوسط»، بين «إقليم الشيطان» (الشرق الأقصى: الصين، الهند، منغوليا) من ناحية، وبين «إقليم الرب» (الغرب: أوروبا، المسيحية، الآرية). وتأسيسًا على هذا الاستمكان الاعتباطي الذي اختلقه هذا الكتاب المهم، يذهب المؤلف مذهبًا خطيرًا في تشويه هذا الدين الحنيف، قائلاً إن الأتراك العثمانيين إنما يمثلون «أداة الخالق» عندما يتوجهون نحو الشرق الأقصى حيث تنتشر الأديان الوثنية والمشركة؛ بينما هم يمثلون «أداة الشيطان» (والعياذ بالله) عندما يتوجهون إلى الغرب (أوروبا)، في إشارة حقود إلى الفتوحات العثمانية التي طالت أوروبا من بلغاريا واليونان إلى هنغاريا والنمسا، ناهيك عن طرائق تعامل الفكر الغربي مع قصة الوجود العربي في الأندلس الذي تواصل لحوالي ثمانية قرون. لنلاحظ هذا النص المهم حول دور الأتراك العثمانيين: «إنهم يقفون بعقيدتهم بين دين الله

ودين الشياطين، بين المسيحية والوثنية، بين الغرب والشرق الأقصى... بين المسيح في الغرب، والشيطان في الشرق». هذه الازدواجية تشكل خلفية تأطيرية يصعب على العقل الغربي الإفلات منها، وهي عقلية تنظر إلى الشرق باعتباره إقليمًا شيطانيًا طافيًا على بحار من اللذات والممارسات المحرمة، ابتداء من غياب اليقين وانتهاء باضطهاد المرأة أو «الحريم» Harem، كما يفضلون تسميتها.

وإذا كانت مثل هذه المفاهيم الاستشراقية الخاطئة قد أخذت تتلاشى في عصرنا الحاضر بسبب التواصل الحضاري والحوارات الثقافية وثورة الاتصالات، فإن مثل هذه التصويرات



المشوهة تستحق المراجعة من قبل الإنسان العربي والمسلم لأنها تساعده على التنقيب في العقل الغربي، ليس من أجل تغذية الضغائن والروح العدائية، بل من أجل تغذية التفاهم والتلاقح الثقافي على سبيل تجاوز الكبوات وإزالة تراكم الأحقاد، حيث إن مثل هذا الجهد لابد أن يفضي إلى رفع ما رسب في قعر العقل الغربي من تشويهات عبر تاريخ طويل من الارتطامات الحضارية والاحتكاكات العسكرية والتحديات الفقهية التي منعت مد جسور التفاهم والتعايش السلمي.

ويبدو أن هذا التوصيل الغربي الشائع بين الشرق عامة، وبين ما يمكن أن نسميه بـ«الفنون الشيطانية» (كالسحر والشعوذة وسواها) قد بقي مستمراً من عصور الصراع بين الشرق والغرب حتى اليوم. متبلوراً في الثقافة الشائعة وفي السينما وحتى في أفلام الصور المتحركة: فغالبًا ما تصور شخصية المشعوذ أو الساحر وهي ملفوفة بـ«عمامة» شرقية، بينما تظهر النسوة المرافقات له بملابس شرقية كذلك، ابتداءً من العباءة وانتهاءً بالساري الهندي. إنها لمن المفارقات الطريفة التي تستدعي التندر أن نلاحظ أن «سوق» الفنون الغيبية الشيطانية تروج في الدول الغربية على نحو يفوق بكثير روجانها في الدول الشرقية، إذ يكثر ظهور الدجالين والكذابين وتزداد المعتقدات الغيبية والأديان المزيفة والكاذبة في مثل هذه المجتمعات التي آلت بها ماكنة الصناعة والتقدم المادي الوحيد الجانب إلى البحث في عوالم الغيب والخرافة والأسطورة عن مهرب من «الأرض اليباب» The Wasteland التي صورها الشاعر الكبير ت. س. اليوت Eliot كمرآة لنكوص الإيمان الروحي وتراجع الأنظمة الدينية في عالم متعام يلهث وراء أوثان المال وأصنام المادة الصماء. وهذا ما يكمن وراء ارتجاع عمالقة الثقافة الغربية إلى البحث الأنثروبولوجي في أصول السحر والشعوذة والطقوس الشيطانية والأسطورية في مجلدات كبيرة من نوع مجلدات كتاب السير جيمس فريزر Frazer الموسوم بـ(الغصن الذهبي) The Golden Bough.■



زورونا الآن
www.almarefah.com

www.almarefah.com www.almarefah.com www.almarefah.com www.almarefah.com www.almarefah.com www.almarefah.com www.almarefah

الشيطان في الثقافة الأمريكية

علاء بيومي* - امريكا

*باحث عربي.

من يظن أن الحديث عن نظرة الأمريكيين للشيطان أمر سهل فهو مخطئ. فقضية الشيطان مسألة في غاية الصعوبة والتعقيد نظرًا لأن الشيطان أشبه بميراث بشري عام تتقاسمه مختلف الحضارات البشرية، فهو قضية أساسية مثل الخير والشر والأخلاق يستحيل غيابها عن حياة البشر.

كما أن وجود الشيطان في الثقافات ليس ضروريًا فحسب وإنما هو محوري أيضًا، فالشيطان يرتبط بظواهر ثقافية كبرى ومعقدة كالدين والثقافة والتاريخ تغذي فهم الشعوب له. كما أنه يتطور عبر الزمن وعبر الاحتكاك مع الثقافات المختلفة.

هذا يعني أن نظرة الأمريكيين للشيطان معقدة صعبة الفهم، فليس هناك نظرة واحدة واضحة للشيطان بالمجتمع الأمريكي، وإنما هناك نظريات عديدة ومختلفة ومتصادمة أحيانًا.[1]

لذا نحذر - في بداية هذا المقال - من بعض الكتابات التي تتناول الثقافة الأمريكية من منظور تسطيحي متحيز يختزل النظر إلى الثقافة الأمريكية على أنها شر أو خير كامل، فالتحدي الحقيقي هنا هو أن نفهم خبرة الثقافة الأمريكية في التعامل مع الشيطان كنموذج معقد لثقافة بشرية متقدمة سعت للتعامل مع ظاهرة الشيطان – صعبة المراس - وذلك بهدف أن نتعلم دروسها المستفادة.

موت الشيطان

إذا أردنا أن نستشعر بشكل سريع ومباشر صعوبة الجدل الأمريكي حول الشيطان فلابد أن نتناول نظرية «موت الشيطان» التي تمثل – من وجهة نظري – جوهر الجدل الدائر بالثقافة الأمريكية حاليًا حول الشيطان.

نظرية «موت الشيطان» ليست نظرية فلسفية فقط، بل هي ظاهرة يمكن أن يشعر بها المسلم والعربي المقيم في الولايات المتحدة لعدة سنوات. إذ يمكن بوضوح أن يلاحظ هذا المهاجر أن الأمريكيين لا يتحدثون كثيرًا عن الشيطان. صحيح أن هناك أفلامًا أمريكية عديدة تنتمي إلى سينما الرعب المليئة بالمخلوقات المتوحشة القادمة من الأرض والبحر والسماء، وصحيح أيضًا أن الأمريكيين يحتفلون كل عام بعيد «الهلاوين» الذي يخصص لطرد الأرواح الشريرة، ولكن في المقابل هذه الأفلام والعادات لا تخرج عن كونها مظاهر جماهيرية يسخر منها

الأمريكيون أو يمارسونها من قبل المرح والتلاهي لا من قبل الإيمان بها أو تصديقها أو اتباعها.

أكثر من ذلك يمكن القول إن المساجد والمراكز الإسلامية بالولايات المتحدة لا تتحدث إلا نادرًا عن الشيطان، فالحديث بتلك المؤسسات عادة ما يركز على تحفيز المستمعين لشحذ الهمة وترويض النفس على العبادة وعلى العمل الجاد داخل المجتمع لتغيير ظروف المسلمين الخاصة وظروف المسلمين كأقلية أمريكية بصفة عامة.

وقد يعود هذا إلى طبيعة المجتمع الأمريكي كمجتمع مفتوح ومليء بالفرص بشكل نسبي، هذا إضافة إلى انتشار العديد من القصص التاريخية عن كفاح المهاجرين ونجاحهم في الاستقرار في أمريكا، وهي ظاهرة تعرف أحيانًا بالحلم الأمريكي.

ولكن الظواهر السابقة تعكس في جزء منه نظرية «موت الشيطان» وهي نظرية قائمة وذات وجود بالفكر الأمريكي وتغطيها دراسات مختلفة.(٢)

من قتل الشيطان؟

ترى بعض الدراسات أن الحداثة وعصر التنوير قضيا على الشيطان، وذلك لأن التنوير الأوروبي العلماني رفض الإيمان بالغيبيات بشكل عام بما في ذلك الآخرة ووجود الإله ووجود الملائكة أو الشيطان، ومن ثم أصبح الحديث عن الشيطان أمرًا مرفوضًا.

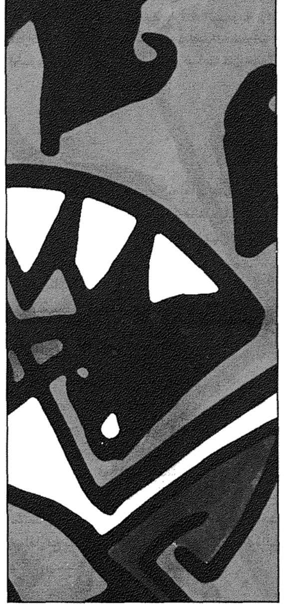
ويرى هؤلاء أن الشيطان كان موجودًا في الثقافة الأمريكية في القرن الثامن عشر، ولكنه بدأ ينمحي تدريجيًا منها حتى أصبح الحديث عنه نادرًا بالمجتمع الأمريكي خاصة وسط المؤسسات الأكاديمية الأمريكي التي تنظر إلى الحديث عن الشيطان على أنه نوع من الخرافة.

ولكن هذا لا يعني أن الشيطان اختفى تمامًا من أمريكا. فمازال موجودًا وسط الجماعات المسيحية المتدينة، كما أنه مازال موجودًا في الثقافة الجماهيرية من خلال الأفلام وبعض القصص والخرافات والأساطير الشعبية الأمريكية التي يرددها الأمريكيون من قبيل التسلية لا من قبل الإيمان أو العظة.(٣)

الحداثة وحدها لا تكفي

إلقاء اللوم على الحداثة في قتل الشيطان ليس كافيًا، إذ تشير الدراسات المعنية إلى أن الحداثة والتنوير لهما شركاء عديدون في «جريمة» قتل الشيطان، وهذا يعني أن الصراع على حياة الشيطان أو موته في أمريكا ليس صراعًا دينيًا/علمانيًا محضًا، فالصراع له أبعاد أخرى هامة.

أحد هذه الأبعاد هو الفكر الأمريكي في بعض جوانبه المثالية، كما تظهر في كتابات مفكرين مثل رالف والدو إمرسون الذي بالغ في التأكيد على ضرورة أن يثق الإنسان بنفسه وبقدراته وبالمستقبل



وبقدرته على تغيير مستقبله نحو الأفضل. لذا عاب البعض على إمرسون إفراطه في التفاؤل ونظرته المثالية للحياة وللبشر إلى درجة نسيانه الحديث عن الشر مما أضعف قدرة الأمريكيين على فهم الشر الموجود في الحياة والتعامل معه.

بعدٌ ثانٍ يتعلق بصعوبة فهم الشيطان وذلك بسبب أهميته وتعدد الكتابات عنه. إذ تشير إحدى الدراسات إلى أن الشيطان ربما يعد أكثر الشخصيات تكرارًا في الأدب الإنجليزي القديم. كما أن هناك روايات عديدة عن طبيعة الشيطان والأسلوب الذي يغوي به الناس وصورته وتطوره عبر العصور. خاصة وأن صورة الشيطان في الفكر الغربي تأثرت بمعتقدات وتراث الشعوب الغربية العديدة ولم تعد تقتصر على تأثيرات المسيحية أو اليهودية وحدهما. هذا ناهيك عن أن صورة الشيطان داخل الأديان الكبرى ذاتها صورة مجردة صعبة الفهم إلى درجة ما. الأمر الذي يضيف إلى صعوبة بقاء الشيطان في الثقافة الغربية والأمريكية.[٤]

كفانا ظلمًا للشيطان

أما السبب الأهم في انتشار نظرية «موت الشيطان» في الثقافة الأمريكية فيرتبط بما أسماه البعض بالجانب الأسود من ثقافة بعض الجماعات المسيحية الأصولية التي لعبت دورًا هامًا في بناء أمريكا ألا وهي جماعة البيروتين (الأنقياء)، وهم إحدى الجماعات البروتستانتية التي عرفت بتشددها الديني والتي وصفها الكاتب الأمريكي الراحل أرثر ميللر في إحدى أشهر مسرحياته (المحنة) وكيف أن تشدد هذه الجماعة الديني كان يقود إلى حملات جماهيرية غوغائية للتخلص من أنصار الشيطان الذين يعيشون وسط الأنقياء وهم (أنصار الشيطان) في العادة أناس بسطاء وصموا ظلمًا بمحالفة الشيطان.

بمعنى آخر أكثر تبسيطًا أن ثقافة العصور الوسطى بالمجتمعات الإنجليزية كانت تؤمن بتجسد الشيطان وتحالفه مع أشخاص بعينهم (السحرة والمشعوذين) وأن التخلص من هؤلاء ضرورة للتخلص من الشيطان، وفي كثير من الأحيان كان يستخدم

> السبب الأهم في انتشار نظرية «موت الشيطان» في الثقافة الأمريكية فيرتبط بما أسماه البعض بالجانب الأسود من ثقافة بعض الجماعات المسيحية الأصولية التي لعبت دورًا هامًا في بناء أمريكا ألا وهي جماعة البيروتين (الأنقياء)

هذا الاعتقاد للإضرار بالأبرياء والضعفاء كالنساء والفقراء والمستضعفين، وللأسف انتقلت بعض هذه المعتقدات مع الجماعات الأصولية التي هاجرت من أوربا إلى أمريكا.[٥]

المشكلة هنا أن الاعتقاد السابق يرتبط بمشكلة أكبر تخص الأسلوب الذي تتعامل به المسيحية وغيرها من الأديان الكبرى مع الشيطان ألا وهي مشكلة «إلقاء اللوم على الشيطان والتضحية به».[٦]

وهنا تشير إحدى الدراسات إلى أن المشكلة الخطيرة السابقة تنبع من عدة حقائق ترتبط بنظرة المسيحية واليهودية (كمصادر للتراث الغربي) للشيطان، فهما ينظران إلى الشيطان على أنه كيان خارجي مستقل عن الإنسان. وهو كيان حاقد على الإنسان يكرهه ويسعى لإغوائه والإضرار به. ويقود الاعتقاد السابق إلى نتيجة ثالثة خطيرة وهي إمكانية النظر إلى أعدائنا الكارهين الحاقدين على أنهم شياطين أو أفراد تتجسد فيهم بعض خصائص الشيطان.[٧]

وللأسف قد يتوسع البشر تحت بعض الظروف في استخدام الأفكار السابقة. بمعنى أن تهمة الشيطان تصبح تهمة سهلة على الألسن ووظيفتها هي إدانة الآخر وتبرئة الذات. فالآخر يصبح الشيطان الذي ولد شيطانًا حاقدًا كريهًا وسوف يموت كذلك. والذات تصبح كيانًا بريئًا وقع ضحية الشيطان، وذلك دون الحديث عن أخطاء الذات وعما تحمله

الذات من نصيب من الشر الداخلي.

وللأسف يصبح انتشار ظاهرة «إلقاء اللوم على الشيطان والتضحية به» في مجتمع ما عاملاً قويًا لنفور هذا المجتمع من فكرة الشيطان بأكملها ورفضه الحديث عنها وسعيه للبحث عن بدائل فكرية أخرى تشرح ظاهرة الشر الموجود بالعالم وكيفيه التعامل معه.

لماذا يجب أن نبقي الشيطان حيًا؟

مشكلة التعامل مع الشيطان لا تنتهي بالإعلان عن موته. وذلك لأن الشيطان سوف يظل حيًا يرزق في الثقافة الجماهيرية وفي ثقافة الجماعات الأمريكية المتدينة. كما أن إعلان موت الشيطان ورفض الحديث عنه سوف يقود إلى فجوة معرفية مضرة. وذلك لأن هناك ظاهرة قائمة لا ينكرها أحد وهي ظاهرة الشر. وإعلان موت الشيطان يضعف من قدرة الأمريكيين على التعامل مع ظاهرة الشر الهامة خاصة وأن الشيطان يمثل أحد أهم رموزها. كما أن نظرية موت الشيطان تضعف من قدرة النخبة الأمريكية المثقفة على التعامل مع ظاهرة الشيطان وإيجاد حل لها. لذا تحذر بعض النظريات من وجود هذه الفجوة بالمجتمع الأمريكي ويطالبون بالبحث عن حلول لها.[٨]

وهنا يجب الإشارة إلى أن الثقافة الجماهيرية الأمريكية بوضعها الحالي عاجزة عن تقديم هذا الحل بسبب سيطرة النزعات الاستهلاكية السطحية عليها. كما أن الأكاديميين الأمريكيين على خلاف كبير مع الجماعات الأمريكية المتدينة. وهو بدون شك خلاف جوهري يؤجج أزمة معرفة الشيطان والتعامل معه بالمجتمع الأمريكي.[٩]

ولعلاج المشكلة السابقة تضع إحدى الدراسات مبادئ أربعة ترشد عملية التعامل مع الشيطان وفهمه.[١٠]

المبدأ الأول هو أن الشر موجود وينتج عن سوء استخدام البشر لإرادتهم البشرية.

المبدأ الثاني يرى أن تراكم أفعال وأفكار الأفراد السلبية في ثقافة ما يؤدي إلى بناء أفكار سلبية هدامة داخل تلك الثقافة مما يؤدي لنشر الشر على نطاق أوسع داخل تلك الثقافة.

المبدأ الثالث هو أن البشر يميلون أحيانًا إلى تجسيد حجم الشر الموجود من خلال الإشارة إلى مصادره بما في ذلك الشيطان.

المبدأ الرابع هو ضرورة توخي الحذر عن تجسيد الشر حتى لا تتحول هذه العملية إلى أسلوب نعفي من خلاله أنفسنا من أية مسؤولية ونعلق أخطاءنا على شماعة الشيطان.

السياسة الدولية والشيطان

بقي لنا أن نشير إلى دراسة متميزة نشرتها دورية أمريكية معنية بالعلاقات الدولية في عام 2002م عن وجود الشيطان بالخطاب السياسي الأمريكي والدولي وتأثير ذلك على السياسات الدولية مع تطبيق خاص لخطاب وسياسات الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش



بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.[11]

المقال تحدث في بدايته عن تداول الخطاب الدولي لمفاهيم مثل الشر والشيطان مشيرًا إلى أن الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان سبق أن وصف الاتحاد السوفييتي بأنه «إمبراطورية شر»، كما سبق للثورة الإسلامية بإيران أن وصفت أمريكا بأنها «الشيطان الأكبر». هذا إضافة إلى حديث جورج دبليو بوش بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 عن محور الشر وعن وقوف الرب بجوار أمريكا بحكم أنها قوة خيرة تسعى لنشر الحرية والسلام في العالم.

وهنا ترى الدراسة أن مفاهيم الشر والشيطان عادة ما تكرر في الخطاب السياسي وفي الفكر السياسي بصفة عامة، ولكنها في كثير من الأحيان تؤدي إلى تعطيل الفكر والممارسات السياسية بسبب استخدامها بشكل دعائي من قبل الساسة دون وضع تعريف محدد لها، فلا أحد يعرف مثلًا لماذا تصف دولة بلدًا آخر بأنه شرير، وما هي الشروط الواجب على ذلك البلد اتباعها للتخلص من تلك الوصمة. لذا تقترح الدراسة في المقابل التمسك بالقوانين الدولية التي تعرف الظواهر الدولية الصعبة والمعقدة كالحروب والمجاعات والتمييز والإرهاب والاستئصال العرقي، كما أنها تعرف الأسلوب الواجب اتباعه للتعامل مع تلك الظواهر في حالة وقوعها.

وبدون شك، القوانين الدولية هي أدوات وقواعد يصنعها البشر أنفسهم وتحتاج إلى تطوير بشكل دائم، ولكن على الجانب الآخر يعد الاستخدام الدعائي لمفاهيم كالشر والشيطان أمرًا ضارًا بالعلاقة بين الدول والكيانات بصفة عامة وبثقافة الشعوب بصفة خاصة.

خاتمة

وفي خاتمة هذه المقالة نحب أن نؤكد الأفكار التي طرحناها في مقدمتها والتي ترى أن موقف الثقافة الأمريكية أو أي ثقافة أخرى من الشيطان هي قضية صعبة معقدة تحتاج للتعامل معها بموضوعية وبحذر وبرغبة في التعلم من الخبرات البشرية المختلفة واستخلاص العبر■

المراجع

1- Mike Mallowe, Is Evil Just the Devil in Disguise? U.S. Catholic, Apr 1995, 60:4, Pp. 613-.
2 Sanford Pinsker, Who Killed Satan? The Virginia Quarterly Review, Spring 1996, 72:2, Pp. 362366-.
3-James Deutsh, Raising the Devil: Satanism, New Religions, and the Media by Bill Ellis, American Studies International, June 2002, 40:2, Pp.100-101.
Samantha J. Gust, The Devil on Screen: Feature Films Worldwide, 1913 through 2000 by Charles P. Mitchell, Reference & User Services Quarterly, Winter 2002, 42:2, pp. 168169-.
4 -Christine Rauer, Satan Unbound: The Devil in Old English Narrative Literature by Peter Dendle, Notes and Queries, Mar 2003, %0:1, Pp.8788-.
5- Ruth Bloch, Damned Women: Sinners and Witches in Puritan New England by Elizabeth Reis, The Journal of American History, Dec 1999, 86:3, Pp. 13251326-.
6- Anthony D. Baker, I See Satan Fall Like Lightning by Rene Girard, Anglican Theological Review, Spring 2002, 84:2, pp. 458459-.
7- James G. Williams, The Origin of Satan: The New Testament Origins of Christianity's Demonization of Jews, Pagans and Heretics by Elaine Pagels, Theology Today, Oct 1996, 53:3, Pp. 398-401.
8- Ray Haberski Jr., The Death of Satan: How Americans Have Lost the Sense of Evil by Andrew Delbanco, Journal of Popular Culture, Spring 2000, 33:4, Pp. 163164-.
9- Sanford Pinsker, Who Killed Satan? P. 365.
10- Lawrence S. Cunningham, Satan: A Theological Meditation, Theology Today, Oct 1994, %1:3, Pp. 359366-.
11-Douglas Klusmeyer and Astri Suhrke, Comprehending Evil: Challenges for Law and Policy, Ethics & International Affairs, 2002, 16:1, Pp. 2742-.

جوته ومسرحيته « فاوست»

الشيطان في الأدب الألماني

أسامة أمين - ألمانيا

بدأ أعظم الشعراء الألمان يوهان فولفجانج فون جوته أهم أعماله (فاوست) وهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره، وانتهى منه وهو كهل في الثانية والثمانين، وضع فيه عصارة فكره، وهو الفيلسوف ورجل الدولة وعالم الفيزياء، وجعل العمل يدور حول الشيطان والإنسان، وعما إذا كان الشيطان قادرًا على أن يجلب السعادة للإنسان المتعطش إلى المعرفة والحرية، وعلى أن يخلط الحق والباطل في قلب هذا الإنسان.

لابد أن يعرف القارئ أن جوته (المولود في عام ١٧٤٩، والمتوفى عام ١٨٣٢) هو صاحب (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) الذي يحتوي على الكثير من المفاهيم الإسلامية، والاقتباسات من القرآن الكريم، وأنه صاحب (القصيدة المحمدية)، وهو الذي قال: «إننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي محـمـد... وهـكـذا وجـب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد»، مما جعل بعض الدارسين يقولون إنه مات مسلمًا، بيد أن ذلك غير مثبت في أي سيرة لحياته.

ولكن جوته كان له فلسفته الخاصة في علاقته بالأديان، كان يقتبس منها ما يتفق مع نظرته إلى الحياة، ولذلك فإن مسرحية (فاوست)، التي يعتبرها البعض أرفع الأعمال الأدبية مكانة في اللغة الألمانية، ليست انعكاسًا لمفاهيم دينية سائدة في عصره، رغم أنها تعالج قضية دينية بحتة، متعلقة بالإله والشيطان والإنسان، ورغم أنه جعل الغلبة للإيمان، على عكس أدباء عرب حصلوا على جوائز عالمية، لأنهم جعلوا الغلبة للعلم على الدين في أعمالهم التي ضمنوها خلاصة فلسفتهم في الحياة.

خلاصة القول إن جوته كان (إنسانًا) فحسب، كما أمر بالكتابة على شاهد قبره، (إنك كنت بحق إنسانًا)، وهو الذي قال في (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، «لأنني كنت إنسانًا، فهذا يعني أنني كنت من المجاهدين».

حوار في السماء

تبدأ مسرحية «فاوست» التي جرى عرضها لأول مرة بتاريخ ١٨٥٤/١/١٩م، بحوار في السماء، حيث يمجد الملائكة رفائيل وجبريل وميخائيل الله، لقدرته على القيام بالمعجزات، التي لا يقدر عليها سواه، وأنه زرع الخير في الإنسان، إلا أن الشيطان (مفيستو) الذي كان موجودًا بين الملائكة، يخالفهم في الرأي، ويشير إلى الشكوى المستمرة من البشر، فيتدخل الرب متحدثاً عن الدكتور فاوست، الذي يسميه الرب

(عبدي). فيقول الشيطان إنه قادر على أن يصرف فاوست عن عبادة الله. فيقول الله لإبليس إنه سيتيح له الفرصة لمحاولة إغراء فاوست طالما كان على الأرض فقط. ويعترف الشيطان عندئذ والألم يعتصره بأن (الإنسان الصالح يبقى مدركًا للحلال والحرام، حتى عندما يرتكب أكبر الكبائر). ويترك الرب للشيطان أن يحاول غواية فاوست. ويطلق على الشيطان اسم (الخبيث). ويقول الأديب إن الله لا يكره إبليس ولا بقية الشياطين، فهو يعلم أن الإنسان يحتاج إلى بعض المحفزات والاختبارات، حتى يثبت صدق إيمانه.

ويرى النقاد أن جوته قد تأثر في هذه المقدمة بما ورد في العهد القديم، كتاب أيوب، الإصحاح الثاني (فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر).

ولكن معرفته المؤكدة بالقرآن، تجعل تأثره بالآيات القرآنية التالية من سورة الإسراء غير مستبعد:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾.

عقد مع الشيطان

يرى المشاهد فاوست وهو في غرفة الدراسة في الليل البهيم متسائلاً عن جدوى الحياة، ويرى أن العلوم التقليدية وهي الفلسفة، والحقوق، والطب واللاهوت، لم تعد قادرة على إعطائه شيئًا، ولم يعد يجد في غير السحر، ما يجعله قادرًا على الولوج في أسرار الكون، ويستدعي بالسحر عفريتًا قزمًا، ولكنه لا يشفي غليله. فيفكر فاوست في التخلص من كل ذلك الهم، ويضع السم في الفنجان لينتحر، وأثناء ذلك تدق أجراس الكنائس، وأغان تذّكر بمعجزة قيام السيد المسيح، فيرجع عن محاولة الانتحار، ويخرج إلى الطريق، حيث يحييه كل من يلقاه باحترام وإجلال لأنه في شبابه استطاع أن يتوصل إلى علاج لوباء الطاعون، الذي كاد يقضي على المدينة بأكملها. ثم يرى فاوست الشمس وهي تغرب، فيعود من جديد للشوق إلى ما وراء الطبيعة، ويقول لنفسه إن هناك روحين في صدره، كل منهما تريد الانفصال عن الأخرى.

وفي طريق العودة إلى غرفته، يتبعه كلب أسود مثير للريبة، وفي الغرفة يسعى فاوست لترجمة بداية إنجيل يوحنا، إلى اللغة الألمانية التي يذوب عشقًا فيها، ولكنه يتوقف عند الكلمة اليونانية Logos التي تعني الكلمة، ولكنه لا يجدها مناسبة، فيستبدل



بها كلمة الفعل، وبذلك يترجم بداية الإنجيل بعبارة (في البدء كان الفعل)، بدلاً من الترجمة المعتادة (في البدء كانت الكلمة).

ثم يلاحظ أن الكلب الذي دخل وراءه الغرفة، بدأ يعبث بمحتوياتها، ثم يعترف هذا الكلب لفاوست بحقيقة هويته، وأنه الشيطان، فيشكو له فاوست من الهم الذي يتملكه من جراء الوجود في هذا الكون. ويتوصل الشيطان إلى اتفاق مع فاوست، وقعه الأخير بنقطة من دمه، وينص هذا الاتفاق على أن يكون الشيطان في خدمة فاوست، يحقق له كل رغباته، ويمنحه قوة خارقة لقوانين الطبيعة، على أن تصبح روح فاوست لحظة وفاته ملكًا للشيطان، وعلى أن يخدمه فاوست في الآخرة كما خدمه الشيطان في الدنيا، ولكن بشرط أن يصل فاوست إلى اللحظة التي يشعر فيها بروعة لا حد لها، ويتمنى أن تتوقف عقارب الساعة، حتى لا تنتهي متعته بهذه اللحظة، وفي المقابل تصبح روحه ملكًا للشيطان.

متاع الدنيا قليل ولو كثر

تبدأ رحلة الاثنين في حانة في مدينة لايبزج، ليستمتع فاوست باحتساء الخمر، ثم يتوجها إلى مطبخ الساحرات، وهناك يشاهد فاوست في مرآة، صورة لامرأة يقع عشقها في قلبه فورًا، وحتى يثير هو الآخر إعجابها تعطيه الساحرة شرابا سحريًا، يجعل منه وهو الكهل الطاعن في السن، فتى ولهانًا في ريعان الشباب، لا تستطيع أي حسناء أن تقاومه، ولكن الفتاة التي رآها في المرآة تختفي عن ناظريه.

فيجلس على قارعة الطريق، وعندها يشاهد فتاة أخرى اسمها (جريتشن)، عائدة من الكنيسة بعد أن أدت فريضة الاعتراف بما اقترفته من ذنوب للكاهن، لأنه لا يمكن مغفرة الذنوب، دون الاعتراف، فأراد أن تكون من نصيبه، فعرض عليها باندفاع كبير أن تبادله مشاعره، ولكنها تأبى، فيطلب فاوست من الشيطان أن يجمعه بها، ولكن الشيطان يتحجج بطهرها وعفافها، فيهدده فاوست بفسخ العقد بينهما، فيكيد الشيطان ليوقعها في حبائله، حتى يرضي شهوات فاوست، فوضع لها صندوقًا من التحف والحلي، أخذ بلبها لما رأته، ولكن أمها اشتمت فيه رائحة الحرام، فاستدعت القسيس لأخذ رأيه،

لم يسع جوته من خلال تشخيصه للشيطان، أن يجعله محببًا للنفس، أو أن يبرر أفعاله، على الإطلاق، لكنه يلجأ إلى أسلوب مختلف عما تعودناه من ترهيب من كيد الشيطان، وتخويف من غوايته لنا، إذ فضل جوته أن يستخدم أسلوب الإقناع

فصادره لحساب الكنيسة، قائلاً إن الكنيسة «وحدها التي تستطيع أن تهضم المال الحرام».

ولما عجز الشيطان عن التأثير على جريتشن مباشرة، لجأ إلى جارتها القوّادة الشريرة التي تقوم بمهمة الجمع بين فاوست وجريتشن، وتعترف الفتاة العذراء البريئة لأول مرة بالحب لفاوست، ولكنها ترى الشيطان، وتعرف أنه يحيك الدسائس بينها وبين حبيبها فاوست الذي لا تعرف مدى التزامه بالدين، حتى بعد أن قال لها في حماس إنه عميق الإيمان بدينه، ويغويها الشيطان لتعطي لأمها شرابًا منومًا لتغط في سبات عميق، ثم يدخل فاوست إلى مخدعها، وتقع في المحظور.

يريد أخوها فالانتين، أن يثأر لها، فيأمر فاوست بأن ينازله بسيفه، فيتدخل الشيطان، ويشل يد أخيها، فيقتله فاوست، وتتحول حياة جريتشن إلى جحيم، تموت أمها من جرعة المنوم التي أعطاها الشيطان إياها، ويموت أخوها على يد فاوست، وتحمل جريتشن سفاحًا، فما كادت تلد حتى أغرقت المولود خشية الفضيحة، وتسلم نفسها للمحكمة، وينتهي بها المآل إلى السجن، حيث تفقد عقلها هناك، ولم تفلح محاولات الشيطان لإلهاء فاوست عما حصل لجريتشن، فيرى فاوست كيف تجمعت آلام البشرية كلها في شخص هذا الكائن الذي كان بديعًا، قبل أن يعرفه، ويدرك ما يحدث للإنسان الذي ينقاد وراء الشيطان، وعجز فاوست عن إخراجها من السجن،

ولكنها عندما رأت الشيطان، أدركت من كان وراء كل هذه التعاسة، فمدت أيديها متضرعة لله، حتى يغفر لها ذنوبها، وفي مشهد مؤثر للغاية، يقول الشيطان، إنها قد انتهت وضاعت إلى الأبد (كتب لها الهلاك)، فيأتي صوت من السماء يقول، بل إن ذنوبها قد غفرت (كتبت لها النجاة)، ويكون الشيطان قد خسر هذه المعركة، برغم كل ما فعلته، لأن هذه الفتاة، بقيت رغم كل ما اقترفته من آثام مدركة للصواب والخطأ، ولم تتردد في طلب الرحمة من ربها، الذي بقي ملاذها الوحيد، فغفر لها.

الجزء الثاني من فاوست

ومع أن الجزء الثاني من المسرحية، ليس مترابطًا مثل الجزء الأول، لكنه يتضمن الكثير من المعارف التي جمعها جوته في حياته. وفيه يكون فاوست مع خادمه الشيطان، وهما في بلاط القيصر، حيث ينجح فاوست في حل الضائقة المالية للبلاد، ويشارك مع مفيستو في الأعياد، ويستحضر فاوست روح الفتاة البديعة التي رآها في المرآة في الجزء الأول، وتقبل أن ترافقه إلى قصره، بعد أن أصبح أميرًا للبلاد، ويرزقان بمولود بديع اسمه أوريفوريون، أراد أن يساعد والديه بعد أن اشتد عوده، فدخل الحرب معهما، وتخيل أنه يستطيع الطيران، فقفز من فوق الجبل، فوقع على الأرض ومات، وبموته تختفي الأم أيضًا، مما يوضح أن هذه المرأة وهذه الزيجة كانت كلها وهمًا، فأراد فاوست أن يقوم بعمل حقيقي، ينجزه بكده وتعبه، دون مساعدة من الشيطان، فيسعى لإيجاد أماكن لسكن الكثير من البشر، عن طريق تجفيف مياه البحر، وكسب أراض جديدة، وفي النهاية يقول إنه لو استطاع أن يوفر لكل هؤلاء الناس السكن في الأرض الواقعة بين الهضبة وبين البحر، فعندها يمكنه أن يقول أيتها اللحظة ما أبدعك، ليتك تبقين ولا تمرين، ويتحقق الكثير من أحلامه، ويموت في هذه اللحظة، ويبدو كما لو كان الشيطان هو الذي ربح الرهان، وأصبحت روح فاوست ملكًا له، ولكن تنزل الملائكة من السماء، وتحيط بفاوست، لتحمل أغلى ما فيه، وهي روحه، ويقولون إن من قضى العمر مجاهدًا، فإنه يحظى بالخلاص، وينال المغفرة والرحمة.

الشيطان الألماني في الأدب العربي

وقد شقت مسرحية فاوست طريقها إلى الأدب العربي، فقد جرى ترجمتها في عام ١٩٢٩م على يد محمد عوض محمد، وفي عام ١٩٥٩م على يد عبدالحليم كرارة، وفي عام ١٩٧٥م على يد مصطفى ماهر. كما اقتبس منها آخرون لكتابة أعمال أدبية عربية متأثرة بدرجات متفاوتة بهذا النص، كما فعل كل من توفيق الحكيم في عمله المنشور عام ١٩٣٨ باسم (عهد الشيطان)، وعلي أحمد باكثير (فاوست الجديد) ١٩٦٧م، ومحمد فريد أبو حديد في كتابه (عبد الشيطان) الصادر عام ١٩٢٩م، وكتاب محمود تيمور (أشطر من إبليس)، وفتحي رضوان (دموع إبليس)، ومحمود طاهر لاشين في قصته القصيرة (ميفستوفوليس). كما كتب آخرون دراسات أو



مقالات تتناول هذا العمل، مثل عباس محمود العقاد في كتابه (تذكار جيتي) الذي صدر في بيروت عام ١٩٨١م، وطه حسين في مقدمتة لترجمة فاوست لمحمد عوض محمد عام ١٩٣٠م، وعبدالغفار مكاوي في (خواطر عن فاوست)، في كتاب البلد البعيد، القاهرة١٩٦٨م.

إضافة إلى المقالات القيمة الواردة في مجلة فصول القاهرية المجلد الثالث العدد الرابع، يوليو ١٩٨٣م، لكل من كمال رضوان (فكرة فاوست منذ عصر جوته)، ومصطفى ماهر (فاوست في الأدب العربي المعاصر). وعصام بهي في (الشيطان في ثلاث مسرحيات). وكذلك مقال عبدالغفار مكاوي، بعنوان (مأساة فاوست وبعض ظلالها على الأدب المصري الحديث)، في كتاب (غوته العبقرية العالمية) الصادر عن إذاعة صوت ألمانيا عام ١٩٩٩م.

الشيطان بين جوته وقومه

في الثقافة الألمانية هناك الكثير من الأسماء للشيطان، منها ما يلي:

التنين العملاق، الثعبان، أمير الظلام، أمير هذا العالم، أمير الذباب، الثالث عشر، الساقط، عبد الكذب، الأناني المطلق، مفرق الجماعات، أمير الجحيم، المخادع، المضل، نجم الصباح، الخاسر، حيوان جهنم.

ومن الاقتباسات الشهيرة التي ورد فيها اسم الشيطان في اللغة الألمانية ما يلي:

- «الشيطان هو اختراع ألماني» فريدريش فون شليجل.
- «غادر الشيطان العالم، لأنه يعلم أن الناس يعذب بعضهم بعضًا» فريدريش روكرت.
- «الذي بنى أفضل الكنائس منذ القدم هو الشيطان» هاينريش هاينه.
- «الشيطان متفائل، إذا اعتقد أنه قادر على أن يزيد الناس سوءًا» كارل كرواس.
- «يجب أن يكون المسيحي إنسانًا سعيدًا، فإن لم يفعل، فقد مسه الشيطان» مارتين لوثر.
- «إذا لم يأت الشيطان بنفسه، فإنه يرسل امرأة» فريدريش نيتشه.
- «المتجسسون والمتظاهرون هم من ينسج عش الشيطان» مثل ألماني.
- «الشك يأكل مع الشيطان من نفس الوعاء» مثل ألماني.
- «من يمسه الشيطان، تصيبه العجلة» مثل ألماني.
- «إذا ذكرت الشيطان، جاءك مهرولاً» مثل ألماني.

لعل جوته قد تأثر في رسمه لصورة الشيطان بالخلفية الدينية والثقافية التي كانت سائدة في عصره، إلا أنه - كما ورد في مقال عصام بهي سالف الذكر - قد استطاع أن يضفي عليها طابعًا مميزًا من نفسه وقدراته الفنية. فمفيستو عند جوته، نقيض الإيمان والتفاؤل، وتجسيد لروح السخرية، فقليلون هم الذين أمكنهم أن يهربوا من نظرته التهكمية المريرة. وهو واقعي، يؤكد الحقيقة، وحاضر البديهة، وذكي يستمتع إلى حد السعادة الشريرة، عندما يقوم بشروره. مما جعل من الشيطان شخصية متكاملة حية ذاتية الملامح، لا تلتبس بأي شخصية أخرى. ولعل هذا هو ما جعل لهذه الشخصية جاذبيتها الآسرة، التي لم يستطع كاتب بعد جوته أن يتخلص منها.

لم يسع جوته من خلال تشخيصه للشيطان، أن يجعله محببًا للنفس، أو أن يبرر أفعاله، على الإطلاق، لكنه يلجأ إلى أسلوب مختلف عما تعودناه من ترهيب من كيد الشيطان، وتخويف من غوايته لنا، إذ فضّل جوته أن يستخدم أسلوب الإقناع، يوضح لقارئه أنه مهما استطاع الإنسان المطيع للشيطان إرضاء لشهواته، فإن سعادته زائلة، ومهما حصل على يديه من مال، فإنه لن يصبح غنيًا، بل سيظل صدره خاويًا من السعادة، وحتى لو ساعده في تكوين أسرة، فإنها ستزول في لمح البصر، وأن الخلاص لا يكون إلا باللجوء إلى الله، الذي لا يصد من يطرق بابه، ولا يحرم من رحمته إلا من أبى. وسواء كان الشيطان شرقيًا أو غربي الطباع، فإنه يتخلى عمن تبعه، إذ يقول تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ ■



الشيطان في السينما

لعبة تطهير وعودة دائمة وانتصار مستحيل

إبراهيم العريس - بيروت

منذ بدايات تحولها من سينما تسجيلية تصور الواقع المرئي بأم العين إلى سينما روائية تصور أعمالاً من خيال المبدعين، كان من الطبيعي للسينما أن تنحو نحو الفنون والآداب جميعًا، التي ومنذ فجر الكتابة، جعلت معظم هم مواضيعها منصبًا على الصراع بين الخير والشر، ولسنا في حاجة هنا، بالطبع، إلى القول إنه حينما يوجد الشر يكون الشيطان حاضرًا. لكن هذا الحضور لا يكون دائمًا علنيًا وواضحًا..

بمعنى أن الشيطان لا يحضر في الأعمال جميعًا من خلال وجوده الجسدي، بل من خلال وسوسته واشتغاله على الذهنيات، مغويًا ممارسي الأفعال الشريرة باقتراف أفعالهم التي غالبًا ما تكون جرائم، غير أن ثمة سينمائيين كثرًا آثروا بين الحين والآخر ألا يرمزوا إلى الشيطان بأية رموز من خارجة حتى وإن كانت فكرية، ليظهروه مباشرة أمام أعيننا على الشاشة، في تقلباته وإغواءاته وفعله في حياة ضحياه، علمًا أن ضحية الشيطان غالبًا ما تكون، في نهاية الأمر أداته لا فريسته. ولعلنا لا نعدو الحقيقة في هذا الإطار إن نحن أشرنا إلى أن الشيطان لكي يفعل لا بد له من أدوات، إن هزيمة الشيطان، في السينما كما في غيرها، لا تكون عادة في القضاء على الشيطان وإن كان حاضرًا في العمق، بل في القضاء على أدواته التي هي - إذ غالبًا ما تكون كائنات بشرية ضعيفة- من يدفع الثمن، طالما أنه ليس ثمة عمل ينتهي بالقضاء النهائي على الشيطان الذي نعرف كما تقول لنا الأديان، إنه سيبقى في هذا الكون طالما يبقى الإنسان فيه.

طبعًا نعرف أن هذه الفكرة رمزية تعبر عن جانبين أساسيين من كينونة وجود الإنسان على وجه الأرض، وأن الأديان إذ تتحدث عن ذلك المخلوق، لا تحدثنا أبدًا عن وجود جسدي له، بل عن وجوده الرمزي «الجواني» في سياق الطبيعة البشرية. لكن السينما حولته في أحيان كثيرة إلى كائن مرئي، وغالبًا تحت ملامح نجوم كبار، لعل أبرزهم في زماننا هذا «جاك نيكلسون في فيلم «أيستوبك» وآل باتشينو في «محامي الشيطان». ونحن لم نذكر هذين الفيلمين إلا على سبيل

المثال. ولأنهما الفيلمان الأكثر شعبية في أزماننا الحديثة هذه. أما الواقع فهو أن الشيطان، باسمه المباشر Devil بالإنجليزية وDiable بالفرنسية (بين لغات أخرى) يظهر من عناوين ما لا يقل عن مائتي فيلم. أما ظهوره في أفلام لا تحمل عناوينها اسمه، فيشمل آلاف الأفلام. هذا ناهيك عن ظهوره بأسماء مختلفة (مفيستو فليس، نوسفراتو...) في أفلام لا تحصى. وهنا لا بد أن نذكر أنه منذ سنوات بدأ يظهر في عناوين أفلام عديدة باسمه المرتبط بلقبه العربي Satan، بل هو يظهر في فيلم فرنسي بدأ عرضه مع بداية عام ٢٠٠٦م. باسم Chaitan أي باسمه العربي المباشر.

تجسيد كائن

فهل نحن في حاجة هنا إلى القول إن اسم الشيطان في عناوين الأفلام يبدو جاذبًا للجمهور دائمًا؟

وهل نحن، بعد هذا، في حاجة لإضافة أن حضوره المباشر في الأفلام يبدو أكثر جاذبية أيضًا؟

والسؤال هنا، قد يطاول بالنسبة إلينا، فن السينما. لكنه قد يشمل أيضًا كل أنواع الفنون بما فيها الحكايات الشعبية الفولكلورية التي وجدت دائمًا في الشيطان مادة للكتابة وإثارة الإعجاب منذ فجر التاريخ. والحقيقة أن أساطين التحليل النفسي كثيرًا ما اشتغلوا باحثين عن سر جاذبية الشيطان في الأدب والفن. وفي مقدمة هؤلاء عالم التحليل ومبدعه سيغموند فرويد الذي أفرد للأمر كتابًا. أو جزءًا من كتاب، درس فيه حكاية واقعية تتحدث عن عهد - يشبه عقد فاوست مع الشيطان في مسرحية غوته الشهيرة - قام خطيًا بين رسام والشيطان، يكاد يشبه عقد رواية «صورة دوريان غراي» لأوسكار وايلد. في كتابه هذا لم ينكر فرويد وجود الشيطان (أمير الشر) لكنه بدلاً من أن يبحث عن سره في الميثولوجيا أو في العالم الخارجي، راح يفتش عنه وعن ماهيته وأدواره في الحياة الداخلية للإنسان.

أما السينما فإنها بسبب كونها صورة - عمدت إلى جعله كائنًا مجسدًا، أحيانًا ذا شكل إنساني -وسيم حسن- ولكن في أحيان أخرى ذا شكل حيواني مرعب أو شكل هلامي غير محدد.

ولكن إذا كانت الفلسفة والأدب قد تساءلا دائمًا - إلى جانب التحليل النفسي - عما يدفع إنسانًا ما إلى بيع نفسه للشيطان (وهو الموضوع الأساس في كل حكاية من هذا النوع) فإن السينما لم تطرح أبدًا هذا السؤال. وتحديدًا لأنها انطلاقًا من كونها ابنة القرن العشرين، رأت أن الدين والمنظومات الأخلاقية والتفاعلات العلمية والفلسفية أجابت دائمًا على هذا السؤال.



ومن هنا كان هم السينما في مكان آخر: الافتتان بالشيطان والخوف منه.

وانطلاقًا من لعبة الافتتان والخوف المزدوجة هذه، صاغت السينما مواضيعها، وقد قوى من عزيمتها قدرتها على تقديم شكل مجسد للشيطان، فيما كانت الآداب والفلسفات تعطيه شكلاً تجريديًا، منطلقًا من التصور الديني له.

ظروف اجتماعية

ولكن أيضًا انطلاقًا من تصور سياسي مرمّز غالبًا. فالسينما أو الجزء المتقدم منها على أية حال - في لحظات القمع والاضطراب السياسي، عرفت دائمًا كيف تجعل من الشيطان كناية عن سلطة قامعة فاشية. وحسبنا هنا أن نقرأ كتاب «من كاليغاري إلى هتلر» للباحث الألماني سيغفرايد كراكور، حتى ندرك بدءًا بالعنوان التي يربط بين الدكتور كاليغاري وعيادته في فيلم ألماني صامت يعود إلى عام ١٩١٩م، بهتلر وسلطته وصعود النازية في ألمانيا - كيف أن السينما التعبيرية الألمانية، بين ١٩١٩م و١٩٣٣م استعملت الشيطان لتدل به على هتلر، في مجموعة من أفلام أسست لحضور الشيطان الجدي في السينما، باسمه الصريح أو بأسمائه الرمزية.. وحسبنا أن نذكر أن زميلة لكراكور (هي لوتي آيزنر) عنونت، هي الأخرى، كتابًا لها عن نفس المرحلة بـ«الشاشة الشيطانية» لتتحدث عن الحضور «المسيّس» للشيطان في الفن السينمائي الألماني.

لكن الشيطان لم يحضر دائمًا في السينما، لغايات سياسية.. حضرأيضًا لغايات وعظية أخلاقية (مثلاً في السينما العربية في فيلم يدعى «المرأة التي غلبت الشيطان» حيث قدم في صورة شديدة السذاجة، علمًا بأن السينما العربية لم تعالج أبدًا مسألة الشيطان بشكل مباشر).. وحضر كذلك وخاصة لأسباب سيكولوجية وترويجية.

غير أن ما لا بد من ملاحظته هنا، هو أن الشيطان إذا كان يحضر في السينما بشكل متفرق ودائم.. فإن حضوره يزداد في أزمنة التأزم على الصعيد المحلي أو العالمي (المحلي

انطلاقًا من لعبة الافتتان والخوف المزدوجة هذه، صاغت السينما مواضيعها، وقد قوى من عزيمتها قدرتها على تقديم شكل مجسد للشيطان، فيما كانت الآداب والفلسفات تعطيه شكلاً تجريديًا، منطلقًا من التصور الديني له

بالنسبة إلى البلد الذي ينتج فيه الفيلم، والعالمي بالنسبة خاصة إلى السينما الأمريكية التي هي السينما العالمية بامتياز). وهو أمر غالبًا ما تكشفه دراسات سوسيولوجية تقيم توازنًا بين حضور هذه النوعية «الشيطانية» من الأفلام وبين الظروف الاجتماعية الملائمة لذلك. إذا كنا أعلاه قد ذكرنا النموذج الألماني - في مرحلة ذل الهزيمة بعيد الحرب العالمية الأولى، وصعود النازية - الذي من علاماته أفلام عديدة حضر فيها الشيطان مباشرة، أو بشكل غير مباشر، فإن في استطاعتنا أيضًا رسم خطوط موازية تطاول الحضور الشيطاني على الشاشة بالمقارنة مع حضور المخاوف في الحياة الاجتماعية. وفي هذا الإطار لابد أن نلاحظ أن الأفلام التي يحضر فيها الشيطان مباشرة تحسب عادة في خانة سينما الرعب ـ وسينما الرعب المطلق في أحيان كثيرة ـ ومنها أفلام موجة «التعويذة» و«أومن» وما إلى ذلك من أفلام كثرت في سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، حين بدأت الأعمال الإرهابية تشتد بعد حرب باردة بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية، فحلت مخاوف مضخمة مكان مخاوف سياسية، وراحت أفكار وأيديولوجيات عديدة تروح لكل ما هو غير عقلاني عن طريق السينما بين أمور أخرى. ولقد شملت صورة الشيطان في تلك الأفلام القبلات

ومصاصي الدماء عن أمثال «دراكولا» وغيره من الذين لم يعاملوا في نهاية الأمر إلا بوصفهم صورة أخرى للشيطان.

الجذور

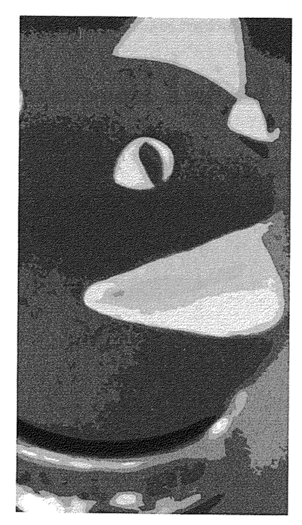
هنا لعل في إمكاننا أن نفرق تماماً بين مفعول الشيطان (وتنويعاته) الذي يقدم مجسدًا كصورة في السينما، وبين مفعول صورته الأدبية أو الفكرية على الناس.. لنقترح أن الصورة السينمائية، على الرغم مقدار الرعب الذي تحمله للمتفرجين تبقى أخف وطأة في مفعولها بعد انتهاء الفليم. وذلك بالتحديد لأن تجسد الشيطان في صورة - والأهم من هذا في صورة نجم محبوب - تخفف من حدة الخوف منه. وتحول نهايته - المدخرة له غالبًا - إلى فعل تطهيري CATHARSIS ما يريح المتفرج في نهاية الأمر. أما الصورة الأدبية التي تبقيه وضعًا تجريديًا فهي تزكي عنان الخوف والرعب لخيال القارى. وهذه على أية حال سمة لا تزال في حاجة إلى دراسات مطولة مسهبة تتوفر بداياتها والتصورات العامة عنها، ولكن لا تتوفر يقينات خالصة ميدانية في شأنها. غير أن في إمكاننا مع هذا أن نفتح هلالين هنا لنشير إلى أن التصوير الفعلي البصري لأمور كثيرة على شاشة السينما،

إذا كانت السينما تؤكد لنا منذ بداياتها الصامتة، وحتى اليوم أن الشيطان لم ينتصر أبدًا، لا مباشرة ولا مداورة. فلماذا ترانا نجد واقع الحياة مليئًا دائمًا بالشرور والعنف والإرهاب والقتل وسقوط البشر الطيبين؟

أدى حسب معظم الباحثين الاجتماعيين إلى تخفيف وطأة تلك الأمور، نقول هذا ونفكر بأمور مثل الحروب والموت والعنف... فهي أمور ظلت دائمًا تابوهات متخيلة، مرعبة أو مثيرة أو الاثنين معًا، حتى جاءت مصورة على الشاشات الكبيرة لتمارس التطهير والتفريغ النفسي إزاءها.

وحكاية الشيطان هنا لا تشذ عن هذه القاعدة التي يمكن على أية حال تحري جذور البحث فيها لدى أرسطو وكبار باحثي الشعر وشؤونه في الكتابات الفلسفية اليونانية ومن حذا حذوها.

ونعود هنا إلى السينما، نشير إلى أن هذا الفن وصل في مجال تعاطيه مع صورة الشيطان خلال السنوات الأخيرة إلى مستويات لم يكن لها وجود من قبل. فمثلاً في فيلم «ساحرات استوديك» حضر الشيطان شخصيًا تحت ملامح كان نيكلسون ساخرًا مسخورًا منه، من خلال علاقته بثلاث نساء دمرّنه في نهاية الأمر بعد أن استغلهن، عاطفيًا فانجذبن إليه. الفيلم أتى في نهاية الأمر مضحكًا حتى وأن تخلله قدر كبير من العنف. ولن يفوتنا هنا أن نشير إلى أن اختيار جاك نيكلسون للدور - وهو الفنان الذي يحبه الجمهور ويتعاطف معه عادة - كان اختيارًا موفقًا لنزع الهالة الشيطانية - ولو خلال الجزء الأول من الفيلم - عن الشخصية وبالتالي وقوف المتفرجين موقفًا لا خوف فيه أول الأمر. غير أن هذا الشيء نفسه لا يمكن أن يقال، مثلاً عن آل باتشينو في «محامي الشيطان»، حيث من بداية تعاطيه مع تلميذه مغويًا إياه بارتكاب الشرور، بدا آل باتشينو على تناقض مع أي موقف أخلاقي يقفه المتفرج، علمًا بأن الشيطان حتى وإن كان يحمل دائمًا جاذبية معينة لم يثر أبدًا في أي فيلم من الأفلام الكبيرة والأساسية تعاطف المتفرجين. وهنا لابد أن نذكر أن رواية «المعلم ومرغريت» للكاتب الروسي ميخائيل بولغاكوف، إذا كانت قدمت صورة فيها شيء من التعاطف مع شخصية الشيطان - أحد أبطالها الأساسيين - حيث حولت إلى الشاشة السينمائية صارت صورة الشيطان



فيها أكثر سوءًا وسلبية بكثير.

معركة الإنسان

وفي السياق نفسه، يمكننا أن نؤكد أنه ندر للشيطان أن انتحر في أي فيلم، وحتى حين يكون ثمة شيء من التعاطف معه في سياق الفيلم. في الأحوال كافة لا يكون انتصاره واضحًا.. ولربما يكون انتصاره الوحيد هو قدرته على النهوض بعد هزيمته.. أو الإيحاء بذلك في نهاية الفيلم. وحده الفيلم العربي الذي ذكرناه - وبضعة أفلام عربية أخرى مثل «التعويذة» و«محمود المصري» - جعلت هزيمته قاضية عليه، على الضد من كل منطق ومن كل تاريخ.

طبعًا ما ذكرنا من أفلام هنا ليس سوى أمثلة عن فئات أخرى حضر الشيطان فيها، مباشرة أو في صورة غير مباشرة. ويمكن أن نرصد هنا - من دون إغراق في السرد والتفصيل - أن الشيطان حضر دائمًا وبوفرة وقوة خاصة في الأفلام الدينية، مغويًا محاولاً حرف المؤمنين عن إيمانهم. ومن نافلة القول إنه هنا أيضًا لم ينجح في مسعاه.. ما يعيدنا إلى معادلة أساسية قد تتبلور في سؤال يلقيه شخص ما على نفسه: إذا كانت السينما تؤكد لنا منذ بداياتها الصامتة، وحتى اليوم أن الشيطان لم ينتصر أبدًا، لا مباشرة ولا مداورة، فلماذا ترانا نجد واقع الحياة مليئًا دائمًا بالشرور والعنف والإرهاب والقتل وسقوط البشر الطيبين؟

ترى أو ليس هذا كله من فعل الشيطان في نهاية الأمر؟

إن السينما لاتجيب أبدًا على هذا السؤال بالشكل الملح الذي قد يمكننا التطلع إليه، لكنها إذ ترينا أن الشيطان حين ينتهي الفيلم لابد أن يطلع مهزومًا مع وعد دائم بالعودة، فإنها تقول لنا ماهو واقع عياني: المسألة معركة دائمة وصراع متواصل، ليس الفيلم المعني سوى جزء يسير منه.. حلقة في دورته. وبالتالي كما أن كل الأفكار والأديان ليست - ولا ينبغي - أن تكون قادرة على إنهاء وجود الشيطان جذريًا، لأن الشر ضروري في الوجود ضرورة الخير.. وما على الإنسان سوى أن يختار موقعه منهما في صراعه الجواني الأبدي، كذلك ليس على السينما سوى تصوير حلقات هذا الصراع التي لا تنتهي.

وفي هذا السياق تبدو السينما صادقة مع نفسها كل الصدق.. وتبدو - من خلال ذلك - ميدانًا حديثًا ومبدعًا لتصوير ذلك الصراع، وتوعية المرء بمكانه فيه، من دون أن يفوتها أن للمسألة أيضًا جانبًا أساسيًا وهو جانب الترفيه. فالشيطان أيضًا مخلوق يسلّي، يرعب، يحض على التفكير، يحول الصراعات الجوانية إلى صراعات بصرية على الشاشة، ووجوده البصري..يطهر. وربما يقول في نهاية الأمر إن الإنسان، عبر إيمانه بالخير، هو في نهاية المطاف من ينتصر على الشيطان.. لأن المعركة معركته.■



وللثقافة شياطينها أيضًا!

خالد حمزة المدني - ؟؟؟

الثقافة لفظ ساحر لكثير من الناس. فهو يوحي بالاعتماد على العلم والمعرفة المجردة، ويشير إلى قمة النزاهة والموضوعية والتجرد من الأهواء. غير أن الثقافة في حقيقة الأمر خليط متمازج من الاعتقادات والمعارف والآراء التي تتشكل لدى المرء بفعل عوامل عديدة من التنشئة والتعليم والميول والأهواء. فهي أبعد عن أن تكون علمية محايدة بشكل كامل، وإنما قد تقترب من الموضوعية أو تبتعد بمقدار سلطان المثقف على أهوائه ومراقبته لها.

والمثقفون من أكثر الناس تأثيرًا في مسيرة الأمم؛ لقدرتهم على التفكير والتحليل، ورصد الأحداث وتفسيرها، وتمكنهم بالتالي من بسط آرائهم ومواقفهم في شؤون الحياة المختلفة استنادًا إلى رؤيتهم للمجتمع الذي يعيشون فيه. أما تأثيرهم فإنه يتفاوت إيجابًا وسلبًا بقدر رشاد الرؤية التي يحملونها ومدى إسهامها بشكل إيجابي في مجتمعاتها بمحاربة جوانب الشر والانحراف وتعميق توجهات الخير والفضيلة أو بضد ذلك.

ولما للثقافة من بريق ساحر فإنها تُتخذ في بعض الأحيان تكأة للضلال، وأداة للسيطرة، ووعاءً للتحيز، لتنقلب بذلك شيطانًا يوحي الباطل ويزخرف القول كي يكون حقًا لا مرية فيه، وهذا ديدن الشياطين مذ كانوا كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾.

الثقافة تُكأة للضلال

رواية «آيات شيطانية» غدت أنموذجًا للخلل الذي يعانيه بعض المثقفين المسلمين؛ حيث تجد كثيرًا من الطامحين منهم للمجد الأدبي والشهرة الثقافية يستفزون مجتمعاتهم المسلمة بأطروحات صارخة تصادم دينها وثوابتها مستندين إلى الدعم والترويج الغربي الذي يفرح بمثل هذه الأعمال ويسوّقها بوصفها تعبيرًا عن الفكر الجديد في العالم الإسلامي، ويتمادى في الدفاع عنها بدعوى حرية التعبير.

وقد لا تكون تلك القفزات الفكرية البهلوانية ناتجة بالضرورة عن قناعات راسخة من الكاتب، بقدر ما هي ثمن يدفعه طلبًا للشهرة والانتشار أو سعيًا للحصول على جوائز أدبية معينة. فالأمر كما يقول أوسكار وايلد: إن العيابة المتهكم يعرف ثمن كل شيء إلا أنه لا يعرف قيمة أي شيء.

في الجانب المقابل فإن عينك لا يمكن أن تخطئ ملاحظة الاهتمام المبالغ فيه بالجنس في كثير من الروايات العربية، فإنك تجد اختزالاً لكثير من مظاهر الحياة في المجتمعات المسلمة في أبعاد جنسية، كما تلحظ اهتمامًا مبالغًا فيه بتصوير اللقاء الجنسي بوصف تفصيلي دقيق، في حين يأتي التعبير في كثير من مثيلاتها العالمية عن مثل هذه اللحظات في لمحة خاطفة تأتي لإتمام الصورة وليست مقصودة بذاتها.

ولعل ذلك ظاهر في عدد من الروايات المحلية التي أصبحت أيقونة للمجتمع السعودي في نظر الآخرين، وذلك لما لقيت من حفاوة إعلامية كبيرة لا تتناسب مع قيمتها الأدبية. لقد عنيت هذه الروايات بتكريس الصور الشاذة في المجتمع السعودي وعممتها لتمثل الأصل والواقع المعاش، فابتعدت بذلك عن إنصاف واقع مجتمعها قدر بعدها عن الأدب والفضيلة.

والمؤسف أن هذا النوع من الروايات هو الذي يتلقفه الناشرون الغربيون لترجمته ونشره باعتباره معبرًا عن حقيقة مجتمعاتنا، كما يقول فاروق عبدالوهاب. وهو ناقد مصري يعمل أستاذًا بجامعة شيكاغو ترجم إلى الإنجليزية عددًا من الروايات. فقد ذكر أن «روايات عربية مترجمة تحظى بمساحة أكبر من الاهتمام رغم تواضع قيمتها الإبداعية لأن مؤلفيها اختاروا مناقشة قضايا تثبت صورتنا الذهنية لدى الغرب، كأن تتبنى كاتبة مصرية أننا نعيش في عصر الحريم، أو كاتب جزائري أننا مهووسون بالجنس. وأن «التركيز على هذه الأعمال بالذات يستهدف دغدغة عواطف القراء الغربيين الذين تستهويهم أعمال ذات أبعاد غرائبية تصور العالم العربي مليئًا بكائنات جنسية متخلفة».

إن هذه الصور الضالة تنشر في مجتمعات المسلمين وعنهم تحت ستار الثقافة، وتتخذ تكأة لهدم ثوابت الأمة وأخلاقها. وقد يستهين البعض بمثل هذه الكتابات على اعتبار أنها مجرد آثار أدبية، في حين أن الآثار الأدبية تعد من أخطر الدراسات أثرًا في أمم الأرض جميعًا؛ لأنها تصوغ العقول والمواقف، وتنفذ إلى القلوب والمشاعر.

الثقافة أداة للسيطرة

يميل الإنسان دومًا إلى اختزال المعلومات والمدركات، ووضع الناس والأفكار والأحداث في قوالب عامة مريحة لكي يصل إلى فهم أسهل. ومشكلة هذه القوالب أنها ليست صحيحة دائمًا، بل قد تكون نتيجة لتشويه الحقائق، أوالتعميم المفرط.

وبالنسبة للغرب فإن الاستشراق قد قام بدور ثقافي شيطاني في قولبة المجتمعات المسلمة واختصارها لتسهيل فهمها وتطويعها، وهو ذات الدور الذي تمارسه بعض وسائل الإعلام الغربية في العصر الحديث بجدارة.

ففي الولايات المتحدة -على سبيل المثال- يوجد العديد ممن يسمون بالخبراء في شؤون الشرق الأوسط تكمن مهمتهم في تقديم الرأي والمشورة من خلال خبرتهم بالعالم الإسلامي والعربي إلى وسائل الإعلام والحكومة. يتم استنفار هؤلاء إثر كل تفجير، أو أزمة رهائن، أو خطف طائرة...إلخ. وذلك لإبراز الرابط الضروري بين الإسلام والثقافة العربية والعنف أو الإرهاب كما اصطلح على تسميته اليوم.

كما توجد العديد من مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية التي تشتغل بوضع رؤى جاهزة للحكومة الأمريكية في كل مناحي الحياة، فهي أشبه بالمكاتب الهندسية التي تعرض تصاميمها المتعددة ليشتري أحدها صاحب المنزل ويتعاقد معها للإشراف على تنفيذه. ولعل من أشهر الدراسات التي أبرزت في وسائل الإعلام مؤخرًا تقرير مؤسسة راند حول العالم الإسلامي بعد ١١ سبتمبر، الذي قامت به لصالح وزارة الدفاع الأمريكية. وقد حوى عددًا من التوصيات في أسلوب التعامل مع المسلمين: عربًا كانوا أم غير عرب، وشيعة كانوا أم سنة، متطرفين كانوا أم معتدلين، ليبراليين أم راديكاليين.

هذا على مستوى الثقافة الواعية، أما إذا تأملت في الثقافة التي تتسلل إلى المجتمعات الغربية دون وعي منها -عن طريق السينما مثلاً - فستجد هذه الصورة أكثر جلاء. ففي فيلم «أكاذيب حقيقية» على

لا يمكن أن يدعي أحد هنا أن الثقافة وظفت في ما ينبغي أن تكون لأجله، من السعي لفهم أفضل للآخر، ومحاولة استنباط رؤيته المختلفة نحو العالم، والوصول لقواسم مشتركة يمكن الاتفاق عليها، بل إنها تحولت بصورة شيطانية أداة للقولبة والتنميط وذلك بغرض إحكام السيطرة واستخدام أنجع الطرق لضمان عدم المقاومة

سبيل المثال والذي أنتج عام ١٩٩٤ وكلف إنتاجه أكثر من ١٠٠ مليون دولار يظهر الممثل آرنولد شوارزينيغر -وهو بالمناسبة حاكم كاليفورنيا اليوم- بعضلاته المفتولة وهو يردي بالرصاص عشرات الإرهابيين من العرب المسلمين الذين يخططون لتفجير قنبلة نووية على سواحل فلوريدا. لاحظ أن ذلك كان قبل الحادي عشر من سبتمبر بسنوات عديدة.

ولا تقف الشيطنة الثقافية تجاه المجتمعات المسلمة عند هذا الحد، بل تسعى إلى إيجاد الوسائل الممكنة لتطويعها والسيطرة عليها؛ فتعذيب السجناء في أبو غريب مثلاً كانت نتيجة لسياسة مدروسة كما ذكر ذلك سيمور هيرش في مجلة النيويوركر. فقد



وللثقافة شياطينها أيضًا!

أشار إلى أن قرار اعتماد القوة والعنف مع السجناء والقيام بإذلالهم جنسيًا كان مستندًا إلى دراسة علمية تتمثل في كتاب «العقل العربي: دراسة للثقافة وعلم النفس العربي» لرفائيل باتاي.

ضم هذا الكتاب الذي صدر لأول مرة عام ١٩٧٣ فصلاً من ٢٥صفحة يشير إلى أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة. ويصور الجنس لدى العرب على أنه تابو، أي أمر محظور تداوله لأسباب دينية وأعراف اجتماعية. وبالتالي فإن نقطة الضعف الكبرى لديهم هي الإذلال الجنسي. ولن تعجب إذا علمت أن مؤلف هذا الكتاب هو عالم أنثروبولوجي يهودي، عاش في فلسطين أثناء فترة الانتداب البريطاني ونال أول شهادة دكتوراه تمنحها الجامعة العبرية. وعمل في عدد من الجامعات الأمريكية مثل كولومبيا وبرنستون.

قبل ذلك بكثير وإبان الاستعمار البريطاني للهند، اعتمدت إنجلترا نشر نظام تعليمي يسعى لتعليم الهنود تفوق الحضارة البريطانية على الحضارة الهندية، ويضفي على الرجل الأبيض دون غيره سمات القوة والقدرة والإنجاز. وهذا الأسلوب جعل السلطات الاستعمارية لا تلجأ للآلة العسكرية إلا بالحد الأدنى وبقسوة بالغة، وتكرر ذلك في مصر والسودان وغيرها من الدول التي استعمرتها بريطانيا. لقد عرفوا أن الاختراق الثقافي أهم بكثير من القوة العسكرية في تطويع الشعوب.

وفي إسرائيل منذ نشوئها عام ١٩٤٨ طبقة من المستشرقين -أو المستعربين كما يسمونهم - متخصصين في الحضارة والتاريخ الإسلامي، وظيفتهم العمل مع الحكومة على تهدئة العرب والسيطرة عليهم. وهم يعملون مع قوى الاحتلال مستشارين بل تنفيذيين في بعض الأحيان، فقد كان مناحيم نيلسون حاكم الضفة الغربية حتى عام ١٩٨٣ أستاذًا في الأدب العربي.

ولا يمكن أن يدعي أحد هنا أن الثقافة وظفت في ما ينبغي أن تكون لأجله، من السعي لفهم أفضل للآخر، ومحاولة استنباط رؤيته المختلفة نحو العالم، والوصول لقواسم مشتركة يمكن الاتفاق عليها، بل إنها تحولت بصورة شيطانية أداة للقولبة والتنميط وذلك بغرض إحكام السيطرة واستخدام أنجع

الطرق لضمان عدم المقاومة.

الثقافة وعاء للتحيز

في المجتمعات البدائية كانت البرمجة الثقافية للأجيال الجديدة تتم عن طريق مقولات الآباء والأجداد وأمثالهم أو عن طريق القصص الخيالية والأساطير. أما في المجتمعات الأكثر تطورًا كحالنا اليوم فإن وسائل الاتصال الجماهيري تولت الزمام وذلك بسعيها إلى فرض مفهومات محددة، وتكريس رؤية معينة يتعاطاها الناس فيما بينهم، وصياغة الأخبار وتركيز المشاهد والصور لخدمة هذا التوجه أو ذاك، وهذا مجال كبير للشيطنة الثقافية.



قد يستغرب الكثيرون مدى التحيز للجانب الإسرائيلي في الولايات المتحدة مع وضوح الحقائق على الأرض؛ إلا أن هذا الاستغراب سيزول حتمًا عندما يعلمون أن مئات بل آلاف الأخبار والمقالات والتحقيقات والتقارير تكتب كل عام في إسرائيل من قبل كوادرها الإعلامية وتمرر إلى الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية والإذاعية في أمريكا، والتي يجنح محرروها بطبيعة الحال إلى الاستفادة من هذه المواد ليحصلوا على تغطية سهلة ومجانية للأحداث في المنطقة.

أما في قضايا العرب والمسلمين الأخرى، فإن مما يسهم في التحيز ضدهم أن معظم الصحافيين الذين يكتبون عن الأحداث في مناطقهم غير متخصصين أو مدركين لجذور الاختلاف الثقافي: فهم لا يقومون بالبحث بشكل موضوعي من خلال لقاء الناس في الشوارع واستمزاج آرائهم، بل قد لا يعرفون حتى اللغات التي يتحدثها هؤلاء ليتمكنوا من قراءة أفكارهم كما هي. إنما يدخلون ويخرجون من مكان لآخر عند حدوث أزمة تستحق التغطية؛ لأن هذه الأزمات هي التي تلقى رواجًا وتحظى بمساحات تغطية واسعة إعلاميًا، أما بقية الأحداث أو السعي لمزيد من الفهم من خلال معايشة المجتمعات في حياتها اليومية فإنها لا تعطى إلا مساحات هامشية.

في مقال لمايكل ماسينغ من جزأين نشرته دورية نيويورك ريفيو أوف بوكس الرصينة في ديسمبر ٢٠٠٥ يسرد بعض المصاعب التي تواجهها الصحافة وقنوات التلفزة، فيذكر منها قلة الكتاب المتخصصين الذين يمكن أن توكل إليهم تغطية أحداث معينة حسب تخصصاتهم؛ وذلك بسبب الضغوط المالية التي تواجهها هذه المؤسسات من قبل الناشرين سعيًا وراء مزيد من الأرباح من جهة، وتركيز الاهتمام في الآونة الأخيرة على الموضوعات التي تهدد الأمن القومي أكثر من غيرها من جهة أخرى. حتى إن صحيفة كبرى مثل التايمز ليس لديها سوى أربعة محررين لتغطية جميع الشؤون الأمريكية المختلفة من الرعاية الصحية إلى شؤون العمل.

هذا إضافة إلى الضغوط التي تواجهها هذه الصحف والقنوات من قبل جماعات الضغط القوية

التي تنفق بسخاء على من يرضى ليكون منبرًا يوصل صوتها إلى الناس في شكل إعلانات وتصريحات وأخبار مدفوعة الثمن واشتراكات.. إلخ. وتحرم من لا يقوم بهذا الدور من العوائد المادية المرتفعة، والتي هي من أهم أهداف الناشرين والملاك لهذه المؤسسات.

وضغط آخر يتصاعد باستمرار وينافس وسائل الإعلام في مجال الانتشار والتأثير، وهي مواقع كتّاب المدونات الرقمية (البلوغرز) على الإنترنت، والتي يمثل المحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأغلبية العظمى من كتّابها: حتى إن ثمانية من كل عشرة مواقع -كما يؤكد جهاد الخازن- تمثل اليمين الأمريكي. وقد دفع هؤلاء بترهيبهم كثيرًا من الصحفيين المنصفين إلى الاستقالة، واضطرت بعض المؤسسات الإعلامية إلى إلغاء برامج أو سحب مراسلين أو حتى فصل بعض المحررين نتيجة لهذه الضغوط.

إن الثقافة والمعلومة في الأمثلة السابقة لا تلعب الدور الحقيقي لها بإبراز نقاط التنوع والتعدد والاختلاف، بل تقوم بتكريس رؤية الطرف الأقوى في الصراع أو الأقدر على إيصال صوته وتسخير المنابر الإعلامية لخدمة أهدافه، وهذه بلا شك صورة من صور الشيطنة الثقافية التي أتقنها اليهود بامتياز.

كيف تصبح الثقافة سبيلاً للفهم؟

وأمام هذه الصور من الشيطنة الثقافية التي تشير إلى ما وراءها، فإننا بحاجة إلى اتخاذ الموقع الصحيح الذي يمكننا من التصدي لها ومقارعتها، وذلك بنشر الثقافة المنصفة التي تثري الفكر وتعمق الفهم وتعمم الخير وتفتح آفاق التواصل وتمكّن الآخر من رؤية مجتمعاتنا وثقافتنا بوجهها الحقيقي الذي لا تشويه فيه، وألا نكتفي بالتعبير عن غضبنا واحتجاجنا على الآخرين وتصوير أنفسنا دومًا ضحية لهجومهم.

إننا بحاجة إلى أن نوضح لمثقفينا بأن الحرية التامة مستحيلة التحقق في نظام البشر؛ لأن تمام الحرية هو الانخلاع عن جميع القيود، وعن كل مراعاة للغير، وذلك لا يكون إلا حين يعيش المرء عيشة الوحوش. فأما والإنسان مدني بطبع خلقته، محتاج إلى الاتصال ببني نوعه، فالحرية المطلقة تنافي مدنيته. وما يقوم في عقول بعض الكتّاب المسلمين من ادعاء حريتهم في الإنتاج الأدبي على أي صورة من الصور هو بلاء مستطير، لأنه إسهام في زلزلة حصون الأمة. والأفكار الساقطة حين تنشر في الناس ستستهوي بلا شك أقوامًا غافلين بسطاء، فتصبح وباء في العقول المهزولة يعسر شفاؤه.

كما أن علينا السعي لمنح الآخرين فرصة لفهم ثقافتنا بالتواصل معهم بلغتهم والأسلوب الذي يفهمون. وإنه يحق لنا أن نتساءل: لماذا لا نجد أحدًا من المسلمين ضمن كتّاب الرأي البارزين في الصحف الغربية، في حين تعجّ بمقالات وأعمدة الكتّاب اليهود؟ ولماذا لا تقوم وسائلنا الإعلامية بإعداد مواد إعلامية عن ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية، وعن واقع مجتمعاتنا، ورؤيتها للآخرين؟

لقد جعل الإسلام من الاختلاف والتنوع ثروة وحافزًا للتعارف ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾، ولم يكن متطلعًا يومًا إلى السيطرة على الآخرين أو إلزامهم بأمور لا يرتضونها أو ثقافات لا يقبلونها، بل ترك لهم حتى حرية الاعتقاد ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾. ولو وفقنا في عرض هذه الرؤى لغيرنا، فإن ذلك بلا شك سيسهم في مزيد من الفهم والإنصاف.

يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي: «إنني أعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لو كان للإسلام دعاة فاهمون لحقيقة الإسلام، محسنون للإبانة عنها وعرضها على العقول لرجعت إليه هذه الأمم الحائرة في هذا العصر، الثائرة على أديانه وقوانينه وأوضاعه: لأن أديانه لم تحفظ لهم الاستقرار النفسي والطمأنينة الروحية، ولأن قوانينه الوضعية لم تضمن لهم المصالح المادية ولم تقم الموازين القسط بين طبقاتهم، ولأن الأوضاع العامة لم تحقن دماءهم، ولم تغرس المحبة بينهم؛ فهم لذلك تائهون متطلعون إلى حال تغير هذه الحوال. وفي الإسلام ما يقوم بذلك كله، ويرجع بالناس إليه وإلى اختياره حكمًا ترضى حكومته لو وجد من يدعو إليه على بصيرة، ويبين حقائقه، ويحسن عرضها على العقول ببرهان الواقع والمعقول».

يزعمون أن منهم :

لافط بن لاحظ وهبيد بن الصلادم وهاذر بن ماذر!!

شياطين الشعراء

إبراهيم مضواح الألمعي - رجال ألمع

اتسمت شخصية الشاعر بالغموض منذ أعمق عصور الأدب، ومما زاد من تكثيف تلك الصورة، الطبيعة التكوينية لهذا الفن الأدبي، وأمام ذلك الغموض، فسرت الحالة الشعرية، بما هو أغمض، عندما افترضوا وجود قوى روحية غريبة تتصل بالشعراء. وشاعت بين العرب فكرة أن لكل شاعر شيطانًا يوحي إليه الشعر..

حتى نقلوا لنا أسماء غريبة لشياطين الشعراء، إذ كانوا يشعرون بالصلة الوثقى بين الكهانة والسحر والشعر وكانوا يعتقدون اعتقادًا جازمًا، أن الشياطين هي التي تلهمُ الشعراءَ ما يجري على ألسنتهم من أشعار، ويرجع ذلك إلى معتقد جاهلي لدى العرب في ارتباط الكهانة بالشعر، ولعل ذلك يفسر نفي صفة الشعر والسحر عن القرآن الكريم وعن النبي صلى الله عليه وسلَّم بشكل متلازم.

وقديمًا وبسبب هذا الغموض الذي يكتنف شخصية الشاعر ذهب أفلاطون إلى تشبيه الحالة الشعرية بالجنون فقال: «إن الشاعر ينظم شعره عن إلهام، وحالته تشبه حالة الجنون، فهو لا يصدر في شعره عن عقله».

ويبدو أن العربَ قد تأثروا بتصورات اليونان والرومان وتفسيراتهم للقدرة الشعرية، فكما جعلَ اليونان والرومان للشعرِ آلهةً جعلَ العربُ لهم شياطين، وكما جعلَ اليونان والرومان لآلهةِ شعرهم مسكنًا في جبل البرناس، جعل العرب لشياطين الشعر مساكن في وادي عبقر، ووادي زرود ووادي الأرواح.. وقد خرجوا بذلك من أزمة الشعور بالعجز عن تفسير الظاهرة الشعرية، فسموا لكل شاعر شيطانًا، لامرئ القيس: لافظ بن لاحظ، وللأعشى: مِسْحَل بن أثاثة، ولعبيد بن الأبرص: هبيد بن الصلادم، وللنابغة الذبياني: هاذر بن ماذر، وللكميت: مدرك بن واغم، ولبشر بن أبي خازم: هبيد، ولزهير بن أبي سلمى: زهير، ولبشار بن برد: شنقناق، ولطَرفة: عنتر بن العجلان، ولقيس بن الخطيم: أبو الخطَّار، ولأبي نواس: حسين الدَّنَّان، ولأبي تمام: عتَّاب بن حبناء، وللبحتري: أبو الطبع، وللمتنبي: حارثة بن المُغَلِّس.

وقد قرأنا في تراثنا العربي كثيرًا من القصص التي تؤكد لنا وجود هذا الارتباط الوثيق بين الشعراء وشياطينهم؛ تناقلتها كتب التراث، حتى لتكاد تكون تلك القصص أشبه بأسطورة واحدة رُكبت بشكل أو آخر على كل شاعر بما يناسب مقاسه ومقاس شعره، فهل هي قصص أريد بها تضخيم شأن بعض

الشعراء، لدواعٍ عصبية أو عاطفية؟ أم أنها نُسِجَتْ حول هؤلاء الشعراء بقصد الحط من قدرهم الشعري لذات الدواعي؟ باعتبارهم مجرد ناقلين لشعر الشعراء من الشياطين؟! أم أن الأمر يعود إلى ارتباط الشعر بالسحر والكهانة، في المعتقد الجاهلي؟ إنني أعزو الأمر إلى هذه الأسباب مقرونة بغيرها من الدواعي التي قد نستنبط بعضها من سياقات القصص ونجهل أكثرها.

والغريب أننا نجد الشعراء أنفسهم يحاولون إقناعنا بارتباطهم بشياطينهم، ويروجون للوهم القائل بارتباطهم بالقوى غير المرئية، ويتباهون بتلك العلاقة، وذلك أنها تجعلهم في منزلة أعلى من سائر الناس، حتى ليزعم امرئ القيس أن الجن تخيره ما يشاء من شعرها:

تخيرني الجنّ أشعارها

فما شئت من شعرهن اصطفيت

ويفتخر بتوابعه من الجنّ، فيقول:

أنا الشاعر الموهوب حولي توابعي

من الجن تروي ما أقول وتعزفُ

وعلى هذا يفاخر الأعشى بوثاقة علاقته بشيطانه مِسْحَل ويمجِّده فيقول:

وَما كُنتُ ذا قولٍ وَلَكن حَسبتُني

إذا مِسْحَلٌ سَدّى لِيَ القَولَ أَنطِقُ

شَريكانِ فيما بَينَنا مِن هَوادَةٍ

صَفيّانِ جِنّيٌّ وَإِنسٌ مُوَفَّقُ

يَقولُ فَلا أَعيا لِشَيءٍ أَقولُهُ

كَفانِيَ لا عَيٌّ وَلا هُوَ أَخرَقُ

ويسميه الأعشى أخًا له،ويَفديه بنفسه فيقول:

«الشيطان» على ألسنة العرب*

- **جند إبليس:** يقال ذلك للمجّان والخلعاء، قال الشاعر:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقت

بي الحال حتى صار إبليس من جندي

- **إبليس الأباليس:** قال جرير من قصيدته التي فيها:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن

لم يستطع صولة البُزل القناعيس

إني ليلقي عليّ الشعر مكتهل

من الشياطين إبليس الأباليس

- **صديق إبليس:** هو عبدالله بن هلال، الذي يقال له الساحر، وكان في زمن الحجاج، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات(1)، يدّعي أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويُطلعه على أسراره. ولما قال الحجاج ليحيى بن سعيد العاص: أخبرني عبدالله بن هلال صديق إبليس عليه اللعنة، أنك تشبه إبليس، قال: وما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن! فعجب من قوة جوابه.

- **قبح الشيطان:** بلغني عن الصاحب أنه كان يستملح قول أبي علي البصير في أبي هفان ويستطرفه، وكثيرًا ما كان ينشده ويردده:

لي صديق في خلقة الشيطان

وعقول النساء والصبيان

من تظنونه؟ فقالوا جميعًا

ليس هذا إلا أبا هفان

- **خطوات الشيطان:** قال الله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾، قال الزجاج: خطوات الشيطان: طرقه التي يسلكها، أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم الشيطان إليها.

- **أصابع الشيطان:** كان يقال: من والاه السلطان، صَبَغه الشيطان، قال الشاعر:

قد كنت أكرم صاحب وأبرّه

حتى دهتك أصابع الشيطان

جذ الإله بنانها وأبانها

كما غيرت خلقًا من الإنسان

حَباني أَخي الجِنّيُّ نَفسي فِداؤُهُ
بِأَفيَحَ جَيّاشِ العَشِيّاتِ خِضرِمِ

ويقول:
دَعَوتُ خَليلي مِسْحَلاً وَدَعوا لَهُ
جَهَنّامَ جَدعًا لِلهَجينِ المُذَمَّمِ

وجهنام: شيطان شاعر آخر.

وكذا حسان بن ثابت (رضي الله عنه) يدَّعي أن له جنيًا يلهمه الشعرَ فلا يحتاج إلى سرقة الشعر، بل إن شعرهم لا يشبه شعره، فشعره أمتن سبكًا وتحبيرًا فيقول:

لا أَسرِقُ الشُعَراءَ ما نَطَقوا
بَل لا يُوافِقُ شِعرَهُم شِعري
إِنّي أَبى لي ذَلِكُم حَسَبي
وَمَقالَةٌ كَمَقالِعِ الصَخرِ

- **رُقى الشيطان:** هي الشعر، قال جرير لما مدح عمر بن عبدالعزيز فلم يعطه:

رأيت رُقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الشعر راقيا

- **مكيال الشيطان:** قال بعض الحكماء: العدل ميزان الباري، والجور مكيال الشيطان، كأنه أراد ما يجري في الكيل من المجازفة عند الأخذ، ومن التطفيف لدى الأداء، فنسب ذلك إلى الشيطان.

- **ظل الشيطان:** العرب تقول للمتكبر الضخم: ظل الشيطان. قال الحجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص: بينا أنت يا ظل الشيطان أشد الناس كبرًا، إذ صرت مؤذنًا لفلان.

- **لطيم الشيطان:** يقال لمن به لَقْوَة أو شَتَر:[٢] يا لطيم الشيطان وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقب بذلك.

- **مُخاط الشيطان:** الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر يقال لها: مُخاط الشيطان، ولعاب الشمس، وخيط باطل، ويشبّه به ما لا حاصل له، وما لا طائل فيه.

- **بريد الشيطان:** الوزغ. ذكر الجاحظ عن شريك النخعي عن جرير، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الوزغ بريد الشيطان.

- **وكر الشيطان:** يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: قوله: إياكم والأسواق، فإن الشيطان قد باض فيها وفرّخ.

- **حبائل الشيطان:** قال بعض السلف: احذروا النساء فإنهن حبائل الشيطان.

- **خمر الشيطان:** قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها لم يفق من سكرتها إلا وهو في عسكر الموتى حاضرًا نادمًا.

- **رؤوس الشياطين:** يشبه بها ما يستفتح ويستهول، قال الله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾[٣].

هوامش

(١) النيرنجات بكسر النون: أخذ كالسحر وليس بسحر.

(٢) اللقوة: داء في الوجه، والشتر: انقلاب في جفن العين.

(٣) سورة الصافات ٣٦-٣٧.

*من كتاب «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي

وَأخي مِنَ الجنِّ البَصيرُ إذا
حاكَ الكَلامَ بِأحسَنَ الحَبرِ

ثم يبين حسان أن الأمر بينه وبين صاحبه من الجن شراكة في قول الشعر فيقول:

وَلي صاحِبٌ مِن بَني الشَيصَبانِ
فَطَورًا أَقولُ وَطَورًا هُوَه

والشيصبان من عظماء الجن بزعمهم..

ويشكو أبو عطاء السندي عجمةً ولثغة كانت في لسانه فلا يكاد يبين مع أنه شاعر مجيد، فيشكو حاله وعجزه عن إيصال بيانه للناس، بسبب هذه العجمة التي اشتكى منها حتى شيطانه فيقول:

أعوزتني الرواةُ يا ابن سليم
وأبى أن يقيم شعري لساني
وغلا بالذي أجمجمُ صدري
وشكاني من عجمتي شيطاني



فتمنيتُ أنني كنتُ بالشعرِ
فصيحًا وبانَ بعضُ بناني

وينسب إلى جرير قوله:

إني ليلقي عليَّ الشعرَ - مكتهلٌ-
من الشياطين إبليسُ الأباليسِ

ويمدح الفرزدق شعره من خلال مدحه شيطانه فيقول في قصيدة مدح بها أسد بن عبد الله القسري:

لَتَبلُغَن لأبي الأَشبالِ مدحَتُنا
مَن كانَ بالغَورِ أَو مَروَي خُراسانا
كَأَنَّها الذَهَبُ العِقيانُ حَبَّرَها
لِسانُ أَشعَرِ أَهلِ الأَرضِ شَيطانا

ويجاوز الأمر ذلك إلى ما يُسمى بوحدة الشيطان بين شاعرين، وهذا ما زعمه الفرزدق في غير موضع، حينما يقول: «شيطاني وشيطان جرير واحد» وذلك حينما يقول بيتًا من الشعر ثم يتوقع أن يهجوه به جرير، ودون أن يكون هناك تواصلٌ بين الشاعرين، ومن ذلك قول جرير:

بِسَيفِ أَبي رَغوانَ سَيفِ مُجاشِعٍ
ضَرَبتَ وَلَم تَضرِب بِسَيفِ ابنِ ظالِم

وقد توقع الفرزدق أن يهجوه جرير بقصيدة يضمنها هذا البيت، بحجة أن شيطانهما واحد، وذلك عندما ضرب الفرزدق بسيف فنبا وارتعشت يده، وهذا ما حدث بالفعل.

وفي قصة أخرى روي أن الفرزدق نزل بقوم من العرب فأكرموه وأحسنوا قراه. فلما كان في الليل دب إلى جارية منهم فراودها عن نفسها، فصاحت، فتبادر القوم إليها، فأنقذوها منه ولاموه على فعلته. فجعل يتفكر ويهيم، فقال له صاحب البيت: أتحب أن أزوجك من هذه الجارية؟ قال: لا والله وما ذلك بي. ولكن كأني بابن المراغة (يقصد جريرًا) قد بلغه هذا الخبر فقال:

وَكُنتَ إذا حَلَلتَ بِدارِ قَومٍ
رَحَلتَ بِخِزيَةٍ وَتَرَكتَ عارا

فقال الرجل: لعله لايفطن لهذا. قال: عسى أن يكون ذاك. قال: فوالله ما هو إلا وقت يسير حتى مر بنا راكب ينشد هذا البيت. فسألوه عنه. فأنشدهم قصيدة لجرير فيها هذا البيت بعينه.

وهناك من الشعراء من يفاخر نظراءه بعظم شأن شيطانه برغم حداثة سنه هو؛ فيقول:

إني وإن كنت صغير السنِّ
وكان في العين نبوٌّ عني
فإن شيطاني كبير الجن
يذهب في الأشعار كل فَنِّ

ولا يستطيع أحدٌ أن يعدَّ حديث الشعراء عن شياطينهم شاهدَ عدلٍ على وجود هؤلاء القرناء، ولكن يأتي ذكرهم على ألسنة الشعراء في معرض المباهاة، ولعلهم في أحسن أحوالهم يعنون بذلك قوة الإلهام والملكة، لا شياطين حقيقة، فلو أخذنا بتلك الأقوال مثلاً، فعلينا أن نقول: إن جميع شياطين الشعراء إناث، ما عدا شيطان أبي النجم العجلي لأنه صرح بذلك في شعره، حين قال:

إنّي وَكُلُّ شاعرٍ مِنَ البَشَرْ
شَيطانُهُ أُنثى وَشَيطاني ذَكَرْ
فَما رَآني شاعرٌ إلا استَتَرْ
فِعلَ نُجومِ اللَيلِ عايَنَّ القَمَرْ

وهذا يخالف سائرَ القصصِ التي يدعي فيها الشعراء والرواة أن شياطين الشعراء ذكور، وليس ذلك أمرًا مستغربًا على ذكورية البيئة الشعرية العربية، فهل يمكن أن يكون شياطين الشعر شيئًا غير الرمز على امتلاك ناصية القول؟! أو أنهم يتوهمون ذلك ويصدقونه حقيقة، توحيه إليهم عقولهم الباطنة، فمن المعروف أن الأماكن التي تسودها الوحشة، ويسيطر على المرء فيها الخوف، تتراءى له فيها تصورات مختلفة، وربما قام العقل الباطن بتخييل من يلقن الشاعرَ الشعرَ، أو أن بعضهم كان يعاني حالة من عدم التوازن النفسي، فيتهيأ له أن يتحدث إلى الأشباح، وقد تلقف الرواة هذه القصائد والقصص، وتزيدوا عليها، وجعلوها نواة لقصص حاكوها حول شياطين الشعر، ليتحول هذا الرمز الدال على الملكة الشعرية أسطورةً، ثم تكرَّست هذه الأسطورة لتتحول اعتقادًا جازمًا، يدعيها كل شاعر لنفسه، وعوضَ أن يمدح نفسه يمدح شيطانه ليعلي بذلك من منزلة شعره، أو يمدح نفسه على لسان شيطانه، أو يفعل ذلك الرواة تعظيمًا لشاعر، أو حطًا من قدره، لانتماء قبلي، أو

الغريب أننا نجد الشعراء أنفسهم يحاولون إقناعنا بارتباطهم بشياطينهم، ويروجون للوهم القائل بارتباطهم بالقوى غير المرئية، ويتباهون بتلك العلاقة، وذلك أنها تجعلهم في منزلة أعلى من سائر الناس

عصبية، أو عاطفة، حتى لربما حوربت القبيلة بالحط من منزلة شعرائها، أو نسبة شعرهم إلى الشياطين..

وكم يبدو واضحًا قصد التعظيم لشأن الأعشى، في القصة التي رويت عن جرير بن عبدالله البجلي أنه أتى في بعض أسفاره الماء فإذا قومٌ مشوهون فقعد، يقول: «فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدُّ تشويهًامنهم فقالوا: هذا شاعرهم، فقالوا له يا فلان؛ أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

«ودِّع هريرة إن الركبَ مرتحلُ»

فلا والله ما خرم منها بيتًا واحدًا، حتى انتهى إلى هذا البيت:

تسمعُ للحلْيِ وسواسًا إذا انصرفتْ
كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به، فقلتُ: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا، قلتُ: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عامًا أول بنجران! قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه، وأنا مِسْحَل صاحبه، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون ابن قيس!».

ويعمل الرواة على تأكيد هذه القصص بأن يوردوا بعضًا منها على لسان الشاعر نفسه، فنقرأ قصة لقاء الأعشى بشيطانه مِسْحَل بن أثاثة التي يرويها الأعشى فيقول: «خرجتُ أريدُ قيس بن معد يكرب بحضرموت، فضللتُ في أوائل أرض اليمن؛

لأني لم أكن سلكتُ ذلك الطريق قبلُ، فأصابني مطرٌ، فرميتُ ببصري أطلبُ مكانًا ألجأ إليه، فوقعتْ عيني على خباء من شعر، فقصدتُ نحوه، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء، فسلمتُ عليه، فردَّ علي السلام، وأدخلَ ناقتي خباءً آخر كان بجانب البيت. فحططتُ رحلي وجلستُ، فقال من أنتَ؟ وإلى أين تقصد؟ قلتُ أنا الأعشى. أقصدُ قيس بن معد يكرب. قال: حياك الله! أظنُّك امتدحتَه بشعر؟ قلتُ: نعم. قال: فأنشدنيه. فابتدأتُ مطلع القصيدة:

رَحَلَت سُمَيَّةُ غُدوَةً أَجمالَها
غَضبى عَلَيكَ فَما تَقولُ بَدا لَها

فلما أنشدته هذا المطلع قال: حسبُك! أهذه القصيدة لك؟ قلتُ: نعم. قال: من سمية التي تنسُبُ بها؟ قلت: لا أعرفها، وإنما هو اسمٌ أُلقي في روعي؛ فنادى: يا سمية اخرجي، وإذا جارية قد خرجتْ، فوقفتْ وقالتْ: ما تريدُ يا أبتِ؟ قال: أنشدي عمك قصيدتي التي مدحتُ بها قَيس بن معد يكرب، ونسبْتُ بك في أولها، فاندفعتْ تُنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفًا، فلما أتمَّتها قال: انصرفي، ثم قال: هل قلتَ شيئًا غير ذلك؟ قلتُ: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر، ما يكون بين بني العمِّ، فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: ماذا قلتَ فيه؟ قال: قلتُ:

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ
وَهَل تُطيقُ وَداعًا أَيُّها الرَجُلُ!

فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك! من

الغول والسعلاة *

ورد في شأن الغول حديثان صحيحان، أحدهما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا غول». والثاني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان» أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى، وحاصل ما ذكر أهل الحديث في الجمع بين هذين الحديثين المتعارضين أنه ليس المراد بالحديث الأول نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالهم، فقد قال أهل اللغة: إن الغول من السعالى وهي إناث الشياطين سميت بذلك لأنها (بزعمهم) تغتالهم أو لأنها تتلون كل وقت من قولهم تغولت على البلاد إذا اختلفت. قالوا: ومعنى لا غول أي لا تستطيع أن تضل أحدًا، ويشهد له حديث «لا غول» ولكن السعالى وهم سحرة الجن أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل، فحيث أثبتت في الحديث فالمراد إثبات وجودها، وحيث نفيت فالمراد نفي ما كانوا يزعمون فيها، ومثل ذلك



كثير في الكلام الفصيح.

وفي كتاب حياة الحيوان للدميري: الغُول بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم.

قال الجوهري هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول والتغول التلون وقال كعب:

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

ويقال: تغولت المرأة إذا تلونت، ويقال غالته غول



هريرة هذه التي نسبتَ بها؟ قلتُ: لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها؛ فنادى: يا هريرة؛ فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجتْ، فقال: أنشدي عمك قصيدتي التي هجوتُ بها يزيد بن مسهر. فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفًا. فَسُقِط في يدي وتحيّرتُ وتغشتني رعدة.

فلما رأى ما نزل بي قال: لِيُفْرِخْ رَوْعُكَ يا أبا بصير؛ أنا هاجسك مِسْحَل بن أثاثة، الذي ألقى على لسانك الشعر.

ويمكن القارئ أن يستشف قصد انتقاص عبيد بن الأبرص من خلال قول شيطانه (هبيد): «لولا هبيد ما قال عبيد» فقد أورد راوٍ أنه لقيه في فلاة، وبعد أن دار بينهما حديث قال له: «أتروي شيئًا من

إذا وقع في مهلكة. والغضب غول الحلم. قال: وسأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى: ﴿طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فأجابه بأن الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم، أما سمعت امرأ القيس كيف قال:

أيقتلني والمَشْرَفيّ مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكن لما كان يهولهم أو عدوا به. قال أبو عبيدة: ومن يومئذ عملت كتابي الذي سميته «المجاز». ثم قال: قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتغول تغولاً أي تتلون تلونًا فتضلهم عن الطريق وتهلكهم فأبطل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك. قال: وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا: ومعنى «لا غول» لا تستطيع أن تضل أحدًا، ويشهد له حديث آخر «لا غول ولكن السعالى» وذكر بعد كلام طويل: والذي ذهب إليه المحققون أن الغول شيء يخوّف به ولا وجود له، كما قال الشاعر:

الغول والخل والعنقاء ثالثة
أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول «خَيْتَعُور» وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وكالذي ينزل من الكوى من شدة الحر كنسج العنكبوت قال الشاعر:

كل أنثى وإن بدا لك منها
آية الحب حبها خَيْتَعُور

وقال: قال قوم، الغول ساحرة الجن وهي تتصور في صور شتى.

وفي «دلائل النبوة» للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: «إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره».

وتزعم العرب أنه إذا انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة الإنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق فتدنو منه وتتمثل له في صور مختلفة فتهلكه روعًا. وقالوا: إذا أرادت أن تضل إنسانًا أوقدت له نارًا فيقصدها فتفعل به ذلك. قالوا: وخلقها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار. قال القزويني: ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضي الله عنه حين سافر إلى الشام قبل الإسلام فضربها بالسيف. ■

*من كتاب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للسيد محمود الألوسي

أشعار العرب ؟ فقال: نعم، أروي وأقول قولاً فائقًا مبرّزًا، فقلتُ: فأرني من قولك ما أحببت؛ فأنشأ يقول:

طافَ الخَيالُ عَلَينا لَيلَةَ الوادي
لآلِ أسماءَ لَم يُلمِم لِميعادِ
أنّى اهتَدَيتَ لِرَكبٍ طالَ سَيرُهُمُ
في سَبسَبٍ بَينَ دَكداكٍ وَأَعقادِ

فلما فرغ من إنشاده قال الراوي: هذا الشعر لعبيد بن الأبرص الأسدي، فقال: ومن عبيد لولا هبيد! فقلتُ: ومن هبيدٍ؟ فأنشأ يقول:

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد
حبوتُ القوافي قَرْمَي أسدْ
عبيدًا حبوتُ بمأثورة
وأنطقتُ بشْرًا على غير كدْ
ولاقى بمُدرك رهطُ الكميت
ملاذًا عزيزًا ومجدًا وجدْ
منحناهم الشعر عن قدرة
فهل تشكر اليومَ هذا معد

فسأله عن (مُدرك) الذي ذكره في الأبيات فقال: هو مدرك بن واغم صاحب الكميت، وهو ابن عمي، ثم يقول (هبيد) وكان الصلادم وواغم من أشعر الجن.

ويزعم الراوي أن (هبيدًا) قدَّم له لبن ظبي في إناء، فما استطاع شربه لرائحته الشنيعة، ثم انصرف فناداه من خلفه قائلاً: أما إنك لو شربت اللبن لأصبحتَ أشعر القوم.

قال الراوي: فندمتُ على أني لم أشرب اللبن على ما كان من رائحته، وأنشأتُ أقول في طريقي:

أسفتُ على عُسِّ الهبيد وشربه
لقد حرمتنيه صروف المقادرِ
ولو أنني إذ ذاك كنتُ شربته
لأصبحتُ في قومي لهم خير شاعرِ

والعسُّ: الإناء

ليصبح عبيد بمقتضى هذه القصة مجرد مردد لما يلقنه شيطانه (هبيد) وهذا انتقاص لعبيد بن الأبرص، ليس هذا فحسب بل تشير القصة أيضًا إلى أن هبيدًا هذا منح أيضًا «لبشر» منطقَ الشعر دون كدٍّ ولا جهد، وكذا نسب شعر الكميت إلى شيطان آخر اسمه (مُدرك) الذي لقى به الكميت وقومه ملاذا عزيزًا ومجدًا، ثم يمتن بذلك على القبيلة، بأسرها، وهنا تفوح رائحة العصبية، فليس أشخاص الشعراء المقصود هنا بالانتقاص وحدهم بل والقبيلة التي ينتمون إليها بأسرها..

ونحو هذه القصة نقرأ قصة عن شيطان امرئ القيس حين التقاه أحد الرواة فقال له: أتروي من أشعار العرب شيئًا؟ قال نعم، وأقول، فقال له الراوي أنشدني، فأنشده قولَ امرئ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ
بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

فلما فرغ قال له الراوي: هذا لامرئ القيس، قال: لستُ أولَ من كُفر نعمةً أسداها! أنا والله منحته ما أعجبك منه! قال الراوي: فما اسمك؟ قال: لافظ بن لاحظ.

ثم يخوض الراوي معه في حديث طويل، ويسأله: من أشعر العرب؟ فأنشأ يقول:

ذهبَ ابن حجرٍ بالقريض وقوله
ولقد أجاد فما يُعادُ زيادُ
لله هاذر إذ يجود بقوله
إن ابن ماهر بعدها لجوادُ

يبدو أن العربَ قد تأثروا بتصورات اليونان والرومان وتفسيراتهم للقدرة الشعرية . فكما جعل اليونان والرومان للشعر آلهةً جعل العربُ لهم شياطين ، وكما جعل اليونان والرومان لآلهة شعرهم مسكنًا في جبل البرناس ، جعل العرب لشياطين الشعر مساكن في وادي عبقر ، ووادي زرود ووادي الأرواح

فقال الراوي: من هاذر؟ قال: صاحب زياد الذبياني(يعني النابغة) وهو أشعر الجن.

وكذا عن شيطان زهير ابن أبي سلمى ردد الرواة قصةً عن حمزة الزيات: أنه كان في سفر فضلَّت راحلته، فخرج في طلبها، فأمسكه اثنان يحس بهما ويسمع كلامهما ولا يراهما، فأخذاه إلى شيخ حسن الشيبة قاعد على تلعة، (مرتفع من الأرض) فحاوره، ثم سأله أتقول الشعر؟ قال: لا! قال: أفترويه؟ قال:نعم! قال: هاته، فأنشده حمزة الزيات قصيدة:

أمِن أمِّ أوفى دمنةٌ لم تَكَلَّم
بحوَمانة الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

فقال: لمن هذه؟ قلتُ: لزهير بن أبي سلمى! قال: الجني؟ قلتُ: بل الإنسي! مرارًا.

فرفع رأسه إلى قوم عنده، فأتي بشيخ، فقال له: يا زهير! قال: لبيك! قال: «أمن أم أوفى» لمن؟ قال: لي! قال: إن حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسي، قال: صدق هو، وصدقتَ أنت.

قال: وكيف هذا؟ قال: هو إلفي من الإنس، وأنا تابعه من الجنّ، أقول الشيء فألقيه في وهمه، ويقول الشيء فآخذه عنه؛ فأنا قائلها في الجن، وهو قائلها في الإنس!

وفي الأدب الشعبي قصص أشبه ما تكون بهذه القصص، إلا أنها أضعفُ سبكًا، وأقلَّ تداولاً وذيوعًا، ويبدو لي أن مسوغات ظهور هذه القصص هي نفسها في أدبنا العربي القديم، والشعبي اليوم، كما أن غايتها أيضًا واحدة، إذ تؤدي في النهاية إلى أسطرة الشعر، ليتجاوز حدود القدرة على الفعل الأدبي؛ إلى القدرة الفائقة باتجاه التعاطي مع الخفي وغير المرئي من الجن والسعالى والغول وما إلى ذلك..

وهي لا تعدو أن تكون من نسج الرواة في زمن ازدهرتْ فيه رواية القصص، وكانت فنًا أدبيًا رفيعًا ينصت له السامعون، وتسير به الركبان، ويجزل الكبراءُ للرواة العطايا، من أمثال أبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية والمفضل الضبي والأصمعي، وأبي عبيدة، وغيرهم، وكما نكتب اليوم القصة والرواية ونشخِّص أبطالها من العدم كانوا يتخيلون الأحداث ويربطونها بأشخاص معروفين، وبقدر شهرتهم وأهميتهم تكون قيمة تلك القصص، فكان الشعراء حقلاً خصبًا لإعمال خيال الرواة بما يلفت الأنظار إلى إبداعهم القصصي، ويجنح بهم خيالهم في كل اتجاه، فيقولون على ألسنتهم الشعر وبديع الكلام، على طريقة أصحاب المقامات، ووفق هذا المنظور فإننا ينبغي أن نتعاطى مع تلك القصص بما لا يتجاوز المتعة الأدبية إلى اعتقاد حدوثها على الحقيقة.■

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الإسكندرية

تربية الشياطين الصغار

ليس كل متمرد شيطاناً

ليلى أحمد الأحدب * - جدة

* طبيبة وكاتبة ومستشارة اجتماعية .

ترسخت في مفاهيمنا القيمية أن التمرد هو صفة إبليس - عليه لعنة الله - لذلك تعودنا أن نمتدح الطفل العاقل المطيع، فنقول: فلان يسمع الكلام وليس مثلك يا فلان.. فأنت شرير ومتمرد، وغالبًا ما تكون مقارناتنا خاطئة، فلو أن الله سبحانه أراد للبشر أن يتصفوا بنفس الإمكانيات في طاعته لخلقهم كلهم على صورة ملائكية واحدة شكلاً ومضمونًا، ولكنه سبحانه خلق الكون جميلاً، ومن أسباب جماله هذا التنوع الكبير في المخلوقات، ومنهم البشر.

كثيرًا ما نلاحظ نتائج خطأ المقارنات بين الأطفال في كره بعضهم بعضًا، كما أن نتائج الطاعة العمياء التي نفرضها على أولادنا تظهر مستقبلاً في ضعف شخصياتهم أو تذبذبهم في الرأي أو ترددهم وانعدام روح المبادرة الإيجابية في نفوسهم، وقد ينعكس ذلك في علاقاتهم مع الآخرين، فنجد أن ضعيف الشخصية تسهل السيطرة عليه من قبل الآخرين سواء كانوا رفقاء سوء أو شريك حياة أو زميل حرفة أو مدير عمل؛ لذلك فمن الواجب الانتباه لهذا الخطأ التربوي الذي نقوم به على جهل منا بأساليب التربية الحديثة التي تتفق مع الأسلوب القرآني والنبوي في تربية المسلم نفسه وتربيته لأولاده على بصيرة، فالقرآن نعى على المقلدين لآبائهم في كثير من الآيات مثل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/ ١٧٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان/ ٢١)، وعلى لسان النبي عليه الصلاة والسلام قال القرآن: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف/١٠٨).

وإذا كان الولد يتعلم بالتقليد فإنه لا بد أن يصل لمرحلة يسأل فيها عن سبب الأوامر ومعناها وغايتها، فلا بد من معرفة الطريقة المناسبة للإجابة حسب العمر والوعي، ومن الأمثلة التي تدل على أهمية هذا البعد التربوي ما ذكره أحد كتاب «المعرفة» في العدد١٢٩ تحت عنوان «طاعة عمياء» فقد قارن بين سهولة تربيته وإخوته الذين تعودوا السمع والطاعة لوالدهم وبين ما يقوم به ابنه من اعتراض على تنفيذ أي أمر لا يقتنع به. ولذا فإن التربية هي من أعقد المهمات الحياتية الحالية ولا ريب أن أسلوبها يتغير بتغير الزمان والمكان. فنحن الآن في عصر الفضاءات المفتوحة والثقافات المعولمة والديموقراطية الكاسحة. وإذا كان عهد آبائنا - رحم الله الطيبين منهم والميتين - يدور في فلك الاستبداد من قمة الهرم إلى أسفله، فإن عهدنا نحن يدور في رحابة الحرية. وكي لا تكون حرية منفلتة بدون ضوابط فلا بد من مد جسور الحوار مع أولادنا دون أن نعتبر مناقشتهم لنا من المحرمات، وعلى كل حال فإذا اعتبرنا أن أولادنا شياطين - وهم بالتأكيد ليسوا كذلك - فلا مانع أن نتذكر أن الله سبحانه حاور إبليس الرجيم. وإذا تذكرنا مقالة أخرى في نفس عدد المعرفة المشار إليه بعنوان «حاوروهم حتى لا يحتاروا» كنصيحة مقدمة من أحد الأساتذة لزملائه كي يستخدموا أسلوب الحوار مع تلاميذهم، فما المانع أن نستخدم نفس النصيحة نحن الآباء والأمهات مع أولادنا فنقول: «حاوروهم وأحبوهم حتى يتمردوا بإبداع.. فما كل متمرد بشيطان»؟

من المفاهيم الأخرى التي نعتنقها اعتباطًا مفهوم أن كثيري الحركة هم أشقياء صغار أو شياطين قد انشقت الأرض عنهم، مع أن كثيرًا ممن يتصفون

بالشقاوة في صغرهم سيتغيرون في الكبر. وسيظهرون ميزات حيوية لا توجد عند من يختلفون عنهم، وهناك بعض الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ الدالة على ذلك مثل: (عُرامة الصبي في صغره دليل نجابة في كبره) والعرامة هي كثرة الحركة والبحث، ويتفق مع مدلول هذا الحديث علم النفس التربوي الذي يطالب الآباء بأن يكونوا أقل تسلطًا على أولادهم، فإذا كسر الولد لعبته فليس هذا دليل عنف بل قد يدل على حب الاكتشاف والرغبة بالمعرفة، ومن الطبيعي أن يكون لكل شيء حد، فإذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده، ولذا فإن هذا الكلام لا يعني أن يترك الحبل على الغارب للطفل ليفعل ما يشاء، بل لا بد من وضع حدود لحركته إذا تركناه بمفرده كي لا يؤذي نفسه، وأما إذا كان تحت وقع أنظارنا فلا مانع أن ندع له مساحات أكبر من الحرية ليتحرك خلالها وليكتشف العالم حوله، والغرب المتمدن يطلق على الطفل الذي يخطو خطواته الأولى ويمد يده إلى كل ما تقع عليه عيناه بـ«المستكشف الصغير». أما في الأعمار الأكبر فكثير من الأطفال يتعلمون كيف يربون أهاليهم قبل أن يربيهم أهاليهم، ومن الخطأ الفادح أن نعتبر أنفسنا أكثر ذكاء من أطفالنا، فهم قد يكونون أذكياء بالقدر الذي يجعلهم يسيطرون علينا إن لم نضع قواعد لهم منذ البداية، لكن يجب الحذر الشديد أن نجعل الأطفال - وهم أحباب الله- شياطين حقيقيين بسبب شدتنا معهم مما يلجئهم إلى التمرد علينا فنعاقبهم بزهق أرواحهم! وإشارة التعجب هذه معها مائة إشارة غضب – لكن للأسف لا يوجد ما يدل على انفعال الغضب في علامات الترقيم- وذلك بسبب الخبر الذي قرأته حديثًا عن أم عربية مسلمة عاقبت ابنها البالغ من العمر اثني عشر عامًا بالشنق لأنه لا ينصاع لأوامرها، وقام الأب بدفنه بمعاونة اثنين من معارفه، فأي هؤلاء هو الشيطان: هل هو الطفل الضحية أم تلك الأم المجرمة أم ذلك الأب الذي تستر على فعلتها الرهيبة؟

لا تغلقوا أبواب الرحمة في وجوه الأبناء المتمردين وتتركوهم لشياطين الإنس والجن، بل اقبلوا منهم أخطاءهم وسامحوهم على خروجهم عن النص أحيانًا فقد يحمل هذا الخروج لهم أفق إبداع متفرد

كآباء وأمهات يجب أن نتذكر أن أولادنا لم يأتوا إلى الحياة محملين بفطرة الشر فقط، بل إن بداخلهم فطرة الخير أيضًا، وهذا قول الله سبحانه: ﴿وهديناه النجدين﴾ أي فطرناه على الخير والشر، والتربية ليست إلا إعلاء الفطرة الخيرة وتهذيب الفطرة الشريرة، فما ذنب أولادنا إن نحن قصرنا في هذه المسؤولية الجليلة؟

تفيض جعبة الذاكرة بقصص عن خطأ الآباء والأمهات مع الأبناء والبنات وما ذاك إلا بسبب رفض الأهل للشيطنة الطفولية البريئة واعتقادهم أن الابن أو البنت ما خلقه الله إلا ليكون عبدًا لوالديه، وإذا كان بر الوالدين من أجمل السمات التي تربط الولد بأبويه فإنه يجب ألا يفهم على كون الطفل رهن إشارة والديه دائمًا، ولا يعني أن يكون الشاب مرتهنًا لإرادة والديه، ودعونا نستعرض قصتين واقعيتين إحداهما عن الطفولة والأخرى عن الشباب:

القصة الأولى: طفلتان بنفس العمر في عائلة واحدة لكن إحداهما خالة للأخرى، الطفلة الأولى (الخالة) خلقها الله بوعي أكبر من ابنة أختها، هادئة الطباع مرتبة حادة الملاحظة وقادة الحافظة، بينما الطفلة الثانية (ابنة الأخت) كثيرة الصخب عديمة الذوق في ملابسها، لكن دمها خفيف وروحها مرحة؛ وكلا الفتاتين قد ورثت قسمات أبيها وطباعه، أي أنها لا يد لها ولا فضل فيما حباها الله من نعم أو فيما حرمها الله من صفات، والطفلتان تحبان بعضهما بعضًا وتتقبلان اختلافهما بشكل طبيعي، لأنهما على الرغم من اختلافهما فهما متكاملتان، فالخالة تحب الدم الخفيف في ابنة الأخت، وابنة الأخت يعجبها رجحان العقل عند الخالة، لكن الكره يدب في قلب الطفلة ابنة الأخت نتيجة المقارنات بينها وبين خالتها، وتأتي هذه المقارنات من أبيها الذي تشبهه، والذي لضحالة ثقافته لا ينتبه لهذا الأمر، بل دائمًا

يصم أذني ابنته بهذه الكلمات: أنت شيطان وخالتك ملائكة.. لو كنت متفوقة مثلها.. لو رتبت ملابسك مثلها.. إلخ.. الطفلة الخالة كانت بسبب وعيها تلاحظ أن ابنة أختها تشبه أباها فلماذا يلومها؟ لذلك استطاعت أن تتقرب إلى الفتاة «الشيطانة» بحيث تكسب قلبها فلا يشوى بنار عداوة أو حقد نتيجة هذه المقارنات الجائرة.. لكنها في يوم من الأيام حاولت أن تكون شيطانًا فعملت مقلبًا خفيف الدم مع زوج أختها مما أضحك عليه جميع أفراد العائلة دون أن يعلم أن «الملائكة» هي التي أوقعته في الورطة. واستغلت الفرصة ابنته لتقول له أنها ليست الشيطان الوحيد وإنما خالتها قد تحولت إلى شيطان أيضًا.. لم يصدقها.. وحين سأل الآخرين الأكبر سنًا أخبروه بالإيجاب وأن الفتاة «الملائكة» ليست إلا واحدة ملمسها ناعم ولسعها مؤلم، ولسذاجته بدا عليه عدم التصديق، ولكنه لم يعد إلى مقارنته التعيسة بعد ذلك وهو الأمر الذي أراح الفتاتين من



ليس كل متمرد شيطان

تدخل الكبار في حياتهما: وهذه القصة ذات مغزى هو أن الطفل الذكي قد يكون قادرًا على تربية الكبار إذا أخطؤوا معه أو مع غيره.

وأما القصة التالية فهي قصة شاب تجاوز منتصف العشرينيات وأحب فتاة وأراد أن يتزوجها. وكان يظن أن أكثر من سيفرح له باختياره والدته التي طالما كان لها الابن البار المطيع، ولكن خابت آماله إذ وقفت والدته لذلك الحب بالمرصاد، ووصلت إلى حد طرده من المنزل لأنه لم يخضع لابتزازها العاطفي. فجملتها المكررة دائما: (إما أن تحول قلبك عن حب هذه الفتاة وإلا فأنت مطرود من بيتي)، وحاول الشاب بكافة الطرق الدبلوماسية أن يهدئ الحرب المشتعلة في قلب الأم دون فائدة، وكانت نهايته كإبليس الذي عصا ربه فطرد من الجنة، ولكن إبليس لم يحب بل على العكس كان طرده من الجنة بسبب كرهه لآدم وغيرته منه؛ أما هذا الشاب فقد كان سبب طرده غيرة الأم من الفتاة التي أحبها، مع أن الشاب كان حكيمًا جدًا ولم تكن له يد في رد فعل والدته.

تمرد هذا الشاب كان في قلبه لأنه أحب فتاة دون أن يستأذن والدته، ولكن الحب عادة لا يستأذن القلب الذي يدخله حتى يستأذن من العائلة، ولو كنت مكان تلك الأم لطلبت من ابني أن أتعرف إلى تلك الفتاة وأناقش ابني حول صلاحية ارتباطه بها، وقد أستعين بالعقل لأخفف من غلواء حبه لها، وبذلك لا أتركه وحيدًا في مواجهة قلبه المتمرد، ففي الوقت الذي يحتاج الزواج إلى العقل والواقعية فإنه يحتاج شيئًا من العاطفة والرومانسية، وبدون تمرد العاطفة على العقل في بعض الأحيان تكون الحياة جافة وذات وتيرة وحيدة.

ذكرت تمرد الشيطان وكيف أدى به تمرده إلى الطرد من رحمة الله لأنه رفض الاعتراف بالذنب، وإذا قارناه بتمرد آدم الذي عصى ربه أيضًا فإنه سرعان ما تلقى من ربه كلمات ليتوب عليه، وكما يقول ابن القيم – رحمه الله – فإن اصطفاء آدم لم يكن إلا بعد المعصية والتوبة؛ وكلنا أولاد آدم فلا تغلقوا أبواب الرحمة في وجوه الأبناء المتمردين وتتركوهم لشياطين الإنس والجن، بل اقبلوا منهم أخطاءهم وسامحوهم على خروجهم عن النص أحيانًا فقد يحمل هذا الخروج لهم أفق إبداع متفرد. ■

حقيبة «النوايا الحسنة» في دولة «الشيطان» تحتكرها النساء!!

مصطفى الأنصاري - الرياض

* كاتب صحفي .

أي حديث عن الشيطان بمفهومه اللغوي أو الإسلامي مناسب أن نبدأه بالتعوذ منه، بوصفها التي تمنحنا الحصانة ضد أن نكتب له بدلاً من العكس.

وفي تراثنا العربي، والإسلامي الذي أعقبه وطغى عليه كانت مفردة «الشيطان» مستهلكة وحاضرة في الحياة والعبادة والمقروء والمرئي والمسموع. بل حتى في بعض الأساطير الشعبية.

وفي هذه الأخيرة يروى أن «الشيطان الرجيم» نفسه بدا منزعجًا من هذا الحضور. وتقول الحكاية إنه ذات يوم رأى عجوزًا تصعد جبلاً شاهقًا لا تملك قوة تمكنها من بلوغ قمته فقال لمن حوله كما تزعم الأسطورة: « تلك العجوز الفانية ستسقط الآن وتهوي بها حجارة من الجبل فتحملني مسؤولية ذلك وتلعنني».

غير أن الشيطان مهما كان استياؤه من سخط الرأي العام ضده لا يمنع أو أنه لا يستطيع منع الإنسان من لعنه أو التعوذ بالله منه إن سرًا أو جهرًا بخلاف شياطين كثيرة في هذا الكون الفسيح، زادت عن الشيطان «الأب» عتوًا حتى إن بعضها دان له بـ«العبادة والخضوع» وبعض آخر رأى عبادته «حرية شخصية» مثلما اعتبر زواج الرجل بالرجل كذلك، تمهيدًا لإعلان «حزب الشيطان» برنامجه الانتخابي في دولة ربما، ومن ثم يعين سفراءه للنوايا الحسنة في أنحاء المعمورة.

وقبل أن يقوم حزب تحت هذا المسمى أو دولة، فإن عالمًا مسلمًا شهيرًا عاش في القرن الثامن الهجري ألف كتابًا خاصًا عن مكائد الشيطان، إسهامًا منه في تبصير الناس بسياسات «الشيطان» لمواجهتها بالهجوم أو الدفاع.

وأشار في معرض حديثه عن البروتوكولات السياسية للشيطان الفرد والدولة إلى أنه غالبًا ما يتخذ الأنثى سفيرة للنوايا الحسنة، بالتعبير المعاصر، و«مصيدة» بتعبير العالم المسلم في ذلك الحين.

وأسند حديثًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم نقل فيه محاورة الشيطان مع إلهه، وكيف أنه طالبه بتعويضات لقاء «اللعنة» التي قدرها عليه ربنا عز وجل انتصارًا للكرامة الإنسانية.

وجاء فيه أن «إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيمًا فاجعل لي بيتًا، قال: الحمام، قال: فاجعل لي مجلسًا، قال: الأسواق ومجامع الطرقات، قال: فاجعل لي طعامًا، قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فاجعل لي شرابًا، قال: كل مسكر، قال: فاجعل لي مؤذنًا، قال: المزمار، قال: فاجعل لي قرآنًا، قال: الشعر، قال: فاجعل لي كتابًا، قال: الوشم، قال: فاجعل لي حديثًا، قال: الكذب، قال: فاجعل لي رسلاً، قال: الكهنة، قال: فاجعل لي مصائد، قال النساء»[1].

ولما أورد ابن القيم الجوزية هذا الحديث في كتابه «إغاثة اللهفان»، جزم بأن «شواهد هذا الأثر كثيرة، فكل جملة منه لها شواهد من السنة، أو من القرآن». واعتبر النساء «أعظم شبكة للشيطان يصطاد بهن الرجال».

وفي وقت تطالب فيه النساء بإصلاحات سياسية كبيرة تليق بإمكاناتهن التي تؤهلهن لأن يكن مثل الرجل في الحكم والوزارة والتجنيد، لا أرى منطقيًا أن تضجر النساء من نعت الأثر لهن بذلك مع ما يمارسه صنف منهن – وهو المعني – من مهنة الاصطياد فعليًا كما نرى.

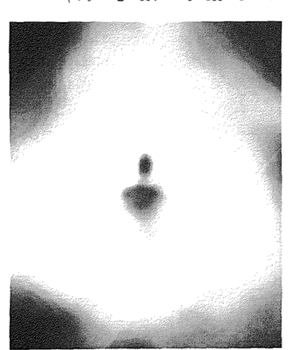
فبينما تصطاد أسماء لامعة ضحاياهن من الشباب العربي فضائيًا والكترونيًا بمفاتن أجسادهن، تقوم أخريات بالمهمة نفسها على الصعيد السياسي، إذ بات تقليديًا إسناد حقيبة الخارجية للأنثى في عدد من الدول المتقدمة.

ومع أن إمام الظاهرية الشهير ابن حزم لا يرى فرقًا بين الرجل والمرأة في الجنوح إلى الغواية والانتساب إلى حزب الشيطان عند قوله: «إني لأسمع كثيرًا ممن يقول:

الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء فأطيل العجب من ذلك، وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشيئين سواء، وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثم من مانع إلا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي واستفزه الحرص وتغوله الطمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتمًا مقضيًا وحكمًا نافذًا لا محيد عنه البتة!!»[٢] إلا أن الوقائع العصرية تثبت أن شبكات وتنظيمات ودولاً باتت تعلق آمالاً كبيرة على النساء في تنفيذ مخططاتها، ومنافسة الشيطان في اتخاذهن مصيدة وسفيرات للنوايا الحسنة للإيقاع بالأعداء.

ولذلك أضحى معتادًا أن تزرع دولاً محددة خلايا نسائية في مواطن حساسة لاصطياد المستهدفين في فخها مثلما فعلت حسناء الاستخبارات الإسرائيلية بالعالم النووي الإسرائيلي موردخاي فعنونو عندما أوقعته في حبالها التي قادته في النهاية إلى قارب إسرائيلي انتهى به إلى سجن في تل أبيب قضى فيه ١٨ عامًا، وحكمًا بالإقامة الجبرية بعد ذلك في إسرائيل.

ولا أزال أذكر تعميم الهيئة العامة للاستخبارات في بريطانيا ربما العام الماضي على عملائها المهمين في العالم، طالبة منهم إبلاغها سريعًا عندما يكتشفون أن معلومات انتزعت منهم أثناء ملاطفة الجنس الآخر، من حيث لا يشعرون، أو كما عبروا عن مخاوفهم.



وإذا كان حديثنا منصبًا عن استخدام الأنثى في تحقيق المكاسب واصطياد الضحايا، فإن ذلك لا يعني أن الأنثى لا تعمل لحسابها الخاص أيضًا، ففي إحصاء نقلته جريدة الرياض عن مجلة علمية متخصصة تبين أن «النساء الجميلات يكسبن دخلاً أعلى بنسبة ١١٪ من العاديات و٢٣٪ من القبيحات! كما اتضح أن الفتيات الجميلات (ذوات القد الخيزراني) يوجدن بنسبة أكبر في المكاتب الحساسة ويترقين بسرعة - وكثير منهن يتمنين الزواج من صاحب العمل كما حدث لسكرتيرة بيل غيتس أغنى رجل في العالم!!».

بل تجاوز الأمر إلى منظمات دولية حسب خيال وزير العمل السعودي غازي القصيبي الذي صور في روايته «دنسكو» كيف تلعب «سونيا» مديرة مكتب المدير التنفيذي لمنظمة دولية أدوارًا متباينة، حتى انتخبت مديرة للمنظمة، بمؤهلات أبرزها «توزيع القبل»!

وفي السعودية التي تصدر منها هذه المجلة لا تزال المنتديات والمجالس العامة تضج بأحاديث وحكايات عن خادمات أشهرن في وجوه أرباب العمل أسلحة الأنثى الأصيلة، وصرن بفضلها ربات البيوت بعد أن كن مربيات أو مجرد خادمات.

ومع أن الأمم المتحدة لأهداف نبيلة تتخذ سفراء للنوايا الحسنة من الذكور والإناث، فإنه من المرجح أن الشيطان أيضًا يفعل الأمر نفسه، غير أنه مهما أوتي الرجل من مهارة يكون بلاؤه في مهمة كهذه أدنى من الأنثى، ولا يعني ذلك - في نظري على الأقل - أن الرجل أشرف، إذ لو كان كذلك ما تمكنت من إغوائه.

وعلى الرغم من أن كل الذين «يتبعون خطوات الشيطان» هم سفراء إبليس لنواياه السيئة في واقع الأمر، إلا أننا في عصر العولمة لم نجد سيفًا فتك به الشيطان أمضى من الأنثى، لكن أملنا في الله وحده الذي مهما كثرت السفيرات والسفراء من هذا النوع، فإن له دبلوماسيين أشد بأسًا وأشد تنكيلاً، وهو نعم المولى ونعم النصير.

هوامش

١- رواه الطبراني في «الكبير» ٨/٢٠٧ رقم (٧٨٣٧).
٢- طوق الحمامة.



حبر سائل يتدفق لآخر قطرة

خال من الزايلين والتليونين



الضغاط

Pentel®

يوم أن (رسمنا) الشيطان!

محمد فالح الجهني - المدينة المنورة

* قسم التربية - كلية المعلمين .

رغم مرور ٢٠ عامًا على حصتين مدرسيتين. مازلت أذكر جيدًا تلك اللحظة التي فاجأنا فيها الأستاذ «عويص»، معلم التربية الفنية، بموضوع جديد وغريب. طلب الأستاذ «عويص» منا جميعًا، أن نرسم صورًا معبرَة لما نتصوَره أو نتخيَله عن الشيطان.

كان الأستاذ «عويص». رغم اسمه ورغم أنه وافد من أعماق صعيد مصر، رقيق المشاعر مرهف الحس، صاحب لمسة جمالية بارعة وريشة عبقرية. ملأت لوحاته الأسرة ردهات وصالات المدرسة في تلك السنة التي قدم فيها إلى مدرستنا. احتل الأستاذ «عويص» مكانة كبيرة لدى مدير المدرسة في ذلك العام، فلم ينقض الفصل الدراسي الأول، حتى تحولت المدرسة إلى «أتيلييه» مفتوح. شاع خبره بين معلمي التربية الفنية ومشرفيها على مستوى المدينة. لم تكن اللوحات من إبداع الأستاذ «عويص» وحده، وإنما كانت بإشراف منه على الطلاب الموهوبين الذين رعاهم وغرس فيهم القدرة على الإبداع الفني وتذوّق الجمال.

الشيطان الأكبر

كان «سعد» شديد التأثر بأبيه المهووس بالحديث في السياسة الدولية، وكانت الثورة الإيرانية في تلك السنوات في أوجها، وكان الزعيم الإيراني «آية الله خوميني» في حينها يصف الولايات المتحدة الأمريكية بأنها الشيطان الأكبر. ولذلك فقد سارع سعد برسم صورة للشيطان رجل بلا وجه يرتدي قبعة راعي بقر غربي. وعندما سأله الأستاذ «عويص» عن سر هذه الصورة وهذا الإيحاء، لم يصرّح «سعد» بمقولة الخوميني، وإن كان قد لمّح بها، ولكنه قال إن ما أوحى له بتلك الصورة هو مقولة يكررها «إشفاق» العامل الباكستاني في متجر بالحي. كان «إشفاق» يعيد ويزيد، باللغة العربية المكسرة، في كلام طويل عريض فحواه أن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية هي سبب كل مشكلات العالم، وأنها تبتز الشعوب، وأنها لا تريد مجرّد إسقاط الكتلة الشرقية، وإنما تطمح إلى السيطرة على العالم ونهب خيرات الأرض والشعوب، وأنها تريد نشر الفساد والرذيلة من خلال السينما والفنون والإعلام، وأنها تسعى لغرس ثقافة الاستهلاك المادي والفكري والمعنوي لكل ما تنتجه من أفكار وسلوكيات وسلع ومنتجات. ورغم ذلك فقد كان «إشفاق» يركب سيارة أمريكية قديمة من موديلات الستينيات، ويستخدم أجهزة كهربائية يحرص على أن تكون أمريكية أو أوروبية الصنع حتى لو كانت مستخدمة من قبل. وكان «إشفاق» يختم طروحاته عن شيطان الغرب بجملة موجزة ومركز هي: «أمريكا مخ شيطان!!».

الشيطان الأحمر

تناقلت المدرسة في ذلك العام شائعة مفادها أن مدير المدرسة أصيب بمرض السكري. فظننت أن لزميلي «يوسف حمد» دورًا - ولو كان بسيطًا - في ذلك؛ فقد كان «يوسف» حدثًا كثير الحركة مثيرًا للشغب والمشكلات السلوكية في المدرسة بشكل شبه يومي. لم يكن يمضي أسبوع واحد دون أن يدلف «يوسف» مع أحد المعلمين أو وكيل المدرسة أو المرشد الطلابي إلى غرفة المدير مُدانًا بمخالفة للنظام المدرسي أو تعد على أحد زملائه أو استفزاز لأحد المعلمين أو إخلال بسير الدروس... كنا نسمع ونحن في الفصل صوت المدير وهو يتعالى «أي يوم أغبر أتى بك إلى هذه المدرسة؟!»، «أنت مصيبة حُذفت عليّ!!»، «أنت معجون بماء الشياطين».

في الحصة التي طلب منا الأستاذ « عويص» فيها أن نرسم الشيطان، لم يكن «يوسف» حاضرًا، فقد كان موقوفًا أمام غرفة المدير، بانتظار حضور ولي أمره، الذي طلبته المدرسة هاتفيًا، لإطلاعه على الجريمة التي ارتكبها يوسف أثناء الفسحة. كانت جريمة «يوسف» قد أصبحت خبرًا مشاعًا في نهاية ذلك اليوم الدراسي. فقد كان مدير المدرسة يعقد اجتماعًا بهيئة التدريس أثناء الفسحة، وكانت غرفة المعلمين خالية من كل شيء تقريبًا، إلا من إبريق الشاي الذي تعوّد فراش المدرسة أن يعدّه للمعلمين في بداية الفسحة وصندوق من الطباشير

الطبي الملون وبعض كراسات التحضير الخاصة ببعض المعلمين. كان الطلاب في الفسحة في فناء المدرسة، ما عدا «يوسف» الذي تسلل إلى غرفة المعلمين وارتكب جريمته. عاد المعلمون إلى غرفتهم ولم يتبق من الفسحة إلا دقائق، فارتشفوا فناجين الشاي على عجل، ولم يبقوا في البراد قطرة واحدة. وعندما همّوا بالانطلاق إلى حصصهم طلبوا صندوقاً جديداً من الطباشير؛ فقد نفد صندوق الطباشير الموجود في الغرفة. ومع بداية الحصة الرابعة، وعندما أراد الفراش غسل براد الشاي، اكتشف أن البراد كان مليئاً بشيء آخر غير أوراق الشاي السوداء المطبوخة، سرعان ما تبيّنه الفراش. فقد كان قاع البراد مليئاً بأصابع الطباشير الطبي الملون التي لم تتحلّل تماماً.

ولما أشارت أصابع الاتهام إلى «يوسف»، أيقن الجميع أنه سينكر إنكاراً شديداً كعادته. لكن «يوسف» وقد هُدّد بالاتصال بالشرطة ورفع بصماته والتحقيق هناك وإحالة القضية إلى الأمن، رضخ للضغط مقدراً أهون الضررين، واعترف بما ارتكبه. سمعنا يومها صوت المدير يلعلع في ردهات المدرسة أثناء جولته اليومية في آخر اليوم الدراسي: «منذ أن عرفت الدنيا، وأنا أسمع بالشيطان الأحمر، وها قد امتد بي العمر حتى ابتليت به ورأيته رأي العين!!»: كان «يوسف» وإخوته وأبوه أصحاب بشرة حمراء لافتة للنظر، جعلت والد «يوسف» يلقب في الحي وفي البلدة كلها بـ«حمد النصراني». !!

الشيطان الأسمنتي:

بدأت ملامح لوحة «معاذ» تتضح. إذ بدا أن صورة الشيطان التي شرع «معاذ» في رسمها بسيطة ومعبرة ورمزية، حيث كانت اللوحة تمثل شاخص جمرة العقبة في المشاعر المقدسة بمكة المكرمة. نادى الأستاذ «عويص» «معاذاً»، الذي كان طالباً متديناً، وطلب منه إبراز لوحته أمام الطلاب. علّق الأستاذ «عويص» على لوحة «معاذ» وذكّر بأن مناسك الحج ترتبط بأحداث سيرة نبي الله «إبراهيم» عليه السلام، أبي الأنبياء، وابنه «إسماعيل» في مكة المكرمة والمشاعر، في فترة سبقت نبوة «محمد» صلى الله عليه وسلم.

سأل الأستاذ «عويص» «معاذاً» إن كان قد حج بيت الله الحرام، فرد «معاذ» بالإيجاب، ثم سأله عن شعوره وهو يرمي الشيطان، فقال «معاذ» إنه لم يرم الشيطان وإنما أدى منسكاً من مناسك الحج. واسترسل «معاذ» في وصف رحلته لحج بيت الله الحرام، وأبدى استغرابه من بعض الحجاج الذين يجسّدون الشيطان في هذه الشواخص التي بنيت من الحجر والأسمنت. ووصف «معاذ» أحداثاً بأنها طريفة، وإن كان يستهجنها، شهدها عند رمي الجمرات: كالحاج الذي يبصق على الجمرات، والحاج الذي يرميها بالأحذية والقاذورات، والحاج الذي يسبها ويلعنها، والحاج الذي يسألها لماذا أفسدت أولاده؟ وذاك الذي يسألها لماذا فرّقت بينه وبين زوجته؟ وذاك الذي يسألها «لماذا خربت بيته؟».

أخيراً سأل الأستاذ «عويص» «معاذاً» مستفسراً كيف واتته فكرة هذه اللوحة؟ فكانت إجابة «معاذ» متوقّعة ممن يعرفه جيداً، فقد كانت وجهة نظر «معاذ» أن رسم الشيطان وسائر ذوات الأرواح حرام ورجس من عمل الشياطين.

الشيطان الناعم

كان «عودة» قد رسب وأعاد في سنوات الدراسة الابتدائية الثالثة والرابعة والسادسة، وكذلك أعاد في سنوات الدراسة المتوسطة، وعليه فقد كان من الطبيعي أن يكون «عودة» أكبرنا سناً بشكل ملحوظ، سواء في بنيته الجسمية أو في صوته أو في خشونته. كان «عودة» قد تعرض للتوبيخ من كثير من المعلمين بسبب الرسومات التي وشم بها أماكن متباينة من جسده، كما أن طاولته مليئة بالرسوم والنقوشات الجميلة التي يتقنها عودة، والتي تمثل في الغالب صور قلوب من مختلف الأشكال تخترقها أسهم كيوبيد من مختلف الأحجام والطرز، وصوراً لعيون نسائية كحيلة وعيون باكية وصوراً لفتيات رشيقات ونساء غامضات، علاوة على أبيات الشعر الغزلي المخطوطة

ورغم ذلك فقد كان «إشفاق» يركب سيارة أمريكية قديمة من موديلات الستينيات، ويستخدم أجهزة كهربائية يحرص على أن تكون أمريكية أو أوروبية الصنع حتى لو كانت مستخدمة من قبل. وكان «إشفاق» يختم طروحاته عن شيطان الغرب بجملة موجزة ومركز هي: «أمريكا مخ شيطان»

التي تزخر بها أغلفة كتبه وكراساته. كان الجميع موقنًا بأنه لو كانت في المدينة مدرسة متخصصة بالفنون لكان «عودة» الطالب الأول والمتفوق فيها بلا منازع.

جلس الأستاذ «عويص» على مكتبه في الفصل، متأمّلاً اللوحات في طور التكوين للطلاب القريبين من مكانه، ولكنه نادى فجأة «عودة» الذي يقبع في مكانه الأثير في الركن الخلفي الأيسر من الفصل، طالبًا منه أن يريه ما رسمه. أغلق «عودة» كراسته التي لم يجرؤ أحد من الطلاب أن يرمقها بنظرة: فعودة كان شريرًا وشرسًا في آن. وكان في هذه الحصة تحديدًا متكتّمًا على ما شرع في رسمه. اخترق «عودة» الفصل من آخره إلى صدره، استجابة لنداء الأستاذ «عويص» حتى جلس إليه.

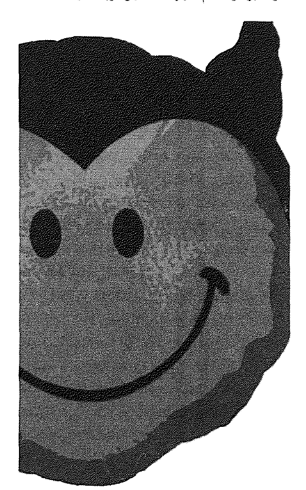
كان مجلسي في الفصل متوسطًا، وكان كفيلاً بأن يجعلني أدرك أن هناك حديثًا هامسًا يدور بين «عودة» والأستاذ «عويص». كانا قد فردا اللوحة بينهما، وكان الأستاذ «عويص» يبادل نظراته بين لوحة «عودة» وبين وجهه، كانت عينا الأستاذ «عويص» تلمعان وهو يتبسم لعودة بود وتفاهم ظهر أنه عميق، وبدا أنهما قد اتفقا على شيء ما، حيث هزّا رأسيهما في نهاية المقابلة. ثم قام الأستاذ «عويص» بانتزاع لوحة عودة بعناية من الكراسة ودسها في كراس التحضير، ثم أشار إليه إشارة بيده، أدركت تمامًا بأنها تعني «ارسم فكرة غير هذه ومختلفة عنها تمامًا».

شيطان الماضي

كان أمين المكتبة في مدرستنا تلك، شيخًا كبيرًا وفيلسوفًا مهذارًا، ذا لحية بيضاء طويلة تغطي صدره، وغضون عميقة تشكل أبرز ملامح وجهه، حتى بدا أنه قادم من أغوار زمن ماض سحيق، يرتدي نظارات سميكة، وكان محدودب الظهر بشكل لافت، برّره الكثيرون بأن «الشيخ أحمد» قد أفنى عمره في القراءة العميقة في مختلف العلوم والفنون المتعلّقة بالماضي والتاريخ القديم جدًا، دون أن يكون له إنتاج فكري أو أدبي ولو مقالة في صحيفة. وكان للشيخ «أحمد» ابن في فصلنا، يبدو شارد الذهن أغلب الوقت، وكأنما يستمع لأناس غير موجودين في الواقع ويأنس بهم، ومع ذلك كان «مختار» ابن «الشيخ أحمد» شديد الاعتداد بنفسه متكبرًا ليس له خليل أو صديق.

ولما كانت اللوحة التي رسمها «مختار» ابن «الشيخ أحمد» تتمثل في صورة كتاب قديم بجواره ريشة نعام ودواة حبر، كان تعليق الأستاذ «عويص» الفوري على هذه اللوحة «أن ابن الوز عوّام». واستطرد الأستاذ «عويص» سائلاً «مختار» بهزل عن سر هذه الفكرة وهل هي صورة لكتاب سحر أو شعوذة أو طلاسم، لكن الأستاذ «عويص» سأل «مختار» جادًا: « ماذا تعني بهذه اللوحة؟». تأكدنا أن «مختار» شديد الاقتناع بهواية والده ومهنته وأفكاره ونظرياته الكثيرة التي يطلقها كلامًا لا كتابة. فعن «مختار» عن أبيه «الشيخ أحمد»: «أن من المؤلفين شياطين، ومن القراء شياطين، ومن الكتب رسائل بين الشياطين. وقد يكون المؤلف شيطانًا في وقت لا يكون القارئ شيطانًا، وقد يكون القارئ شيطانًا في وقت لا يكون المؤلف كذلك، ولكن الكتاب لا يكون رسالة شيطانية خالصة إلا إذا كان المؤلف والقارئ شيطانين خالصين». ثم صمت «مختار» وأخذ يواصل رسم لوحته بهدوء غير آبه بالأستاذ وبقية الطلاب وكأنه وحيد في غرفة الفصل.

هرش الأستاذ «عويص» رأسه وهو ينظر إلى «مختار» المنهمك في مواصلة الرسم، ثم هز الأستاذ «عويص» رأسه باندهاش وذهول وأخذ يبتعد عن مختار



يوم أن (رسمنا) الشيطان

بخطوات مضطربة إلى الخلف، وهو ينفث نفثات خفيفة، مكررًا بصوت هامس لا يكاد يسمع.. بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الرحمن الرحيم...

الشيطان الصامت

وقف الأستاذ «عويص» عند طاولة «منصور»، الذي يجلس بجواري، منهمكًا في رسم لوحته. وكانت لوحة «منصور» تمثل فمًا مفتوحًا ولسانًا أفعوانيًا طويلاً يمتد منه. أبدى الأستاذ «عويص» إعجابه بلوحة «منصور». وسأله إن كان يرى في اللسان شيطانًا كامنًا يهوي بالبشر في جهنم سبعين خريفًا؟ فهز «منصور» رأسه نافيًا. سأله الأستاذ «عويص» إن كان يرى في اللسان مفرقًا بين الإخوان والأحبة؟ فهز «منصور» رأسه متحيرًا. سأله الأستاذ «عويص» إن كان يرى في اللسان حصانًا إن صانه المرء صانه وإن هانه أهانه؟ فهز «منصور» رأسه نافيًا.



فسأله الأستاذ «عويص» إذًا ما تقصد بهذه الصورة الرمزية؟ زم «منصور» شفتيه في إشارة إلى أنه لا يدري بالضبط لماذا رسم هذه اللوحة وكيف واتته الفكرة.

هنا وجّه الأستاذ «عويص» سؤاله إليّ أنا مستغربًا: «هل زميلك هذا أبكم؟»، وكان زميلي وصديقي «منصور» قليل الكلام إلى درجة الصمت، لا يطالب بحق، ولا يشهد لأحد بحق، ولا يلوم أحدًا على شيء، ولا يتدخّل في شيء البتة، وكان هذا سلوك جميع أفراد أسرته. أعطيت الأستاذ «عويص» فكرة عن «منصور» وأبيه وإخوته. ووضّحت له أننا نلقب عائلة «منصور» بـ «عائلة بني صامت». وقلت للأستاذ «عويص» و«منصور» يسمع ويبتسم إنني عندما أزور «منصور» في بيته نرتشف الشاي في أقل قدر ممكن من الحديث، وكان أبوه يدخل علينا فيصافحني ويهز رأسه مرحبًا بي بدون أدنى كلمة، وأجزم من خلال زيارتي لمنصور بأنني لم أسمع كلمة واحدة تتردد في منزلهم، من امرأة أو طفل أو فتى. لقد كانت أسرة «منصور» عائلة تعيش في صمت مطبق، بدون أن يكون لدى أحدهم عاهة في لسانه أو في سمعه. بل إنهم يوم أن ظلم أحد إخوتهم زوجته وأهلها لم يتدخلوا في خير أو شر، ويوم أن ظلم أحد أبناء عمومتهم خادمته لم يتدخلوا سلبًا أو إيجابًا. نصحني الأستاذ «عويص»، وقد أدركت فيما بعد ما يرمي إليه، أن أتزوج مستقبلاً من «عائلة بني صامت».

الشيطان الفقير

كان معظم زملائي في المدرسة يغبطون «سلطان» على أمر لم أغبطه عليه أنا؛ لعلمي وعلم قلة من الناس بأمور لا يعلمونها. المعلوم للجميع أن والد «سلطان» من أغنى أغنياء البلد، وأنه يسكن في فيلا فاخرة تقف أمامها آخر موديلات السيارات، وأنه وعائلته يختفون بمجرد حلول فصل الصيف إلى بلدان بعيدة باردة.

أما المعلوم لدي أنا، فهو أن والد «سلطان» يتبع قاعدة بغيضة هي قاعدة «الحلال ما حل في حسابك البنكي». كان والد «سلطان» مرابيًا جشعًا للغاية، على استعداد لبيع أي شيء مقابل المال. كان مصاصًا للدماء بشكل مفزع. فعلى سبيل المثال: استقدم والد «سلطان» العشرات من العمال، الذين تستر عليهم قانونيًا، وأطلقهم في البلد لا يعرفهم إلا في نهاية الشهر عندما يدفعون له المكوس ويأخذ منهم الجباية عن اسمه الذي منحهم إياه. وكانت لوالد «سلطان» أساليب أخرى مبتكرة في جمع المال، إلا

أن الأغرب في والد «سلطان» هو تبرير كل تفاصيل نشاطه الاقتصادي الجشع والابتزازي بفتاوى دينية، مفصلة تفصيلاً خاصًا، أصدرها علماء دين غير معروفين على نطاق واسع، وأغلبهم بأسماء مجهولة تمامًا.

كانت الألوان التي يرسم بها «سلطان» والكراسة التي يرسم عليها من ماركات فاخرة لم تكن بحوزة أحد من طلاب الفصل، ولكن موهبة «سلطان» في الرسم متواضعة، ولذلك فقد أخرج «سلطان» من جيبه ورقة من فئة مالية كبيرة ووضعها تحت الورق الشفاف ثم قام بانتساخها إلى ورقة الكراسة. كانت لوحة «سلطان» عبارة عن ورقة مالية من فئة الـ ٥٠٠ ريال في وسط اللوحة. ناقش الأستاذ «عويص» «سلطانًا» فيما يعنيه بهذه الفكرة: «هل المال شيطان؟» فأجاب «سلطان» بالنفي. «هل حب المال من الشيطان؟» كذلك أجاب «سلطان» بالنفي. «هل هناك أي علاقة بين المال والشيطان؟ قال «سلطان» إنه «ليس هناك سوى علاقة واحدة في رأيي بين الشيطان والمال.. وهي أنك تستطيع أن تشتري كل شيء بالمال حتى الشيطان نفسه!».

سأل الأستاذ «عويص» سلطانًا: «إذًا، ما الذي دعاك لأن ترمز للشيطان بالمال؟!» فرد «سلطان» على الفور، بأنه قصد من رسم النقود التفاؤل وإبعاد الشيطان عنه وعن أسرته، لأن الشيطان قرين الفقر!

شيطاني.. وشياطين أخرى

طلبت من الأستاذ «عويص» أن يسمح لي بالذهاب إلى دورة المياه، فوافق. وأثناء مروري من بين طاولات الزملاء شاهدت رسومًا كثيرة للشيطان؛ منهم من رسم سيجارة ومنهم من رسم شيشة ومنهم من رسم صورًا منقولة من ملصقات جمعيات مكافحة المخدرات ومنهم من رسم رسومًا كاريكاتورية لشياطين تشبه البشر ولكنها بذيول طويلة وملتوية تنتهي برأس رمح؛ كالصور التي تظهر في كتب وقصص الأطفال. ورسومات أخرى كالذي غطى الصفحة بلون أسود والذي رسم كتلة مشتعلة من النيران وأولئك الذين رسموا صورًا لحيّات وثعابين تنفث السم الزعاف من بين أنياب الرعب...

عدت من دورة المياه فوجّه الأستاذ «عويص» إليّ لومًا شديدًا، حاملاً كراستي بيده، لافتًا نظري إلى أنني لم أخط خطًا واحدًا، وحصتا التربية الفنية المتتاليتان لم يتبق منهما سوى ربع ساعة. بررت تأخري في رسم الشيطان بأنني كنت أتابع مناقشاته مع زملائي إضافة إلى أنه لم تواتني فكرة مناسبة.

تصادف وقوفي أمام الأستاذ «عويص» مع مرور وكيل المدرسة الأستاذ «ماجد»، الذي كان مؤمنًا بالضرب كوسيلة للتربية وحفظ النظام المدرسي. دلف الأستاذ «ماجد» إلى الفصل وسأل الأستاذ «عويص» عن جريرتي. ولما أوضح له الأمر وطلب منه الصفح عني، رفض الأستاذ «ماجد» الشفاعة، وأمرني حازمًا بأن أفرد راحتيّ كفيّ ليمارس عليهما أسلوبه التربوي الوحيد. انهال الأستاذ «ماجد» على كفيّ بضربات لاسعة متوالية. كنت أرى الشيطان ينساب من عينيه ووجه المتجهّم إلى وسيلته التربوية ليتحوّل ألمًا يغرس في روحي الشابة بذور الشيطنة. كان في إبهامي جرح تخثّر من يومين إثر كأس زجاجية انكسرت بيدي. نَكَأَتْ ضربات العصا جرح إبهامي فانسال الدم من جديد. هنا توقف الأستاذ «ماجد» عن معاقبتي وطلب من الأستاذ «عويص» أن يريه لوحتي التي يتوجّب علي إنهاؤها فيما تبقى من زمن الحصة.

جلست إلى طاولتي ضاغطًا على جرحي النازف بمنديل ورقي. أحسست بالمهانة والقهر. كرهت المدرسة والحياة برمّتها. وسوس لي الشيطان بعبثية الحياة. قرّرت أن أقدّم للأستاذ «عويص» أي شيء فلن ينالني من عقاب أكثر من إهدار كرامتي أمام زملائي وأستاذي. رفعت إبهامي فوق ورقة الكراسة البيضاء، وعصرتها حتى تقطّر الدم منها، فتبقّعت اللوحة البيضاء ببضع من قطرات الدم. أعجبتني الفكرة فواصلتها حتى تبقّعت اللوحة تمامًا بالدم. قُرع جرس نهاية الحصة فقدّمت اللوحة للأستاذ «عويص»، الذي سألني عن نوعية الألوان التي استخدمتها. كنت متأكدًا أن الأستاذ «عويص» سيتبع هذا السؤال بالاستفسار عن فكرة لوحتي وكنت سأجيبه بأن الموضوع عبث في عبث، إلا أنني عندما أوضحت للأستاذ «عويص» بأنني رسمت لوحتي بدمي الذي كان يجري في عروقي، لمعت عيناه ببريق عجيب، ثم ربّت على كتفي بإعجاب ظاهر.. وخرج.

في الأسبوع التالي وجدت لوحتي التي رسمتها بدمي مغلّفة بالزجاج، ومحاطة بإطار ذهبي فاخر، معلقة في بهو المدرسة الرئيس، فيما تحولت قطرات الدم الحمراء إلى اللون الأسود، وقد كُتب تحتها بخط جميل:

«عنوان اللوحة:الشيطان الخامة المستخدمة: دم بشري».



الملاك الضائع ودراما الوجود الإنساني

ميثم الجنابي* - موسكو

* أستاذ الفلسفة بجامعة الصداقة الروسية .

عندما نتأمل تاريخ الوجود الإنساني بمعايير تلازم وتناقض الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، فإننا سوف نقف أمام صورة يصعب حدها بمقاييس أية مدرسة فكرية أو فنية. وهو أمر يشير إلى تعقيد هذه الثنائية المقلقة للعقل والوجدان، مما جعل منها على امتداد التاريخ الإنساني إشكالية ترافق وجود الإنسان من أول صرخة يطلقها في الوجود إلى آخر واحدة يرافقه بها الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء والأعداء. بل إن الوعي الإنساني قد رفعها في محاولاته تحديد المعنى الجلي والمستتر في وجوده وأفعاله إلى مصاف البداية الأزلية. وهي صيغة عصية على المنطق، لكنها معقولة برغبته في تفسير ما يكمن في أعمق أعماق نزواته المتكسرة في إرادة ما يريد، وما يعانيه من نهي منطقي أو أخلاقي لما يعتقده فضيلة تسمو على ما في طبيعته.

وفي كلتا الحالتين لم يفلح في التوصل إلا إلى مفاهيم جلية بمعايير اللغة عصية بمعايير المنطق والمطلق، وهي الطبيعة والفطرة. بحيث لصق بالأولى ما يقترن بالغريزة وبالثانية ما ينأى عنها في سمائها. بمعنى إنه حول الطبيعة «الأرضية» إلى فطرة «سماوية». وفيما بينهما حاول السباحة في عالم تتصارع فيه قوى الخير والشر، والفضيلة والرذيلة.

وليس مصادفة أن نعثر على تسميات و«نماذج شيطانية» تفوق في كميتها ونوعيتها «النماذج الملائكية». بل حتى في القرآن نعثر على ٩٤ مرة يتكرر فيها اسم الشيطان بينما يبلغ عدد المرات التي يتكرر فيها اسم الملائكة ٧٣ مرة. وهي نسبة يمكننا العثور عليها في الأدب والفن وقصص الأطفال وأحاديث العجائز وحكايات الشعوب وأعمال الفلاسفة وأقوال الحكماء ومجلة «المعرفة»!! كما هو جلي في اختيارها الموضوع!! وهو واقع يشير إلى طبيعة القلق المتناغم مع رغبة الخروج من مأزق الوجود المعنوي الذي يحاصر الإنسان ظاهرًا وباطنًا على مستوى الحياة الفردية والاجتماعية. كل ذلك يعطي لنا إمكانية القول: إن الشيطان هو المرافق الخفي لسر الأسرار. أي لدراما الحياة المتذبذبة بين يقينين. وفي هذا يكمن أيضًا سر «اختياره» مبدأ الدراما التاريخية ونهايتها للإنسان. وفي هذا أيضًا يكمن مصدر الصراع التاريخي في التفسير والتأويل والمواقف والمساعي تجاه القوة التي تتحدى الإنسان وتنبع منه بقدر واحد.

فعندما ننظر إلى تاريخ الأساطير ونوعية «الشيطان» فيها، فإننا سوف نقف أمام صور متنوعة ومختلفة ومتباينة من حيث تقييمها لدوره وموقعه ووظيفته وأثره بالنسبة لحياة الإنسان، إلا

أنها تشترك جميعا في الإقرار الخفي بدوره في إشكالية القضاء والقدر. وهو الأمر الذي يعطينا إمكانية القول إن الشيطان يبرز في أساطير الأمم على أنه القوة الفعالة في كينونته الوجودية. وفي هذا يكمن طابعه الخاص بوصفه قوة وجودية في أساطيرها. في حين توحدت وتشابهت صورته ونموذجه في الأديان من خلال تحويل قوته الوجودية إلى وجود قوي في مصير الإنسان الأخلاقي والروحي. وهي استعادة ونفي لما في تاريخ القلق الإنساني العميق في محاولاته تحدي النقص الدائم في الوجود البشري.

فالقلق من القلق! وهي الدورة التي تصنع شياطينها وملائكتها، وهي فكرة عقلانية نعثر على صيغتها الدينية وصورتها النموذجية في الرؤية الإسلامية التي جعلت من الشيطان نموذج التحدي العنيد والاستكبار المحكوم بغيرة أبدية ليست بذاتها سوى أحد عناصر الوجود. فعندما يعتد إبليس بناره، فانه يكون بذلك قد جهل أن قيمته ليست بذاته بل بوحدة في مكونات الوجود الأخرى. وهي فكرة عانت منها عقلية الفلسفة الأولى عندما حاولت أن تجعل من عناصر الماء والهواء والتراب والنار كل لحاله مبدأ الوجود. لكنها إذا كانت تحتوي حينذاك على أبعاد منهجية مهمتها تفسير الوجود، فإن رفع أي منها إلى مصاف القيمة الذاتية سوف يجعل منها بالضرورة قوة تكسر الوجود. وليس استعلاء النار على التراب كما هو الحال في الرؤية الإسلامية سوى الصيغة المعبرة عما يمكن دعوته بغواية الدراية الناقصة، أي ضعف العقل عن إدراك الأبعاد الكبرى في وحدة مكونات الوجود. بينما إدراكها يشكل مضمون المعرفة الحقيقية. وهي المعرفة التي تصنع من التراب والنار مختلف نماذج الفخار والأحجار، بمعنى قدرتها واستعدادها على صنع فخار الرونق وافتخار النفس الغضبية، وكذلك حجارة القبور والقصور. وهي مفارقة مقلقة للعقل والضمير رفعتها الأديان من حضيض الوجود الخشن إلى عالم الأخلاق المتسامي بوصفه الأسلوب الروحي للتمسك بعروة اليقين. ومن ثم لم يكن ظهور الشيطان وتحديه السافر لمبدأ الخليقة سوى الوجه الآخر لرغبة الخليقة في أن تكون مطيعة وأمينة لحقائق المطلق. وفي هذا يكمن سر التضاد الهائل والتعايش القلق بين مكونين متعارضين ومتضادين ومتلازمين في نفس الوقت. وهي الصورة التي رفعها الإسلام إلى مصاف الرؤية الأزلية – الأبدية، أي الملازمة لوجود الإنسان بين عوالم الملك والملكوت والجبروت. إذ تحول الشيطان في الرؤية الإسلامية إلى نموذج التحدي العنيد والعمل المدرك للإغواء والإغراء والرذيلة، أي القوة التي تشكل مصدر الامتحان الأخلاقي للبشر، وهي الصيغة التي تمثلت مضمون التراكم الثقافي لقوة وفاعلية الإغواء والإغراء والرذيلة في المصير الروحي للفرد والجماعة والأمة والحضارة. وهو السبب الذي جعل من «الشيطان» مصدر الغواية والإرادة الخادعة والاعتداد بالنفس والاستكبار والضغينة والنميمة والكذب والخداع والغش، باختصار كل أصناف وأنواع الرذيلة.

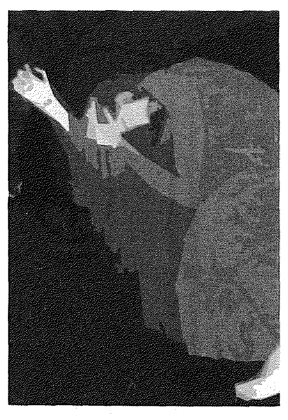
فعندما نتأمل تاريخ الأمم والثقافات وتجارب صعودها وهبوطها، ارتقاءها وانحطاطها فإننا نقف دومًا أمام حقيقة مستترة يقوم فحواها في طبيعة الصراع بين «شياطينها» و«ملائكتها». ومهما كانت النتيجة، فإن هذه التجارب تكشف عن أن «للشيطان» مظاهر و«مآثر» على قدر ما في الثقافة من دراما الغواية والدراية. بمعنى أن الصراع العلني والمستتر في تاريخ الأمم والثقافات عادة ما يضعهما أمام إشكاليات المعرفة ونوعية التمسك باستنتاجاتها.

إذ ليس الزمن الضائع بالنسبة للفرد والجماعة والأمة والثقافة سوى الوجه الآخر

إن شيطان العرب الأكبر الآن هو العمل دون هوية تلقائية، أي العمل بلا منظومة من المرجعيات العامة والملزمة في ميدان الثقافة والدولة والقومية

للإرادة البشرية المتكسرة بدهاليز الإغراء والإغواء. وهي إرادة شيطانية، بمعنى أن مبدأها الولع وغايتها الولع وما بينها اجترار للقلق. وهي صورة واحدة من حيث المضمون. إنها الصورة التي تثير الفزع في الطفولة والولع في الرجولة والجزع في الكهولة. ذلك يعني أنها صورة الإرادة المسلوبة. فحقيقية الشيطان في هذا الميدان ليست إلا الوجه الآخر لتلون الإرادة المتكسرة بدهاليز الإغواء والإغراء. فقوته من ضعفها وضعفه من قوتها. وهي معادلة تصنع ما يمكن دعوته بثلاثية الإرادة الشيطانية:جسد بلا روح، وإيمان بلا هداية، وعلم بلا دراية. وهي ثلاثية تقفل على الروح والعقل والإيمان إمكانية العمل بما فيهم من قوة قادرة على تنقية النفس والارتقاء بها إلى مصاف التمسك الدائم بالحق والحقيقة.

وهي ثلاثية أكثر من يمثلها ويجسدها الآن في العالم العربي القوى التي تعمل بمتطلبات الغريزة الجسدية وليس بمرجعيات الروح الثقافي للأمة، والتي لا يحتوي إيمانها على هداية لأنه موجه ضد حقيقة الإيمان باعتباره إحسانًا، والتي لا يتعدى علمها تكرار واجترار ما عفا عليه الزمن من



أحكام ومفاهيم ميتة. والقضية هنا ليست فقط في أن كلام القدماء، مهما كان عظيمًا يبقى جزءًا من تجاربهم، بقدر ما في خطورة تطويعه الجزئي الذي يجعل من فكر القدماء عبارات، ومن عباراتهم هراوات الإرهاب والاستبداد عوضًا عن تحرير العقل واختبار الحكمة. وهي حالة تجعل من الممكن القول إن الشيطان العربي المعاصر (أو العصري!!) هو القوة التي تعمل بدون هوية تلقائية في مواجهة إشكالاتها الكبرى والصغرى. وهو شيطان مارد، لأنه بلا آفاق. بمعنى أنه قادر على سحق كل التراكم التاريخي للثقافة ومرجعياتها الروحية المتسامية، لأنه لا يعمل في الواقع إلا بأسلوب رمي الحجر بالحجر حتى دون أن يدرك الأبعاد الروحية فيه. وهو أسلوب لا قيمة وله ولا أثر في إنهاك القوى الشيطانية الفاعلة في نفسية وذهنية العالم العربي الحالي. وذلك لأنه يكتفي بصورة «رمي الجمار»، أي حجر بحجر، دون الاعتبار برمزيتها التي قال عنها شيوخ الإسلام العظام:«إذا كسرت الحجارة للرمي فاكسر مع الحجارة إرادة الباطن وشهوات الأسرار وممكنات الأهواء». بمعنى التحرر من عبودية الإغواء والإغراء القائمة في ضعف الإرادة.

بعبارة أخرى، إن مهمة كسر الحجارة الشيطانية القابعة في العقل والضمير تفترض كسر الإرادة المتكسرة وإعادة صهرها ببوتقة الحق والحقيقة.

فحقيقة الشيطان هنا هي إشكالية تلازم فقدان المرء والمجتمع والدولة والثقافة لمرجعيات كينونتها الثقافية. وهو الأمر الذي يعطي لنا إمكانية القول: إن شيطان العرب الأكبر الآن هو العمل دون هوية تلقائية، أي العمل بلا منظومة من المرجعيات العامة والملزمة في ميدان الثقافة والدولة والقومية. وبدون ذلك يستحيل الخروج من مأزق الطريق المسدود. أما تذليل هذا الخلل الهائل فيفترض بناء الوجود الفردي والاجتماعي والقومي على أسس ثقافية حرة ومرجعيات تلازمها في بناء الدولة، لكي لا يكون كل ما فينا مجرد ملاك ضائع في دراما الوجود التاريخي للأمم.

أنا وشيطاني «تجاربهم مع الشيطان» :

شقيّ معي ولكنه غلبني في جملة من المواقف

عبدالملك مرتاض * - الجزائر

* عضو المجلس الإسلامي الأعلى .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّبعوا خُطوات الشيطان، ومن يتّبعْ خُطوات الشيطان فإنّه يأمرُ بالفحشاء والمنكر﴾. (سورة النور، من الآية ٢١).
إن كل الأديان تعتقد بوجود الأرواح الشريرة التي تناوئ الإنسان، وتشاكسه في سلوكه فتُغْريه بفعل الشّرَ، وتأبى عليه أن يفعل الخير؛ فهو معها في صراع مُستمر. وكثيرًا ما يقع الترادُف بين معنَيَي الشيطان وإبليس في تفكير النّاس ومعتقداتهم وإيمانهم جميعًا. في حين أنّ المُلحدين ربما أطلقوا على الشيطان مفهوم «الشر» واستراحوا! وحينئذ يغتدي الشرّ مفهومًا معادلاً لإبليس أو الشيطان.

وقد عجِبْنا من أمر الموسوعة العالمية التي تحدّثتْ عن الشيطان في كلّ الأديـان، بما فيها الأديان المجوسيّة والوثنيّة، ولم تكلّف نفسها أن تشير بلفظة واحدة إلى الدّيانة الإسلاميّة ونظرتها إلى شخصيّة الشيطان؛ غير أنّ عجَبَنا زال حين اقتنعْنا بأنّ الغربيّين، كتّابَهم ومفكّريهم وساستَهم جميعًا يهابون أن يتحدّثوا عن الإسلام لخشيتهم من أنّ مبادئه الصحيحة السّمحة إن شاعتْ بين عامّتهم انقضّتْ معه كلّ النزعات الدّينيّة الأخرى القائمة على هواء!...

كانت المعتقدات العربيّة، الأدبيّة على الأقلّ، ترى أنّ لكلّ شاعر شيطانَه الذي يُمْلي عليه قول الشعر وينهض له بزَخْرَفته، فهو لا يعدو أن يكون ناطقًا باسمه، ومُذيعًا بين النّاس ما تلقّاه عنه من إبداعه. ولذلك قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البَشَرْ
شيطانُهُ أنثى، وشيطاني ذَكَرْ

في حين قال شاعر آخر، مجهول:

إنّي وإن كنت صغيرَ السّنّ
وكان في العين نُبُوٌّ عنّي
فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

وكان لأكبر الشعراء العرب شياطينُ بأسمائهم، تدور بين رواة الأخبار، يرافقونهم ويعمَلون لهم الأشعار التي كانوا يقرضونها فيما يزعمون. وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنهم كانوا «يزعمون أنّ مع كلّ فحلٍ من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشعر»! (الحيوان، ٦. ٢٢٥) وذلك أمثال الأعشى، وبشار، والفرزدق...

وكان لهم أسماء يَتَسَمَّوْن بها مثل مِسْحل، وجُهُنّام، وعمرو، وشنقْنَاق...

ولا تزال آثار منَ هذه المعتقدات الأدبيّة قائمة إلى يومنا هذا، إلى درجة أنّ الحداثة الغربيّة ترى أنّ الكاتب الأديب حين يكتب أدبًا، شعرًا كان أو نثرًا، فليس هو الذي يكتبه في حقيقة الأمر، ولكنّ هناك مؤلّفاً آخرَ يطفُر في قريحته، ويندسّ في وجْدانه لحظةَ الكتابة الإبداعيّة فينهض بها؛ فليس الكاتب الذي نراه يمشي في الأسواق، بجسمه المكوَّن من لحم وعظم، والمدوَّن اسمُه في سجلّ ما من سجلاّت الحالة المدنيّة، ببلديّة ما من البلديّات: هو مَن يدبّج ما نقرأ، ولكنّ الذي يأتي ذلك هو مؤلّفٌ ساكن في قريحته لا نعرفه ولا نراه!

وكذلك استحالت الأسطورة العربيّة القديمة المتمحّضة لعلاقات الشعراء العرب مع الشيطان، أو الرَّئِـيّ، إلى نظريّة نقديّة يروّجها بارط، وطودوروف، وجينات، وسَواؤُهم من كبار النقاد الفرنسيّين ومعهم كثير من النقّاد الغربيّين الآخرين المعاصرين!...

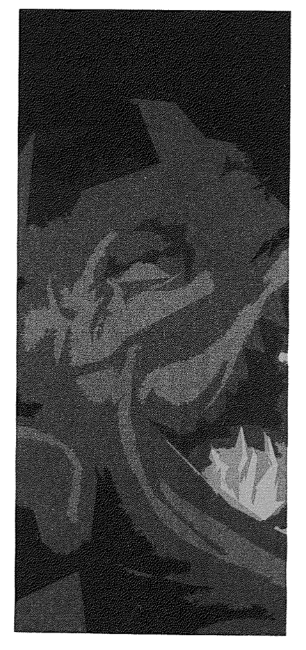
وأمّا نحن فحين نكتب لا نلتمس من الشيطان أن يظاهِرَنا على ما نكتب، ولا نقبَل بأن يجالِسَنا فيشاركَنا المجلسَ الإبداعيَّ بنجاسته وإغواءاته وإغراءاته، فنوشك أن نضلّ ضلالاً بعيدًا، غير أنّنا نعرف أنّ كثيرًا من الكتّاب العرب المعاصرين يُرْضُون شيطانهم، ويأتمرون أمْره في سذاجة بادية، وخضوع عجيب؛ ذلك بأنّ الواحد منهم ربما اعتقد أنّه لا يستطيع أن يكتب شيئًا (وقد أخبرني أحدهم بذلك) إلاّ بعد أن يضعَ قنينة خمر على مكتبه فيحتسي منها كلّما أقْصَى به الإبداع فتنهال عليه الكتابة. فكأنّ الكتابة من هذا المنظور تعني إفرازات السُّكْر الذي هو من الشيطان، بالمفهوم الدينيّ الإسلاميّ.

وإذا كان الشيطانُ، فيما تزعم الموسوعة العالميّة، بدأ يفقد تأثيره في النّاس في عصر التّقانة والمعلوماتيّة، فإنّه في الحقيقة لم يفقد شيئًا من مكانته في سلوك النّاس؛ ذلك بأنّ كلّ شرٍّ من الفعل يدبّره شخصٌ لشخصٍ لآخرَ فهو من أعمال الشيطان.

وكان إبليس الذي فسَق عن أمر ربّه بإبائه السجود لآدمَ في تحدٍّ لأمر الله تعالى، ومنذ قصّة آدم وحواء معه في الجنّة، وإغوائهما بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، بلْه أكْل ثمرتها: عدُوّاً لبني آدم، مُوسوساً له؛ إذ صدَع بعداوته هذه بالتصدّي للإنسان حيث وُجد، وبالقعود له كلّ مَرْصَد، وبإغوائه بفعل كلّ قبيحة فيزيّنها له، وبصرْفه عن فعْل كلّ حسنة فيختلق له المعاذرَ في صَرْفه عنها: فالإنسان قبل أن يتصدّق بقليلٍ مما في جيبه يمرّ بلحظات صراع بينه وبين شيطانه، وهو حين يسمع المؤذّن يؤذّن لصلاة الفجر، وهو يقظانٌ ولكنّه متدفّئٌ في فراشه، يتصارع تصارعًا شديدًا مع شيطانه: أينهض فيتوضّأ فيذهب إلى المسجد فيصلي صلاته؟، أم يظلّ متلذّذاً بدفء الفراش والاستمتاع

غلبني في جملة من المواقف حتمًا، فهو قوّة شرّيرة رهيبة إذا استفحلتْ وضَريَتْ، ولكنّ ذلك ما كان إلاّ قليلاً، وأنا متربّص به كما هو متربّص بي، مُدْرك لما يمكن أن يدبّرَه لي في كلّ موقف من الشّر تدبيرًا.. فالصراع معه مستمرٌّ، ومُعاداتُه دائمةٌ على وجه الدّهر؛ ولذلك فالحرب بيننا معلنة لا هوادة فيها، فمن سيكون منّا المنتصر؟

باسترخاء الكسل فلا يتوضّأ ولا يصلّي إلّا بعد فوات وقت تلك الصلاة؟ وهو حين يودّ زيارة أحد الأقارب لصلة الرّحم يقوم الشيطان في وجهه فيسوّل له الأمور، ويزيّن له القطيعة، ويثير في ذاكرته كلّ العلل والأسباب التي يمكن أن تحول دونه وتلك الزيارة مثل: لِمَ لا يأتي القريب الآخر فيزور هو أيضًا؟ أَوَ لَمْ إذا زرته أنت كأنّه لا يحتفي بك ولا يستقبلك الاستقبال اللائق بمقامك؟...



وهلمّ جرّاً.

إنّ هذه القوّة الغيبيّة الشرّيرة عجيبة، وهي تقوم منّا مقام المترقّب المترصد من وجهة، ومقام الآمر النّاهي من وجهة أخرى: فهي تأمرنا بفعل الشر كلّما همَمنا بفعل الخير، وهي تنهانا عن فعل الخير وتزيّن لنا فعْل الشرّ تزيينًا جميلاً.

وأنا لست بدعًا من النّاس؛ فأنا بشيطاني الذي لا يزال يصاحبني، ولا يكاد يحيد عنّي، وإن كنت لا أتمثّل شخصه، ولا أميّز طيفه: ولكنّي، مع ذلك أتمثّله شرّيرًا يرافقني ولا يفارقني، وهو الذي كثيرًا ما يزيّن لي فعْل ما لم يأمر به اللّه!... غير أنني أعتقد أنّ شيطاني شقيّ معي حتمًا؛ لأنّي لا أفعل الشرّ للناس فأوذيَهم، ولأنّي أنهض بصلاتي ونسُكي ما استطعت إلى ذلك، ولأنّي لا أزال أدارس اللّغة العربيّة - لغة أهل الجنّة - فأتعلّمها يوميًّا، ولأنّي حفظت القرآن الكريم فأنا لا أزال أنقّب في تفاسيره، ولأنّي أستمع في مذياع سيارتي للشيخ السديس والحذيفي بدل الاستماع إلى هذه الأصوات النّاعبة الناهقة الناشزة، والتي يدّعي أصحابُها أنّهم من المغنّين!... ولأنّي أحاول أن أصل الرّحمَ في المناسبات والأعياد فأتغاضى، ما استطعت، عن محاسبة الأقارب الذين يجدون ألف علّة في عدم زيارتي فيتجانفون عنها. وكلّ ذلك لأنّي تعلّمت من الإسلام أنّ الشيطان الرجيم للإنسان عدوٌّ مبين، وأنّ الذي يصادقه أو يطيع وساوسه يغتدي هو في نفسه من جنس الشياطين!...

ولكنّ ذلك كلّه لا يجعلني بمنجاة من وسْوَسة الشيطان الرجيم، وحبائله التي لا يزال ينصبها لي بإغْواءاته حيث أكون، فقد غلبني في جملة من المواقف حتمًا، فهو قوّة شرّيرة رهيبة إذا استفحلتْ وضَريَتْ، ولكنّ ذلك ما كان إلّا قليلاً، وأنا متربّص به كما هو متربّص بي، مُدْركٌ لِمَا يمكن أن يدبّرَه لي في كلّ موقف من الشّر تدبيرًا.. فالصراع معه مستمرّ، ومُعاداتُه دائمةٌ على وجه الدّهر؛ ولذلك فالحرب بيننا معلَنة لا هوادة فيها، فمن سيكون منّا المنتصر؟.

أنا وشيطاني

تحجبت ولم أكذب و.. لم أدخل الحمام في العيد!!

صافي ناز كاظم - مصر

الشيطان رمز للشر، وأول واقعة للشر قصها علينا القرآن الكريم هي رفض إبليس- أستاذ العلمانيين - للأمر الإلهي بالسجود لآدم، ولم يكن ذلك كفرانًا من إبليس بالذات العلية لكنه اعتراض على طاعة، ومن هنا جسد إبليس في تلك الواقعة الشر المطلق للمرة الأولى غرورًا وصلفًا وكبرياء فعاقبه الله وانتصر لآدم، ولو دققنا النظر في تهديد إبليس لوجدنا أنه لم يقل سأقنع بني آدم أو سأهديهم لكنه قال (لأغوينّهم) لأنه يعلم تمامًا أن كل كلامه باطل.

وفكرة الشر بدأت بغواية، بمعنى أن أزين لك شرًا بما يبدو فيه مصلحتك، وهو ما فعله أيضًا إبليس مع آدم وحواء حيث أغواهما بالأكل من الشجرة التي نهيا عنها، فكان حكم الله عليهم جميعًا بالهبوط إلى الأرض وبداية رحلة الشقاء والنصب، ووصل الشر ذروته في هذه المرحلة بواقعة قتل قابيل لأخيه هابيل في أول دم سفك على الأرض بسبب الحسد، فلجنة الامتحان معقودة منذ ذلك التاريخ للبشرية بين قوتي الخير والشر فهما قطبان أساسيان لكل منهما تفريعات، والإنسان منّا منذ مولده وحتى وفاته يعيش وبين جنباته هذا الصراع الأبدي بين هذه القوى الخفية التي لا نراها الا إذا تجسدت في السلوك والفعل ﴿ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها﴾، إن كل إنسان منا يحب الخير ويرغب فيه، لكن الشر يصارعه يغلبه مرة وينهزم أمامه مرات ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ فهو امتحان وابتلاء دائم ومستمر نهايته تكون بخروج الروح إلى بارئها، فإعلان نتيجة الامتحان يوم الحساب، فينجح من تغلب على إبليس وعصاه كونه رمز الشر، ويرسب من أطاعه واجتباه وشتان بين الاثنين ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾. ومع ذلك فإن الله جل وعلا كتب على نفسه الرحمة ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ بشرط عدم الإشراك به ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

أذكر أنني منذ الصغر وأنا أشعر بالخوف من الله، ذات يوم ولم أكن قد أكملت عامي وكان عيد الأضحى، ولدي إحساس بأنه شيء مقدس وأردت دخول الحمام فسألت أختي الكبرى أمينة (هو اللي يروح الحمام في العيد حرام) فقالت لى أمينة: نعم حرام، فظللت هكذا حتى بكيت، فسألتني أمي عن سبب البكاء، فقلت لها أريد دخول الحمام فقالت لي ادخلي، قلت لها: أمينة بتقول لي حرام في العيد، فقالت: أمينة بتضحك عليك، فهنا بدا لي من الطفولة أن حب المقدس والحرص على إرضاء الله ولو كانت هناك معاناة مغروس فينا وهو شيء فطري وغرائزي.

موقف آخر حدث في حياتي ويدلل على صراع الخير والشر الدائر بين جنبات الإنسان، ففي فترة صباي لم أكن محجبة رغم أنني كنت أصوم وأصلي، ولم أذق طعم الخمر أو البيرة في حياتي رغم أنني عشت ٦ سنوات فى أمريكا (١٩٦٠-١٩٦٦م) لكن تبرجي وطريقة ملابسي لم تكن تريحني رغم أنها لم تكن عن معصية بل عن جهل بالدين وأحكامه، فكنت دائما عندما أصلي العشاء وفي ركعة الوتر أدعو الله أن يهديني، كنت أشعر بأن هناك شيئًا ما في حياتي خطأ ووظللت هكذا إلى أن ذهبت للحج عام ١٩٧٢م وبعدها تحجبت على الفور، وكان هذا اعترافًا مني بالخطأ والتقصير في جنب الله تعالى، وأنا كلما أبتليت بمرض أو موت عزيز لدي أو خسارة مادية أفرح جدًا لأني أعتبر ذلك تسديدًا لديون وغسل للذنوب وتكفير لها.

والإنسان دائمًا مفطور على الخير لذلك هو في

صراع دائم مع الشر الذي هو الشيطان، كنت أقطن في شقة بالإيجار في منطقة العباسية وتركتها وانتقلت لشقة أخرى وأحببت نقل تليفوني القديم للشقة الجديدة، وهذا الأمر تطلب مني إجراءات قانونية معينة، وجدت أن هناك ثلاثة أطراف مضطرة للكذب لاستكمالها، أنا ومالك الشقة وموظف السنترال، فرفضت بشدة وقلت لهم: من أجل ٩٠٠ جنيه نكذب، فنحن لابد أن نكون قدوة لغيرنا حتى يعم الخير وينزوي الشر لأن هناك خيرًا واضحًا وشرًا واضحًا للجميع، لكن المشكلة تكمن في أنواع الخير والشر المختبئة، ولذا فأنا أشبهها بعملية تنقية الأرز أو حل الكلمات المتقاطعة والألغاز، فهي عملية صعبة ومجهدة، فالشر قد يكمن في إنسان عابد ومتبتل لكنه قد يكون ظالمًا لزوجته فيضطرها للخلع ليحصل منها على المال ويبتزها ويرفض أن يطلقها، والشيطان قد يختبئ تحت حكمه، لكن رغم ذلك فهناك بوصلة ﴿واجتنبوا قول الزور﴾.

ومن الممكن أن نجد إنسانًا شريرًا مع الله فيكون ملحدًا به في الوقت الذي نجده طيبًا في معاملاته مع الخلق والبشر، كما لا ننسى أن هناك شياطين الإنس الذين يتفوقون أحيانًا على شياطين الجن ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾، أذكر أنه لما كنا في المعتقل في يناير ١٩٧٣ ورغم أن الاعتقال يبدو في ذاته شرًا لكن اعتبرها أكثر مرحلة خير في حياتي، فكنت قبلها عندما أرزق بحمل وأثناء المظاهرات والاعتصامات أبذل مجهودا فيسقط الحمل وتكرر هذا معي أكثر من مرة، وعندما تم الاعتقال لم أكن أعلم أنني حامل، وكأن الله تعالى قد قدر لي الاعتقال الذي هو شر في ظاهره خصيصًا كي أستريح فى السجن ويكتمل الحمل وأرزق بابنتي الوحيدة (نوارة).

هناك طاعة أحيانًا غير مفهومة، لكننا نفعلها امتثالاً لأمر الله فتسليم سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل للذبح وما فعله الخضر مع سيدنا موسى هذا بدا في ظاهره أنه شر، لكن في الحقيقة هو غير ذلك، فالشر قد يكون في زفاف ابنتك أو في نجاحك بتقدير في الكلية وتعيينك معيدًا أو في حصولك على صفقة بملايين الجنيهات أو في فوزك بجائزة نوبل. أذكر أيضا أثناء اعتقالنا عامي ١٩٨١و١٩٨٥ وكان زميلاتي في السجن يريدون أن يخبئوا معي الشاي والأقلام لأنها كانت من الممنوعات في السجن، وعندما تأتي السجانة وتقول يا صافي عندك ممنوعات؟ أقول لها نعم لأني أخاف أن أكذب حتى في أحلك الظروف، فالصدق منجاة وهو عنوان الخير حتى لو ظن الانسان أن في ظاهره الهلاك.

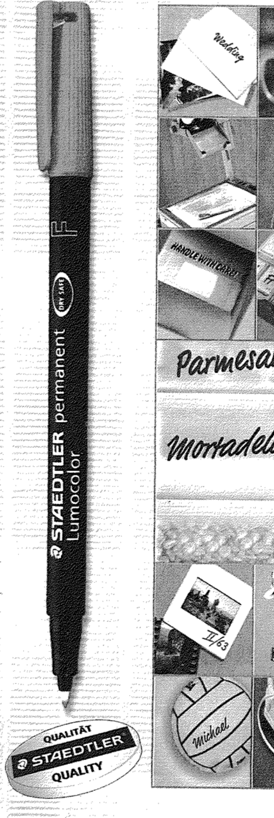
والصراع مع الشيطان، أو الخير والشر هو القضية التي شغلت تفكير الإنسان منذ خلق آدم عليه السلام، وستظل تشغله إلى يوم القيامة: ﴿وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾، وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وعملك ويعظم حلمك، وسئل حكيم ما هو مفهوم الخير لديك؟ فأجاب ألا أصيب أحدًا بأذى. الطيبة مرونة في معاملة الناس، ودبلوماسية في التخلص من شرورهم، تب قبل موتك بيوم، ولأنك لا تعلم متى تموت فكن تائبًا على الدوام.. فهكذا أنا وهذا ما أحب.





Lumocolor لـومـوكـلـر

أقلام تعليم للكتابة على جميع الأسطح





أنا وشيطاني

احذر إنفلونزا الطيور!

سليمان قناوي* - مصر

* كاتب صحفي /رئيس تحرير سابق / جريدة الأخبار المصرية .

ضحكت كثيرًا حين قرأت أن أحب جزء إلى قلب الإسرائيليين في شبه جزيرة سيناء هو «رأس الشيطان»، وهكذا الطيور على أشكالها تقع فهناك مناطق عديدة وجميلة في مصر وتحمل اسم «رأس» وذات معاني إيجابية إلا أن الإسرائيليين لا يقعون إلا في هوى الشيطان فهناك «رأس الحكمة» و«رأس التين» و«رأس بناس» و«رأس البر» و«رأس سدر» ومن كل هذه الرؤوس لم يعجب الإسرائيليين إلا برأس الشيطان، ولذلك فقد أضاف المصريون إلى تعبير «الشيطان شاطر» أنه قد تعلم على يدي شارون ونتنياهو وشامير وبيجن وبوش وبلير وهتلر وموسوليني وستالين من المحدثين . وفرعون وهامان وأبي لهب وأبي جهل ومسيلمة الكذاب من القدامى.

وقد عرف الشيطان على مر العصور. فقد كان يمثل في القرون الوسطي برجل أسود حاد النظرات له لحية مدببة وقرون وأظلاف. وجاء الإسلام ليؤكد قبح منظره وذلك حينما اختاره كمثال لقبح ثمار شجرة الزقوم ،فقال تعالى :﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾. ويسمى أيضًا إبليس فقد ذكرت بعض المعاجم ومنها «لسان العرب» أن إبليس سمي بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة الله أي يئس وندم. وعند الفراعنة أطلق على إله الشر اسم «ست» أو «ستان» والملاحظ هنا التشابه في اللفظ بين «ستان» – التي تعنى شيطان باللغة الإنجليزية – وكلمة شيطان والتي تعنى في اللغة العربية الضد أو العدو. ومنذ أن خلق الله آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها لم ولن يترك الشيطان الإنسان لحظة واحدة، فهو تحت جلد كل واحد منا ويسرى داخلنا مسرى الدم فخلال تصفحي للإنترنت دخلت أحد المواقع التي تتحدث عن كيفية مقاومة غواية الشيطان وإذا بالموقع تعرض بالكامل للاختراق من قبل شيطان «هاكر» أراد أن يسد الطريق على الناس لمعرفة كيف يمكن الانتصار على الشيطان. وأبلغ دليل على التصاق الشيطان بالإنسان ومرافقته له كظله، شهر رمضان فعلى الرغم من تصفيد شياطين الجن خلال هذا الشهر الكريم، إلا أن شياطين الإنس تظل حرة طليقة، فتجد الإنسان صوامًا، قوامًا، عبادًا لله وفي لحظة يجلس أمام التليفزيون فتغالبه شياطين الفوازير والمسلسلات لتضيع عليه صيامه وقيامه.

ومنذ أن تفتح عينيك على الدنيا مع أذان الفجر، يبدأ إبليس اللعب في دماغك، فإذا كانت الدنيا شتاء والجو شديد البرودة، وسوس لك: «احذر أن تصاب بإنفلونزا البشر التي لو اتحد فيروسها مع إنفلونزا الطيور، لتعرضت للهلاك فإذا طرحت غطاءك جانبًا واعتدلت في سريرك وأحس أنك لم تستجب له، لن يتركك أيضًا فتراه يهمز : «فيما العجلة أمامك ساعة على الشروق؟» وإذا غادرت السرير وأحس أنك تتجه للوضوء، شاغلك قائلاً: «لو أضأت المصابيح فسوف تزعج أهل البيت» ولو كنت قوي الإيمان فسوف ترد في داخلك: «أريد ذلك حتى يقوموا هم للصلاة» وقبل أن تفتح الصنبور، تجده يهمس في أذنك خاصة أن سطوته تكون شديدة في الأماكن مثل دورات المياه: «السخان لا يعمل والماء شديد البرودة لماذا لا تنتظر حتى يتوفر الماء الساخن».

ويستمر هذا الصراع الداخلي حتى بعد رفع تكبيرة الصلاة. ونلاحظ دائمًا أن إبليس يستخدم تكتيكات شديدة الخبث تبدأ بالترهيب فالإنسان هو الأخوف أولاً على حياته (لذلك استخدم هنا سلاح إنفلونزا الطيور التي تفضي إلى الموت) ثم الترغيب بأن هناك فسحة من الزمن قبل الشروق تستطيع أن تخلد فيها للنوم. فإذا انصعت وغططت في نوم عميق، انتصر هو، لذلك يأمرنا أهل العلم بصورة حازمة: «قم إلى الصلاة فور سماع الأذان مهما كانت الأسباب». التردد ولو ثانية يفتح عمل الشيطان.

ويستمر إبليس معك طوال اليوم مواصلاً وسوسته. فإذا مرت أمامك فتاة سافرة وغضضت بصرك، همز لك:«ليه لا.. الله جميل يحب الجمال» فإذا نهرته بالآية الكريمة: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أجاب: «لا حرمة في النظرة الأولى» بهدف أن يستدرجك إلى غيرها لأن هذه النظرة الأولى تجرك إلى الثانية فالثالثة لتقع بها في المعاصي.

وإذا كانت عبادة الطبيب تختلف عن عبادة المدرس أو العالم حيث لا نحتاج من الأخير أن يجلس في المساجد يعظ المسلمين لأن مجاله البحث العلمي والسعي إلى إنجاز الابتكارات والحصول على براءات الاختراع من أجل الرفعة العلمية للمسلمين، وبنفس الطريقة يختلف شيطان المهندس عن شيطان المدرس عن الطبيب، فيوسوس الشيطان للمهندس على سبيل المثال: «لماذا تضع كل هذا الحديد والأسمنت في أساسات المبنى؟ تستطيع أن تزيد من مكاسبك إذا قللت هذه الكميات» فإذا انصاع هذا المهندس ضعيف النفس وانهار المبنى على رؤوس الأبرياء، دخل السجن فخسر الدنيا والآخرة. ويأتي شيطان الصحفي ليدير رأسه بأن الموضوعات الجنسية المثيرة ستكسبه الشهرة والمال فإذا خضع لهذه الهمزات نال وزر ما كتبه وأوزار كل من قرأه وعمل به.

انتبهوا.... ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ فلا تتبعوا خطواته فهو الأخطر على البشرية.

أنا وشيطاني

قال لي: الدنيا كلها ضدك!

مرام مكاوي* - بريطانيا

* كاتبة سعودية وطالبة دراسات عليا.

الشيطان! ذلك الاسم الكريه، الذي خفناه صغارًا وكرهناه كبارًا! ماذا يمكن أن أكتب عنه وعني؟!

حين حاولت أن أتذكر متى سمعت اسم الشيطان أو عرفت وجوده لأول مرة فشلتُ فشلاً ذريعًا، وبالتالي سأبدأ حكايتي معه مستحضرة بعض القصص غير المترابطة التي جادت عليها ذكرياتي من أيام الطفولة.

بدأ الأمر على ما أظن بسيل من الأوامر التي يؤدي عدم تنفيذها إلى ظهور الشيطان في حياتي، منها على سبيل المثال، ألا آكل أو أشرب باليد اليسرى وإلا شاركني الشيطان. أو أن أضع يدي على فمي حين أتثاءب حتى لا يدخل الشيطان من فمي، وغيرها من الأوامر التي يراها الصغار مزعجة، لكنهم يفعلونها مضطرين حتى لا يأتيهم هذا البعبع الذي اسمه شيطان.

وبالرغم من أن أبويَّ وللحق والأمانة، لم يفرطا أبدًا باستخدام هذه الوسيلة الترهيبية، فوالدي كان دومًا رجلاً عقلانيًا يحب أن يجعلنا نقتنع بالأمور بدل أن يجعلنا ننفذ كالآلات تحت تأثير الرهاب، إلا أنني لم أنج من هذه التحذيرات من غيرهما، وذلك يشمل الأقرباء والمدرسة والصديقات. وهكذا أتذكر أنني عانيت لوقت غير قصير من كوابيس مرعبة كنت أرى فيها وحوشًا حمراء وصفراء، وأستيقظ فزعة ليلاً. ولعل خيالي قد قام بتخليق هذه الصور المفزعة للشيطان. ومع ذلك ورغم خوفي منه (الكبار يحاولون أن يخيفوك منه.. وحين تخافه ينهرونك ويقولون لك يجب أن تخاف من الله. عجيب!)، إلا أنني بقيت مستمرة في القيام ببعض الأعمال الشريرة (التي يحبها الشيطان) مثل الشجار مع شقيقتي، أو أكل حلوياتها التي لا تخصني أو إزعاج أمي أو الأكل باليد اليسرى!

وسأكبر وسيكبر شيطاني معي، وبالتالي فلم يعد مهتمًا (بعد أن تعلمت حسن السلوك) أن آكل باليمنى أو اليسرى، بل صار مهتمًا (على ما يبدو) بحثي على القيام بأعمال أكثر خطورة. كما أنه (خلال فترة المراهقة) نجح في بث بعض الأفكار المجنونة في رأسي.. من عينة أن الدنيا كلها ضدي وفيهم أهلي، وأنني مظلومة ومضطهدة، وغيرها من النغمات التي يعزف عليها المراهقون والمراهقات صباح مساء. ولكن كل هذه المعارك معه وضده كانت معارك وهمية انتهت بانتهاء المرحلة الزمنية التي عبرتها بسلام. وتبقى المعركة الأكبر التي تتجدد من حين لآخر، وهي معركتي من أجل أهم شيء في حياتي.

ذات مرة وأنا في حدود التاسعة تقريبًا كنت ألعب مع قريباتي، وفجأة تنبهت إلى أنني لم أصلّ المغرب أو العشاء. فحزنت ووعدت الله يومها بأنه منذ الغد لن أترك لله فرضًا في أي وقت وأي مكان. وبالرغم من أنه كان وعد طفلة لربها، إلا أنه وفقني سبحانه لأبر بوعدي بسنوات طويلة قبل أن تصبح الصلاة فرض عين عليّ. وهكذا أجدها واحدة من أقرب العبادات لقلبي لأن تعلقي بها مبني على قرار شخصي اتخذته وأنا بعد طفلة، ولهذا لا أزال أتألم إن فاتني فرض سهوًا.

ولأن الشيطان (في اعتقادي) يعرف ذلك، ووجد أنه من العبث أن أتخلى عن صلاتي نهائيًا، فكان الحل أن يؤخرني حتى أصليها على غير وقتها، وكانت معركتي ولا تزال مع صلاة الفجر! التي لا أواجه معها مشكلة في أيام الدراسة أو الدوام العادية، لكن الاستيقاظ لها مشكلة في الإجازات أو حين أكون في دولة تتقلب فيها أوقات الصلوات كما في بريطانيا. فمثلاً في الصيف نصلي العشاء في الحادية عشرة والنصف، ونصلي الفجر في حدود الثانية فجرًا فيكون الوقت بينهما ضيقًا جدًا، أو حين يكون نومي متقطعًا. وهكذا ففي مثل هذه الحالات نبدأ معركتنا.. أشحذ أسلحتي من توصيات لمن يستيقظ أن يوقظني. مع تجهيز كل وسائل الإيقاظ الممكنة من ساعات ذات منبه. وجرس منبه الجوال وخلافه. والحرب بيننا سجال..فأحيانًا أقفز للصلاة مبتهجة بانتصاري وأحيانًا للأسف أغلق كل هذا المنغصات لسلطان النوم (أو شيطانه!) وأكمل نومي حتى يخرج وقت الفجر تقريبًا، فاكتئب وأغضب وأتوعده في ليلة ثانية وهكذا، ومع هذا فأنا لم أيأس..أخسر معارك متفرقة بين حين وآخر..لكن لم ولن أخسر الحرب معه بإذن الله.

أخيرًا.. يظل الشيطان مخلوقًا من مخلوقات الله التي نؤمن بوجودها، ونؤمن بأن لوسوساته تأثيرًا سيئًا علينا إن استمعنا له، لكنني في الوقت نفسه أرفض تحميله كل مصائبنا وكأننا آلات مسيرة لا مخيرة! فبعض الناس يفرطون في رمي أسباب مصائبهم عليه، وهؤلاء يجعلونني أعتقد بأنه لو لم يكن الشيطان موجودًا لاخترعناه، لأننا نميل أبدًا إلى تحرير ذواتنا من تحمل أي مسؤولية، فنلعن إبليس زعيم الشياطين، وننسى أن ذاتنا هذه قد تكون هي نفسها شيطانًا أقوى من أي شيطان آخر! ■

الكاتب الساخر عبدالعزيز السويد في حوار شيطاني :

حققنا الاكتفاء الذاتي من الشياطين ولدينا القدرة على التصدير!



* «في التفاصيل يكمن الشيطان».. هل لهذا السبب نترك مناقشة الجزئيات والتفاصيل؟!

الجزئيات والتفاصيل تصيب بالصداع، ورؤوسنا كما تعلم لا نستخدم منها إلا جزءًا يسيرًا، ما زال «العداد» في فترة التمرين، وهناك خوف عليها من «التخبيط»، ومن «المعرفة» علمت الآن فقط أن الشيطان يكمن في التفاصيل، الهروب من التفاصيل محمود في الأحاديث العابرة، لكنه مذموم في القضايا المهمة.

* **أمريكا «الشيطان الأكبر» هل نتعوذ منها أو نتعود عليها أو نتودد إليها؟**

بيد أمريكا مسألة تحسين صورتها الحقيقة، إذا أرادت أن تكون شيطانًا كما هي في العراق وفلسطين وأفغانستان فلابد من الاستعاذة بالله العظيم منها والدعاء على جيوشها الغازية، وإذا تغيرت فلابد من

صوت القرين الأيمن رزين وهادئ مثل كل الطيبين والمحترمين .

الشيطان وأحفاده عند البعض تحولوا إلى «معلاق» أو مشجب يرمى عليه كل ما لا يروق لهم . مثل «البند الذي لا يسمح» .

إذا علم الإنسان حدود إدراكه فلا خوف عليه . أما إذا اعتقد أنه مدرك ومفكر زمانه وأن عقله «يوزن بلد» فقد تلبسه الشيطان .

المساحة بين الرجل والمرأة مغرية لأن ينزل الشيطان بفريقه ويضع خطة للمباراة هو يفضل في مثل هذه المباراة اللعب بخمسة ثلاثة اثنين!

التعامل معها، أمريكا حقيقة مؤثرة في الكرة الأرضية ولابد من استيعاب ذلك.

*** «لكل شاعر شيطانه» ترى ما مواصفات شيطان المتنبي الشاعر الذي شغل الناس!**

لا أتفق معك. لو قلت لكل شاعر محفظته ومعروضة تكون أكثر دقة. المتنبي الشاعر كان طموحه أكبر من إمكانياته لذلك «راح فيها». وبقي شعره بكل ما فيه من حكم وعبر.

*** متى يحول شيطانك بينك وبين شيطان شطآنك؟**

هل من الممكن أن تكرر السؤال خمس مرات وبسرعة لأستطيع استيعابه ومن ثم الإجابة عليه؟ كرره من دون أخطاء لو تفضلت.

*** الآخر شيطان.. والمرأة شيطان.. والإنترنت شيطان.. والقنوات الفضائية شيطان، لماذا يحرص البعض على إكثار «الشياطين»؟**

الشيطان هو أصل الشر و في النفس البشرية تكمن شرورها الصغيرة، إذا لم تردعها طغت وتجبرت وفاضت على من حولك. والشياطين ليسوا بحاجة إلى تقنية الأنابيب لإكثارهم، هم أكثر مما نتخيل نعوذ بالسميع العليم منهم. لكن الشيطان وأحفاده عند البعض تحولوا إلى «معلاق» أو مشجب يرمى عليه كل ما لايروق لهم، مثل «البند الذي لا يسمح» فهل سمعت عن بند يدافع عن نفسه فيقول بلى أسمح.

*** ترى ماذا يقول قرينك «الأيمن» لقرينك «الأيسر» يوميًا؟**

تخيل نفسك مترجمًا بينهما. إلى أي حافة من الوسوسة ستصل. المشكلة إذا كان صوت القرين الأيمن رزينًا وهادئًا مثل كل الطيبين والمحترمين فماذا ستتوقع أن يصل إلى سمعي.

*** ما الفرق الخفي بين شياطين الإنس وشياطين الجن؟**

الفرق أنهم يبتسمون لهم ابتسامة كبيرة وأسنانهم ناصعة البياض، ولسانهم أطول، وهذرهم أكثر، وهم كما تعلم أخطر من شياطين الجن، لأنهم يلبسون ما تلبس وتعتقد أنهم يشبهونك.

*** «الحقيقة بجوار الشيطان. دع غيرك هو الذي يبحث عنها»، ما رأيك؟.**

لست أعلم من هو صاحب هذه المقولة. ويمكن أن تُقرأ على أكثر من وجه. وإذا علم الإنسان حدود إدراكه فلا خوف عليه، أما إذا أعتقد أنه مدرك ومفكر زمانه، وأن عقله «يوزن بلد» فقد تلبسه الشيطان.

*** «لو» تفتح عمل الشيطان؛ فما المصل الذي تأخذه ضد هذه «اللو» المنحرفة؟**

التفاؤل هو الدواء الناجع للو، والعودة للسنة النبوية شأن الإنسان المؤمن في خير في كل أحواله.

*** المساحة ما بين ما تؤمن به كفرد وما تعتقده الجماعة مليئة بالشياطين الغَواية، فبأي شيء تهادن إغواء التمرد؟**

شياطين الشوارع ظهروا من صفحات خطط التنمية!!

يمكننا هزيمة البيروقراطية إذا وظفنا الشياطين!

عبدالعزيز السويد

أصبحت أرى كل سؤال من أسئلتك شيطانًا «مستنزلا». وما زال هناك شياطين أخرى من شياطين المعرفة، الصبر ياعزيزي مفتاح الفرج.

❖ لماذا لا يحضر الشيطان إلا بين امرأة ورجل؟

ولماذا اختزلت أنت حضوره هنا، يأتي الشيطان حسب الإمكانية. وهذه الإمكانية يتيحها له البشر رجالا أو نساء، والإمكانية يا أخي نسبية، والمساحة بين الرجل والمرأة مغرية لأن ينزل الشيطان بفريقه ويضع خطة للمباراة. هو يفضل في مثل هذه المباراة اللعب بخمسة ثلاثة اثنين.

❖ ترى من أي شيء تتغذى شياطينك؟

إذا كنت تقصد شياطين الكتابة فانا لا أعتقد بها ولا حتى مجازًا، الكتابة نعمة والشيطان لا يأتي إلا بنقمة.

❖ «الأبالسة» المنتشرون هنا وهناك.. إلى أي قبيلة يرجعهم تاريخك معهم؟

أين هم ؟ أنت تقول إنهم منتشرون هنا وهناك، وأنا لا أرى شيئًا، ربما لو رأيت لعرفت وسم القبيلة وأخبرتك.

❖ ما آخر مرة انتصرت فيها على شيطانك؟

في كل إجابة على سؤال من أسئلتك المتشيطنة نصر لي على شيطاني.

❖ «شياطين» الشوارع... من أين أتوا إلينا؟

ظهروا من صفحات خططنا التنموية.

❖ و«شياطين» الأسهم إلى أين يذهبون بنا؟

يذهبون بنا كل يوم إلى باب هيئة سوق المال وأبواب مؤسسة النقد، ونطرق ولا أحد يرد فنعود معهم.

❖ كيف نهزم البيروقراطية هذا «الجاثوم» الرابض على تطورنا الاداري؟

بتوظيف الشياطين إيجابيًا، قل لي كيف أجيبك في اللقاء المقبل؟

❖ الخطاب الإسلامي.. ألا يحتاج إلى «شيطنة» ليصل إلى العالم بالصورة الصحيحة؟

يحتاج إلى دهاء، فإذا كان الدهاء من صفات الشيطان فلا ننسى أنه أيضًا من صفات الإنسان، الخطاب الإسلامي حسن النية وهذا وحده لا يكفي.

❖ أي تفاصيل حياتنا تحتاج إلى مزيد من الشياطين؟

هي تحتاج إلى ملائكة أكثر من حاجتها إلى الشياطين، لدينا مايكفي منهم، استطيع القول إننا حققنا الاكتفاء الذاتي ولدينا القدرة على التصدير.

❖ متى سيتم «خصخصة» الشياطين...؟!

لقد تم ذلك...ألا تعلم!؟.. ابحث عنهم في «المعرفة» تجدهم.

❖ بين الشمال والجنوب... والشرق والغرب... والماضي والحاضر، هل يتغير الشيطان..؟!.

بكل الألوان والموضات حاضر دائمًا.

❖ من ترشح من شياطين الأنس لينافس شيطان الجن؟!

دوليًا أرشح وزير الدفاع الأمريكي «رامسفيلد»، عربيًا اتركني ساكت.

❖ هل وقعت عقد صلح دائم أم هدنة مؤقتة مع شيطانك؟!

الشيطان مثل إسرائيل لا يمكن أن يفي بعقد أو هدنة، بيني وبينه حرب استنزاف.

❖ هل تستخدم أسلوب المراوغة والمخاتلة معه، أم تحبذ المواجهة؟

كلاهما.

❖ شيطانك هل كان حاضرًا عند الاجابة على هذه الأسئلة؟

كان حاضرًا فخنس، واجتهدت شياطين المعرفة بمساعدته فعاد واقفًا على قدميه، فكلما قلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ظهر لي سؤال شيطاني آخر■

- لماذا أوّلت «ضربَ» بالعنف؟!
- هل المرأة شيطان؟
- الشيطان يبكي
- إلا عبادك المخلصين

سبورة

ردًا على تعقيب «جامعة العلوم التربوية تسبح عكس التيار»

بل تسبح معه

علي ذيب الأكلبي - الرياض

حول رؤى مستقبل كليات المعلمين التي أوردها الكاتب إبراهيم عسيري في العدد ١٢٩ من مجلة المعرفة تعقيبًا على ملف كليات المعلمين أود أن أقدم عدّة رؤى:

الرؤية الأولى: أن تنتقل وكالة كليات المعلمين كما هي من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة التعليم العالي بهويتها الحالية. وذلك لأن نص القرار يقضي بالنقل وليس الإلغاء أو التغيير. وهذا النقل يخدم العملية التعليمية والتربوية. وليس كما علق الكاتب بقوله: «مكانك سر» وذلك لأمرين:

- لكي تتفرغ وزارة التربية والتعليم بشكل تام لمهمتها الأساس وهي التربية والتعليم للناشئة في التعليم العام.
- لأن المكان الطبيعي لكليات المعلمين في وزارة التعليم العالي باعتبار تصنيفها ضمن التعليم العالي.

الرؤية الثانية: جامعة العلوم التربوية هو مقترح تمليه الحاجة إلى مواكبة التوسع والتطور النوعي والكمي الذي تشهده بلادنا الغالية في شتى المجالات بما فيها التوسع في إنشاء الجامعات لمقابلة النمو السكاني والحاجة القائمة في البلاد. ولذلك وعلى سبيل المثال فقد تم إنشاء أول جامعة متخصصة للبنات في الرياض.

وكون مقترح تحويل كليات المعلمين إلى جامعة للعلوم التربوية قد أعد حوله وكيل الوزارة لكليات المعلمين دراسة علمية، فإن هذا أدعى للتفكر والنظر في نتائج هذه الدراسة التي تدل على وجود بحث علمي أصيل للخلوص بتوصيات قابلة للتطبيق حول جدوى استمرار كليات المعلمين بشكلها الحالي أو تحويلها إلى جامعة للعلوم التربوية لمزيد من التطوير والتحسين.

ثم إن هذه الرؤية لم تطرح في استفتاء عام حتى يستطيع الأخ إبراهيم عسيري معرفة أن الذي يؤيدها بقوة هو وكيل الوزارة لكليات المعلمين فقط.

❖ وفيما يتعلق بما خلص إليه الكاتب تجاه هاتين الرؤيتين من أن «الحاجة إلى بقاء هوية هذه الكليات ورسالتها لم تعد ماسة»، وما دلل عليه من إغلاق بعض الأقسام للاكتفاء التام فيها، أقول:

إن ما قامت به وكالة الوزارة لكليات المعلمين في هذا المجال هو بناء على العلاقة الوثيقة والتنسيق المستمر بين وزارة التربية ممثلة في وكالة التعليم وبين وكالة كليات المعلمين حول مقدار الحاجة من المعلمين في تخصصات معينة سنويًا. وإغلاق هذه الأقسام هو مؤقت بمعنى تجميد القبول إلى حين وجود حاجة من جديد. وأحسب أن هذه ميزة لكليات المعلمين لم تقدر على تنفيذها الجامعات. فالكليات معنية بسد حاجة الوزارة من المعلمين في المرحلة الابتدائية لجميع التخصصات ولا تعد كوادر في تخصص معين إلا بعد التنسيق مع الوزارة حول العدد الذي تحتاجه سنويًا في كل تخصص. وبناء على ذلك تحدد عدد الطلبة المقبولين في كل تخصص سنويًا، بمعنى أن كليات المعلمين تعد بناء على حاجة سوق العمل الذي أنشئت من أجل سد حاجته فقط وليس لتخريج عاطلين عن العمل.

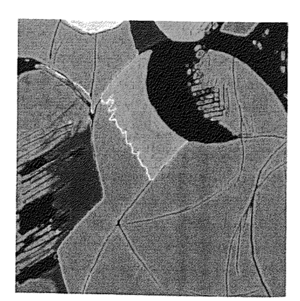
❖ وفيما يتعلق بالقول إن كليات المعلمين عندما شعرت أنها أوشكت على نهايتها انتفضت أو انتفض المسؤولون فيها وقاموا باستحداث أقسام تعد للتدريس فيما فوق المرحلة الابتدائية في عدة تخصصات ليبينوا أن الحاجة إلى الكليات ما زالت ماسة، وأن ذلك خروج بالكليات عن هدفها الأساس، أقول:

- كيف عرف الأخ إبراهيم عسيري أن الكليات

أوشكت على نهايتها ومن صرح له بذلك؟! وهل لديه من الصلاحيات ما يكفي ليقول إنها أوشكت على نهايتها. علمًا بأن القرار الصادر يقضي بنقلها وليس بإنهائها أو إلغائها أو تذويبها في جهات أخرى؟!

- الاتهام المبطنّ المتمثل في أن المسؤولين في كليات المعلمين كانوا في غفلة أو تراخ عن أداء رسالتهم، ثم انتفضوا عندما أحسوا بقُرب انتهاء الكليات. اتهام يحتاج إلى دليل. ولا يقبل إلقاؤه جزافًا دونما دراسة علمية أو بحث صحيح يخرج لنا نتائج غير قابلة للشك. ثم إن العاملين في كليات المعلمين من مسؤولين وتنفيذيين هم جزء من العاملين بالدولة، وانتقال تبعية الكليات ليست قضية شخصية حتى ينتفض لأجلها أناس معينون خوفًا على أنفسهم، بل هي قضية وطنية بحتة يراعي ولاة الأمر عند اتخاذ القرار بشأنها مصلحة الوطن والمواطن على حد سواء.

- اضطرت كليات المعلمين إلى التوسع في إعداد المعلمين ليشمل ذلك بعض (وليس كل) التخصصات في المرحلة ما فوق الابتدائية، وذلك لسد حاجة الوزارة في تلك التخصصات بالذات عندما لم تجد الوزارة حاجتها الكافية من خريجي الجامعات في تلك التخصصات. وهي لا تخرجها عن مسارها بل هي امتداد لرسالتها السامية، حيث إن خريجي هذه الكليات قد أعدوا بشكل أساس لمهنة التعليم. ولذلك فإن هدف توفير المعلم المتخصص الكفء هو الذي تعمل كليات المعلمين عليه.



سبورة

❖ وحول انصراف الكليات إلى إقامة دورات تدريبية ومنح دبلومات مختلفة لا دخل للمعلمين بها. وأن الهدف «تأهيل المتقدمين للدراسة في تخصصات جامعية لا علاقة لها بمهنة التعليم كالهندسة والطب. وأن الوزارة تمنح درجة دبلوم عال في القراءات وهو (كما يقول الأخ إبراهيم عسيري) خروج عن المسار». أقول:

- يوجد في جميع كليات المعلمين مراكز تعنى بعملين هامين الأول التدريبي، وهو موجه للمعلمين الذين هم على رأس العمل، ومن خلاله يتم إكساب الملتحقين به بعض المهارات اللازمة في مجال عملهم الحالي أو المستقبلي وذلك في مثل: دورات النشاط الطلابي، ودورات مديري المدارس، ودبلوم مصادر التعلم، والدبلوم العالي في القراءات القرآنية التي يلتحق بها المتدرب بناء على ترشيح إدارة التعليم له.

- خدمة المجتمع، وهذه رسالة جميع مؤسسات التعليم العالي التي يجب ألا تنغلق على نفسها وتقصر عملها وفائدتها على طلابها فقط، بل يجب أن تكون مصدر إشعاع وتطوير وتثقيف للمجتمع المحيط، ولذلك فقد أنجزت كليات المعلمين في هذا المجال العديد من الدورات والدبلومات في مختلف التخصصات الموجهة لمختلف شرائح وتخصصات المجتمع. وهذا الدور إيجابي يصب بشكل أساسي في مصلحة الوطن والمواطن، ونشكر كليات المعلمين على ذلك، ولو قام الأخ إبراهيم عسيري بعمل دراسة علمية على مسميات الدورات وفئات المستهدفين وأعداد المخرجات ودرجة التطور التي حصلت بعد هذه الدورات في مجالي التدريب وخدمة المجتمع لوجد أن ما حققته كليات المعلمين في هذا المجال هو جهد موفق وعمل كبير يستحق التقدير.

❖ وفيما يتعلق بعدم تعيين ما يقارب من خمسة آلاف خريج من كليات المعلمين العام المنصرم، وأن ذلك مؤشر على أن الجامعة المأمولة (جامعة العلوم التربوية) سيكون مصير خريجيها عاطلين عن العمل وخصوصًا بعد أن سحبت وزارة التربية ميزة التعيين الفوري، أقول:

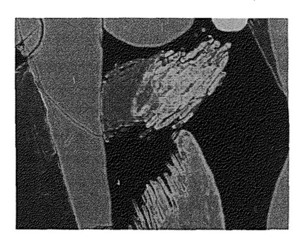
- أرجو أن يزودنا الأخ إبراهيم عسيري بالمصادر التي استند إليها للحصول على المعلومات والأرقام التي أوردها في تعقيبه، خاصة وأنها ذات

صلة بموضوع هام.

- وزارة التربية هي جهة مستفيدة، وتطلب من وزارة المالية توفير العدد اللازم من الوظائف التي تحتاجها، ثم تطلب من وزارة الخدمة المدنية التعيين عليها سواءً بما ترفعه وزارة التربية من أسماء خريجي كليات المعلمين أو بما يتوفر من وظائف بعد استيعاب خريجي كليات المعلمين، ويعلن عنها لخريجي الجامعات للمرحلة ما فوق الابتدائية. وكذلك فإن مسؤولية التعيين هي متعلقة بمدى توفر العدد الكافي من الشواغر وإمكانية التعيين عليها. وعدم التعيين لا يعني عدم الحاجة، بل ربما لعدم توفر شواغر كافية لسد الحاجة. ولذلك فإن وزارة التربية لم يسبق لها أن أعلنت عن عدم حاجتها لأي عدد من خريجي كليات المعلمين لأن القبول في كليات المعلمين يتم بناء على ما تطلبه وزارة التربية حسب حاجتها في جميع التخصصات.

❖ وفيما يتعلق بأن الوزارة سحبت ميزة التعيين الفوري. أقول إن ذلك لا يغير من أن وجود جهة متخصصة تعنى بتخريج كوادر لهذه المهنة مطلب ضروري. ثم إنني أود أن يحطينا الأخ إبراهيم علمًا كيف عرف أن وزارة التربية قد سحبت ميزة التعيين الفوري لخريجي الكليات؟! وفي حال أن الوزارة فعلت ذلك فعلاً فإن هذا سيكون مجالاً أكثر موضوعية للحكم على مدى مناسبة مخرجات كليات المعلمين لمهنة التعليم عند دخولهم مع خريجي الجامعات في اختبار القدرات الذي بدأت الوزارة مؤخرًا في تطبيقه (والميدان يا حميدان).

❖ وحول القول «إن خصوصية التأهيل لمهنة التعليم فقط يضر بمصلحة الخريجين الذين تخرجوا



لمهنة التدريس فقط، ولذلك فإن الخريج إذا لم تتح له فرصة التدريس سيكون عاطلاً، وبذلك فتخريجه هدر للجهد والمال، وأنه لا يسمح له بمواصلة دراسته العليا في مجاله»، أقول:

- إذا سلمنا بعدم مناسبة أن توجد مؤسسة تعنى بالتخريج لمهنة التعليم، فهل ينسحب ذلك على التعليم الفني والتدريب المهني، والطب، والهندسة وغيرها من المهن الأخرى؟! ثم إن الحاجة إلى المعلمين مستمرة ما دامت المدارس في ازدياد وما دام المعلمون لم يخرجوا عن كونهم بشرًا يموتون ويتعرضون لحوادث تقعد عن العمل ويبلغون السن النظامي للتقاعد.

- كذلك فإن المدارس الأهلية لم «تسعود» وظائف المعلمين لديها حتى الآن، ولذلك فإن الحاجة ستبقى قائمة.

ثم إن الدراسات العليا ليست شرطًا لمهنة التعليم الابتدائي، وإلا فإن بقية المهنيين في كل المجالات يحتاجون إلى دراسات عليا في عملهم! ومع ذلك فإن المجالات المناسبة مفتوحة في تخصصات كثيرة ذات صلة مباشرة أو ثانوية بالتعليم العام والتعليم الابتدائي بشكل خاص مثل التربية الخاصة، وتكنولوجيا التعليم، والتربية بكل مجالاتها.

الرؤية الثالثة: التي أوردها الكاتب والتي يسوّق لها حول «تذويب هذه الكليات في الجامعات بحيث تضم كل كلية لأقرب جامعة» والتي يزعم الكاتب أن معظم أعضاء هيئة التدريس بالكليات يؤيدونها. ولا أرى ما مصدر المعلومة التي أوردها حول هذا التعميم؟! أقول:

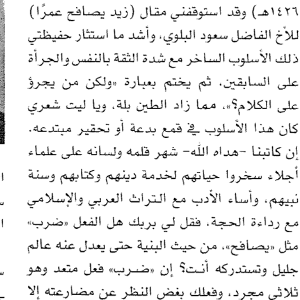
- لم يتم إجراء دراسة أو استفتاء حول مرئيات أعضاء هيئة التدريس في كليات المعلمين حول مستقبل الكليات والتي أحسب أن النتائج في حال عملنا لن تكون كما ذكر الكاتب.

- إن مصير كليات المعلمين ليس مرهونًا بآراء شخصية ورغبات خاصة، بل هو متعلق بقرار الدولة والتي لم تقدم على عمل حتى تتأكد من أنه هو الخيار الأفضل في الحاضر والمستقبل. وفي ظني أن المسؤولين عن النشء والتعليم العام لن يغامروا بمصيره ليترك في يد مخرجات تم إعدادها لأي عمل إلا مهنة التعليم.

تعقيبًا على مقال «زيد يصافح عمرًا»

لماذا أوّلت «ضربَ» بالعنف؟!

نورة الضبيب - بريدة



لقد قرأت مجلة المعرفة العدد ١٢٤ (رجب ١٤٢٦هـ) وقد استوقفني مقال (زيد يصافح عمرًا) للأخ الفاضل سعود البلوي، وأشد ما استثار حفيظتي ذلك الأسلوب الساخر مع شدة الثقة بالنفس والجرأة على السابقين، ثم يختم بعبارة «ولكن من يجرؤ على الكلام؟»، مما زاد الطين بلة. ويا ليت شعري كان هذا الأسلوب في قمع بدعة أو تحقير مبتدعه.

إن كاتبنا -هداه الله- شهر قلمه ولسانه على علماء أجلاء سخروا حياتهم لخدمة دينهم وكتابهم وسنة نبيهم، وأساء الأدب مع التراث العربي والإسلامي مع رداءة الحجة. فقل لي بربك هل الفعل «ضرب» مثل «يصافح»، من حيث البنية حتى يعدل عنه عالم جليل وتستدركه أنت؟ إن «ضرب» فعل متعد وهو ثلاثي مجرد، وفعلك بغض النظر عن مضارعته إلا أنه ثلاثي مزيد تعدى بالمفاعلة، فكان الأولى على الأقل أن تختار فعلاً يقوم مقام الفعل الذي انتقدته، مثل: «شكر زيد عمرًا» لتظهر براعتك في الفن الذي أخفقوا فيه.

أضف إلى ذلك أن استخدام علمائنا لفعل «ضرب» لفظيًا أهون من الفعل «طعن» الذي استخدمته أنت معنويًا عندما طعنت في نوايا من سبقوك، وأنهم أرضعوا الناشئة بهذا الفعل القتل والعنف والدمار! وهذا في رأي الكل أشنع وأفظع.

وقد أوّلت «ضرب» بالقتل والعنف والدمار، فلماذا لم تحسن الظن وتؤوله بالضرب المعنوي: «ضرب زيد عمرًا مثلاً للصدق والوفاء»، أو «ضرب زيد عمرًا تأديبيًا»؟! أو لماذا جعلت زيدًا وعمرًا رجالاً، ولم تجعلهم أطفالاً؟!

عندما تلوم من ورَث هذه الجملة دون تغيير وتتهمه بالجرأة، هل ألفت أنت كتابًا إثرائيًا لمقرر القواعد وأضفت لمساتك البيانية، لتعالج خطأ من سبقوك بأدب طالب العلم الحريص على الصالح العام لترى هل تقابل بالحرب أم بالقبول والتأييد؟



إن ثقافة الحفظ والتلقين التي ورثناها، والتي سخرت منها ونعق بنقدها الكثيرون ممن لم ينظروا في تراثنا النظرة المنصفة، هي ثقافة أمة نهضت قرونًا عديدة وكتب لها من الخلود ما لم يكتب لأمة أخرى، وثقافة نبي قبل «اقرأ» بالتلقين، ولم يكن بقارئ فغير مسيرة التاريخ، وبنى جيلاً مارس مهارات التفكير ممارسة عملية. وليس أدل على ذلك من تلك الدراسات الحديثة لإعجاز القرآن والحديث النبوي وما مارسه الصدر الأول من صنوف التفكير التي أهلتهم للتأليف الموسوعي والتصنيف الذي بهر كثيرًا من باحثي عالمنا الإسلامي وغيرهم من المستشرقين.

إنني إذا أعطيت تلميذًا مهارات تفكير دون رصيد من علم يحتويه قلبه وعقله، فسوف يجادل ويفكر من فراغ بدون حجة دامغة أو برهان واضح، لأن هذا الطالب يعاني خواء فكريًا.

أخي الكاتب الكريم أستميحك العذر فقد شددت في الخطاب، لكن يعلم الله أني لم أقصد إلا الإصلاح ما استطعت، وأهلاً بك على قارب التواصل في بحر عطاء مجلتنا. ■

سبورة

هل المرأة شيطان؟

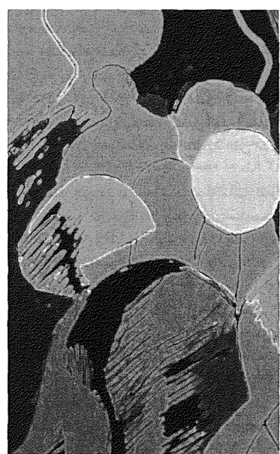
أسماء العبودي - الرياض

لا نستطيع أن ننكر مدى تأثير الموروث الثقافي والديني في تكوين صورة المرأة في الأذهان.. فالمرأة عنوان كبير لرموز كثيرة.. ففي الوقت الذي يرمز لها في مخيلة البعض على أنها صورة أو رمز آخر للشيطان والشر والخطيئة نجدها على النقيض في أذهان أخرى حيث تبدو رمزًا للجمال والحب والعطاء.

فالموروثات الشعبية من الأمثال والأقوال تحديدًا تناولت المرأة ووصفتها بأنواع النعوت والأوصاف وأكثرها سلبية، حيث إن كثيرًا من هذه الأمثلة لم تكن مقتصرة على المجتمعات العربية بل كانت منتشرة في بلدان لها حضارات عريقة كأوروبا واليابان ومنها:

- النساء حبائل الشيطان.
- المرأة كالحرباء تتلون كيفما تشاء.
- ما لا يقدر عليه الشيطان تقدر عليه المرأة.
- الشيطان يحتاج إلى عشر ساعات ليخدع رجلاً والمرأة تحتاج إلى ساعة لتخدع عشرة شياطين.
- المرأة شيطان يدخلك الجحيم من أبواب الجنة.

وقد أصبحت هذه الصورة مثارًا للتندر والفكاهة.. فتجد أيضًا اليهودي يبدأ صباحه بشكر الله على أنه لم يخلقه امرأة.. وبعض الأديان السابقة أيضًا جعلت صورتها رمزًا للشر والخطيئة وانتشار البلاء. ورسخت الموروثات الثقافية هذه النظرة على مدى الأزمان وتعاقب الأجيال على الرغم من أن الثقافة القديمة التي أوجدت الأبجدية والثورة الزراعية قد حملت للثقافات الجديدة تجسيدًا آخر للمرأة، حيث نجد أن آلهة الخصوبة هي عشتار المرأة، وفينوس آلهة الجمال، وأفروديت آلهة الحب وغيرها. ومما لاشك فيه أن ارتباط المرأة بقصة نزول البشر من الجنة قد زاد في ترسيخ هذه الصورة الضبابية. فالمرأة في هذه القصة هي من تسبب في أكل آدم الفاكهة المحرمة فعاقبه الله وحواء بالنزول إلى الأرض ولكنهم تناسوا أن ما ذكر في القرآن عن هذه الحقيقة يخالف تمامًا صحة هذه القصص والأساطير ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾. فالشيطان هنا كان حاضرًا مع الاثنين ولم يكن مع حواء وحدها! ولا يجب هنا أن نغفل فالصراع الدائم بين الخير والشر منذ بداية الخليقة يجعل الفرد يرغب دائمًا فيمن يعلق عليه أخطاءه فالبشر يقتلون ويغضبون ويرتكبون المعاصي وهناك كل يوم أخطاء جديدة. وفي النهاية نلقي باللوم على الشيطان بتكرار «الشيطان شاطر»، «ساعة شيطان»، «حسبي الله على الشيطان». ولست هنا بصدد الدفاع عنه فالشيطان يجري فينا مجرى الدم في الجسد ولكن الله خلق لنا العقل وميزنا به وحصننا بالدين ولكننا في لحظة غفلة نعفي عقولنا ونستسلم لشهواتنا ونرتكب الخطايا باسم الشيطان. فلماذا لا نقوي أسلحتنا بالإيمان لنسيطر على



محاولات الشيطان لإغوائنا وانتهاكنا.

وعودًا لصورة المرأة التي أجدها مشوشة جدًا وغير واضحة في الأذهان ومليئة بالتناقض الدائم. فالمرأة التي وصفت أنها الشيطان تجسد أعظم صورة في الكون.. إنها صورة الأم.. بما تحمله من معانٍ سامية وتضحية وإيثار ومحبة.

إن هذا التشويش الواضح على هذا الكائن الجميل يجعل قدر المرأة المستقبلي منوطًا إلى حد كبير بالأسلوب الذي نفصلها به. وحين تستعيد مكانتها في اللاشعور نعود لنلمعها بقولنا: «وراء كل عظيم امرأة». ويبدو هذا القول قد فقد قيمته فهو علاوة على أنه يستخدم من أجل إيهام المرأة أن نجاح الرجل يعود إليها. فإنه ينتقصها كإنسان! المرأة شريك للرجل الآن وحققت نجاحات سواء به أو بدونه ومن الأولى أن تكون إلى جانبه لا خلفه.

وفي الختام.. إن ما يفعله الآن العالم الاستهلاكي بهذا الرمز المقدس ينمط دور المرأة في صور ورموز تشكل قوالب هزيلة لنظرة سلبية للمرأة وجعلها فقط رمزًا للغواية والبغاء! فجسدتها السينما العربية بأفلام تحمل اسم «الشيطان امرأة»، و«الخطيئة امرأة». كما صورتها الأغنيات بشكل الراقصة والماجنة التي تثير العقول والألباب. ■

جواز السفر

عبدالله موسى بيلا - مكة المكرمة

امنحوا قلبي جواز السفر   لبلاد الأمل المنتظر
لقلوب بالهوى مشرقة   ضاحكات في وجوه الكدر
مقبلات رغم إدبار المُنى   يانعات في يباس الشجر
أطلقوا قلبي ففي أجنحتي   ذكريات من سماء العمر
لم تزل أنجمها وامضة   في ظلام الأفق المنحدر
ولياليها مداد غدق   بقصيد الشاعر المنكسر
لي فؤاد مغرم مغترب   باحث عن نصفه المستتر!!
لم يزل مُذ ذاق حبًا وجوى   سندبادًا هائمًا بالسفر
يقطع الآفاق في أسطورة   حلوة تغزو عقول البشر
تطأ الغيم ابتهاجًا ورضا   في سرور الفارس المنتصر
وعليها من فضاء حلةٌ   غُزلت في سمكه بالفِكَر
امنحوا قلبي جواز السفر   لطريق في الهوى مختصر
لجنان لم تطأها قدما   عاشقٍ صَبٍّ بها مفتخِر
واجعلوا قلبي فيها ملِكًا   فوق عرش بالسنا مؤتزِر

سبورة

الشيطان يبكي

سناء كامل شعلان - الأردن

ليت النبي سليمان العظيم عليه السلام كان قد حبسه في قمقم نحاسي، كالذي قرأنا عنه في قصص ألف ليلة وليلة. لو فعل ذلك لاستطاع الآن أن يعود إلى سجنه، فذلك السجن سيكون رحيمًا به، شفيقًا عليه، ولن يشعر فيه أنه مهدور القيمة، غير مهيب الجانب، وإن كانت العودة إلى سجنه تبدو هي الأخرى أمرًا بعيد المنال.

ماذا حدث للبشر؟ إنه الشيطان فكيف يغدو في أيديهم لعبة خرقاء ترجو الخلاص والرحمة.

«ألم تسمعوا عني؟! أنا الشيطان، أنا عدو الرب، أين جبروتي؟» قال الشيطان بصوته اللئيم الخشن، فارتجت الأرض، واضطربت الأمواج، ثم استكان صوته، وغاب في موجة أسطورية من البكاء.

تساقطت دموع الشيطان كسفًا من النار على الأرض، ووصل صوت بكائه وشهيقه إلى عنان السماء، الملائكة أمرته بحزم أن يكف عن إزعاجه وحذرته من كسف النار التي أحرقت الكثير من الأماكن في الأرض، لكن الشيطان استمر في بكائه النادر، تمنى من قرارة نفسه، وكاد يتمنى من أعماق قلبه إلا أنه تذكر أن لا قلب له، أن يجد أحدًا يرثي له، هو في حاجة إلى الحب، نعم الشيطان لأول مرة عبر تاريخه الوحشي يحتاج إلى الحنان، حتى إنه فكر في أن يقبّل أعتاب عرش الرحمن، ويطلب مغفرته، ويقلب بذلك تاريخ الديانات كلها، وليجد البشر بعده شيطانًا بمثل نشاطه وإخلاصه لقضيته، ولكنه تذكر أن الشهب في انتظاره في السماء الأولى، ولن يستطيع أبدًا أن يدنو من السماء.

بعد ساعات من بكائه المتصل أرسلت فرقة عسكرية دولية لمكافحة الشغب، ومنعته إلى الأبد من البكاء، وهددت بالزج به في أبشع أنواع المعتقلات إن عاد إلى جريمة البكاء التي تحرق الأرض، وكتبت في تقريرها: «إن عملية إقناع الشيطان قد تمت بطريقة سلمية وحضارية». عندما عجب الشيطان من اختلاف المصطلحات من عصر إلى آخر. ولكن هيئة الأمم المتحدة كانت رحيمة معه إذ سمحت له بأن يشعر بالأسى كما يشاء، بل أبلغته رسميًا بحقه بالحزن حتى الموت.

كان شيطانًا رجيمًا في زمن النبي سليمان العظيم، كان يوسوس في صدور الناس، ويرهقهم فتنة وشرًا، وأخيرًا ظفر به سليمان فحبسه لمليون سنة بين لجج البحر وزبده، عانى الأمرين في حبسه، وانتظر ثانية فثانية: ليخرج من سجنه، ويمارس تسليته الوحيدة، ولكنه الآن يتمنى لو أن سليمان موجود ليعيده إلى سجنه، فذلك المكان المائع المضطرب أرحم به من البشر.

كان شيطانًا عندما كان البشر بشرًا، لكنه الآن يجهل ماسيكون بعد أن غدا البشر شياطين. كان يتوقع أن نشاطه الشرير المكبوت لمليون سنة سيفجر الدنيا خبثًا وشرًا، ولكنه كان مثل عيدان كبريت في حقل مفرقعات نارية، الدنيا كانت تمور بخبثها وشرها، حاول جاهدًا أن يجد له مكانًا في عالم الشر، لكنه بدا تلميذًا غرًا في جامعة عريقة، لقد لها الناس به، وحار في ألاعيب شرهم، وعجب: «أنى لهم كل هذا



الشر، وهو لم يلقنهم إياه؟!!».

كاد يموت من الجوع في ذلك العالم، ولم يجد من يشفق عليه، عزاؤه الوحيد أن لا أحد من الجائعين يجد أحدًا ما يشفق عليه ويرحم جوعه وعوزه. أحدهم عرض عليه أن يستثمر اسمه الشرير المشهور في مشروع، إذ أراد أن يفتح تحت اسمه مقهى شهيرًا للجنود الذين يعسكرون في مكان ما في العالم، ويلهون بجماجم الأطفال الأبرياء، ومع أنه وافق على ذلك إلا أن ذلك البشري اللعين قد خدعه، ولم يعطه شيئًا مقابل استثمار اسمه، بل إنه كاد يرسله إلى مكان خلف الشمس كما قال له. وتساءل الشيطان: هل وصل البشر إلى الشمس أيضًا؟!

شعر الشيطان أن زمنه قد ولى من دون رجعة، وقد جاء زمن البشر الشياطين، تذكر أمجاده، وكاد يبكيها، ولكنه تذكر في الوقت نفسه دموعه الملتهبة وما ستجنيه عليه من كوارث.

تساءل من سيكون بعد الآن؟ شعر أنه ولأول مرة في حياته يحب سليمان العظيم؛ لأنه حماه زمنًا طويلاً دون أن يدري من أولئك البشر الذي يشارفون على الوصول إلى شفير جهنم، وشك في أنهم سيسمحون له بأن يقودهم إلى هناك كما تذكر الكتب السماوية، وكما تعهد للرب بوقاحة في الزمن الغابر.

حسنٌ أن بعض البشر باتوا يعبدونه، ولكن ليس خوفًا منه، ولا أيضًا اعترافًا بفضله، مع أنه لا يذكر أن له فضلاً عليهم، ولكن حبًا في لطفه وإعجابًا في رقته مقارنة بفظاظتهم وقسوتهم، تمنى لو أنه يستطيع أن يحرق أولئك الذين يعبدونه؛ لأنه رغم كل شيء يكرههم، ولا يستطيع أن يهبهم غير الكره. في زيارة سريعة قام بها لهم عجب من تلك السلوكيات العجيبة والشريرة التي سبقوه إليها، خمّن أنهم تفوقوا عليه. وكاد يطريهم لولا أنهم طردوه، ورفضوا زعامته، وأعلنوا أنهم قادة الشياطين في هذا الزمن. ■

سبورة

«العيد أقبل»

شعر: عبدالله وعدالله - الموصل

العيدُ أقبل في قشيب ثيابه ... مَرِحًا يفيض السعد من أجنابه

يستقبل الأطفالُ يومَ قدومه ... بالبشر والترحاب، يا مرحى به

إلا صبيًا في مدارج بيته ... أودى الشتاء بركنه وببابه

يبكي بدمع ساخن متحدّر ... من جفنه ويئن من أوصابه

يرنو بطرف في الفضاء فلا يرى ... إلا الشقاء مطوّقًا برحابه!

يتنفس الصعداء ملء ضلوعه ... حزنًا يطيش بعقله وصوابه

في كل منعطف هنالك صبيةٌ ... كاللؤلؤ المنثور من أترابه

من سار كالطاووس بين لداته ... يزهو بلقيته ووشي ثيابه

أمّاه أين أبي؟ وأين ملابسي؟ ... أمّاه أين الكعك؟ ما أحظى به!

فرثت لحالته ولوعة بؤسه ... وبكت لعبرته وفرط عتابه

وتنهدت ملء الجوانح حسرةً ... وانهلّ دمع راثيًا لمصابه

أبنيَّ، غادرنا أبوك بنجوة ... تنأى به عن داره وصحابه

إن عاد من هذا الرحيل فربما ... تحظى بقبلته ولين جوابه

ستلذّ بالحلوى وتلبس حُلّةً ... سُعُدًا مطرّزة غداة إيابه

إلا عبادك المخلصين

فاطمة عبدالله العليان - عمان

لا شك أن الصراع بين بني آدم والشيطان سيظل دائرًا إلى يوم الدين وتلك سنة كونية وإرادة إلهية.. ولحكمة يعلمها الله عز وجل بحيث تبدأ العداوة بين بني آدم والشيطان وبدأت عندما نطق إبليس - كما جاء في القرآن الكريم: ﴿رب أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ ولحكمة يعلمها الله عز وجل أجابه: ﴿فإنك من المنظرين إلى يوم يبعثون﴾ فشاءت إرادة الله بقاء إبليس إلى يوم يبعثون فأفدح إبليس عن نواياه الخبيثة وأهدافه الشيطانية: ﴿رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، فحدد إبليس هنا مهمته في الأرض وهي غواية بني آدم وإزاغتهم عن طريق الحق شاحذًا كل همة ووسيلة ومستخدمًا كل دهاء وحيلة، فأعلن حربًا ضروسًا لا صلح فيها ولا هوادة ولن ينجو منها إلا عباد الله المخلصون الذين بلغوا المراتب العلا بإخلاص النية في العبادة وجملوا نفوسهم بالإيمان واليقين بوعد الله جل جلاله.

في سبيل بلوغ هدفه الدنيء يبقى الشيطان ملازمًا للإنسان كظله، فهو يتحين كل فرصة تسنح له ليبث سمومه ويحقق مراده وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»، أي أن الشيطان من شدة إغوائه وكأنه لا يفارق الإنسان كالدم فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة.

وأما عن طرق الشيطان ليضل الإنسان عن سواء السبيل فهي عديدة، فالشيطان لا يعدم وسيلة في تزيين الباطل وتجميله بعين الإنسان ليراه بصورة حسنة طيبة فلا يستنكر فعله ولا يستهجنه رغم أن الباطل سمة القبح، فعمل الشيطان هنا كالسحر فيظهر الباطل حقًا والحق باطلاً.

ومن صور هذا التزيين تسمية المعاصي بأسماء حسنة تستسيغها النفوس وتقبلها بغية إخفاء شر ارتكابها وعظمة عقابها كمثال على ذلك إطلاقهم على الربا اسم الفائدة وعلى التحرر من القيود المشروعة حرية، وعلى الغناء غذاء الروح...إلخ، وعلى العكس من ذلك تمامًا فالحق الذي يعلوه ضياء ونور قد عمد الشيطان إلى تسميته بأسماء منفرة فأطلقوا على الملتزم بالدين رجعيًا وعلى الحجاب قيدًا لحرية

المرأة. وإنك لترى أناسًا غافلين بداخلهم بصيص من نور يميل بهم إلى الخير يريدون التوبة ولكنهم يخافون سخرية من حولهم واتهامهم بالتخلف والرجعية، فهذا من فعل الشيطان أعاذنا الله منه فهو يصد الإنسان عن رؤية الحق وينشئ سدًا منيعًا يحول بينهما.

كما أن الشيطان يعلم يقينًا أن نقطة ضعف الإنسان رغباته وأهواؤه ليؤثر عليه شيئًا فشيئًا، فأهواء البشر كالشيطان خير عون ليصل الشيطان إلى هدفه فهو يستخدم أسلوب التدرج في الإضلال خطوة بخطوة، فالإنسان بطبعه يستهين بصغائر المعاصي التي لا تلبث وأن تعظم بدون أن يشعر الإنسان ليجد نفسًا غارقا فيها تائهًا عن منفذ النجاة ويظل حائرًا بين صوت الفطرة يدعوه إلى الخير ووسوسة الشيطان تدعوه إلى الشر.

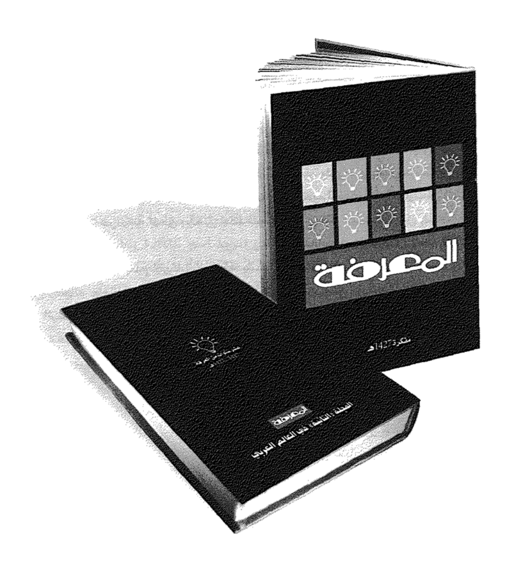
وإن تساءلت عن مداخل الشيطان إلى الإنسان فأعتقد بأنه لا يألو جهدًا في التربص بالفرص التي تحين أمامه والتي يسهل فيها تلاعبه بإرادة الإنسان كالجهل وقلة الإيمان والإرادة الضعيفة، لكن الجهل منفذ عظيم لدخول الشيطان، فالجاهل لا يعلم على أي وتر سيعزف الشيطان فلا يقدر على رد مكائده ولا يعلم من أي مدخل يأتيه فيسد الطريق أمامه. ولا يعلم الجاهل إن كان على خير أم هو على شر. ولا نبالغ إذا اعتبرنا الجهل من أعظم مداخل الشيطان فمنه تتفرع كل المداخل كالغضب والكبر وحب الدنيا وطول الأمل والرياء والجزع وسوء الظن واتباع الهوى...إلخ. فلو علم الإنسان مدى قبح هذه الصفات والأعمال لعمل جاهدًا على تجنبها ليأمن مكر الشيطان ولكن جهله كان وبالاً عليه فهو صيد ثمين وفريسة سهلة لشباك الشيطان.

ولكن.. هل قُدر للإنسان أن يجلس مكتوف اليدين عديم الحيلة أمام ألاعيب الشيطان ومراوغته؟ بالطبع لا.. فقد اعترف إبليس بلسانه عن عجزه أمام العباد المخلصين فالشيطان يجد في المؤمن المخلص حصنًا منيعًا لا يقوى على اقتحامه، إذن كيف يسمو المسلم إلى هذه المرتبة العالية في الإخلاص؟.. الجواب يبينه لنا الله عز وجل، فبتحقيق العبودية لله وحده والمحافظة على الصلوات والالتزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية والاستعاذة بالله العظيم من الشيطان وكثرة الطاعات والمحافظة على الأذكار وحفظ البصر واللسان عن كل قبيح تصل مرتبة الإخلاص. كما أن الرسول الكريم بين لنا أن القرآن يحتوي على بعض الآيات والسور المعينة التي تصرف عن المسلم أذى الشيطان ومكيدته كسورة البقرة والمعوذتين وآية الكرسي وقراءة عشر آيات من سورة البقرة كل ليلة وآخر آيتين من سورة البقرة.

ختامًا فقد علمنا أن بلوغ درجة الإيمان. ثم اليقين بإذن الله والمحافظة على قراءة السور والآيات المطهرة التي تخص المسلم هي سلاح للمؤمن يشهره في وجه الشيطان فيقع ذليلاً متصاغرًا عاجزًا عن النيل من عباد الله المخلصين الذين تيقنوا بوجود الله ونصرته لهم ومذلة الشيطان وقلة حيلته أمام قوة الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ صدق الله العظيم.

ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ■

سبورة



مفكرة المعرفة لسنة ١٤٢٧هـ

هدية المعرفة للمشتركين



ياسر الزعاترة :

فشلت في أن أصبح كهربائي سيارات!!



سأعود لدفتري وسبورتي



محروس غبّان :

الأمـيّـة فـي العالـم العربي.. رجل متزوج بامرأتين!!



حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .

وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.

حسنًا . . وعماذا هو يتحدث إذًا، عن إخفاقاته؟ ربما!

الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .

«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.

ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.

ش: شهادة.

ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!

وضيف هذا العدد هو : الأستاذ ياسر الزعاتره/ الباحث والكاتب الصحفي المعروف.



ياسر الزعاتره :

دخل الحرّاس عندما صرخ ياسر عرفات علي!!

- في العام ٧٧ ميلادية عندما أنهيت المرحلة الإعدادية وكان الفقر في مخيم اللاجئين - قريبًا من قلب العاصمة الأردنية عمان - هو رفيق الطفولة والصبا، كان على الفتى أن يفكر بمسار يساعد الأهل على تجاوز حالة البؤس والفقر، فيما كانت قروشه التي يجنيها من الأعمال الشاقة بعد المدرسة غير كافية لسد احتياجاته ودعم الميزانية الأسرية في آن.

بعد الثالث الإعدادي يتم توزيع الطلبة على الأقسام (العلمي والأدبي) في مدارس الحكومة الأردنية (مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة لا تدرّس بعد هذا الصف)، وهناك القسم المهني في المراكز الحكومية، لكن معهدًا تابعًا للوكالة إياها (اسمها المختصر هو الأنروا) كان يدرس مهنًا معينة مثل الحدادة والنجارة والتكييف والتبريد وميكانيكا



- فشلت في ان اصبح مهندسًا بحريًا!!

- لي طبع أغالبه منذ خمسين عامًا فأغلبه حينًا ويغلبني أحيانًا!

- الأصدقاء غالبًا ما يتمنون لو أن روحيتي في الكتابة هي ذاتها في الحديث

- في عهد الفضائيات لابد من ضبط انفعالاتي على الهواء!!

- أزمتي الحقيقية تكمن في الفشل في إدارة حوار صحافي طبيعي مع سياسيين مخالفين للنهج الذي أتبناه وأومن به في المسألة الفلسطينية

- اكتشفت ذات مرة بعد أن فرّغت حوارًا مسجلاً مع أحد كبار المفاوضين الفلسطينيين بعد مؤتمر مدريد أن كلامي كان ضعف كلامه!!

فشلت في أن أصبح كهربائي سيارات!!




ياسر الزعاترة

وكهرباء السيارات. وكانت الدراسة مجانية مع منحة أسبوعية بسيطة، فيما يتخرج الطالب بعد عامين بمهنة أو حرفة تصلح لدخول ميدان العمل.

هكذا فكر الفتى «اللاجئ» في تجاوز عتبة الفقر المدقع سريعًا بدل انتظار طويل للثانوية ومن ثم الدراسة الجامعية. لكنه لم يفكر في الأمر إلا مع نهاية العام، أي أنه لم يدرس ليحقق معدلاً عاليًا يمنحه فرصة اختيار التخصص الذي يشاء (كان لا يعرف الكتب والدراسة، ربما شقاوة ومراهقة، والأهم بسبب عمله طوال العام في مواقع شتى من أجل مساعدة الأسرة)، وفي النهاية جاء معدله في حدود الجيد جدًا، ولم يكن ذلك كافيًا للحصول على مقعد في قسم كهرباء السيارات في المعهد في ظل إقبال أبناء اللاجئين عليه، فيما هو لا يستوعب غير بضع عشرات من الطلبة لكل قسم.

قبلوه في قسم الحدادة، فلم ترق له المهنة وكان أن عاد أدراجه إلى القسم العلمي في المدرسة الثانوية، نادبًا حظه العاثر، ونادمًا على عدم سعيه لتحصيل معدل عال كان في متناول يده بكل سهولة لو تذكر أنه سيقدم للمعهد ولن يتوجه نحو المدرسة الثانوية.

- مضت السنوات الثلاث في المدرسة الثانوية، وعلى رغم استمرار الفتى في العمل المضني من أجل مساعدة الأسرة، وعلى رغم تجاهل الدراسة على نحو شبه كامل، إلا أن المعدل النهائي كان جيدًا جدًا وقريبًا من الممتاز، الأمر الذي أهّله لبعثة نادرة وبالغة الأهمية بالنسبة لفقراء اللاجئين، حيث يدرس الطالب من خلالها واحدًا من تخصصين؛ الهندسة البحرية، أو مهنة قبطان بحري، ويكون ذلك في الأكاديمية العربية للنقل البحري، وكانت آنذاك قد انتقلت من الإسكندرية إلى إمارة الشارقة.

رحل الشاب إلى الشارقة في العام ٨١ بعد أن أمضى عامًا في كلية الاقتصاد والتجارة في الجامعة الأردنية. كان الهدف كما هو الحال في المحاولة السابقة، هو تجاوز عتبة الفقر سريعًا، فالبعثة تقدم للطالب منحة جيدة تضاف إلى مجانية الدراسة، فيما لا تمضي سوى ثلاث سنوات حتى يغدو مهندسًا بحريًا براتب كبير.

وصل الشاب الشارقة في شهر تموز الحارق، وكانت الإمارة في ذلك الوقت عبارة عن شارع طويل لا يرى فيه غير الهنود من أوله لآخره، أو لنقل هذا ما رآه خلال الأسبوع الذي قضاه هناك، فيما كانت الدراسة والسكن في ذات المكان، وهناك في الأيام الأولى يكون لقاء مع مجموعة من الطلبة المتدينين الذين استأنس بهم، وحين علموا أنه ترك عامًا دراسيًا في الجامعة وأن بوسعه العودة لو شاء، لم يترددوا في تنبيهه إلى ما يعنيه العمل في البحر من بؤس وشقاء وصعوبة بالغة بالنسبة للشاب الملتزم. ولما أضيف ذلك إلى حيوية الجامعة التي خبرها، مقابل رتابة الدراسة هاهنا، فقد قرر الشاب العودة إلى الأردن، وجمع الزملاء له ما يكفي لإكمال ثمن التذكرة وعاد إلى عمان ليواصل رحلته الجامعية نهارًا والعمل المضني ليلاً من أجل تأمين المصاريف وإعالة الأهل أيضًا وصولاً إلى التخرج فخدمة العلم ومن ثم ولوج باب الصحافة والكتابة. وهكذا

فشل في تحقيق حلم الأهل في أن يصبح مهندسًا بحريًا، حتى أن الوالد المسكين عليه رحمة الله قد رفض السلام عليه عندما وصل البيت من المطار، وهو الذي كان ينتظر حوالاته المالية لا عودته خالي الوفاض يجر أذيال الخيبة!!

- للشيخ محمد الغزالي، العالم المصري الجليل، وأحد الرموز الإسلامية الكبار خلال القرن العشرين، مقولة سمعتها منه في سياق التعليق على من كانوا يتهمونه بالحدة والعصبية، إذ قال عليه رحمة الله، إن لي طبعًا أغالبه منذ خمسين عامًا فأغلبه حينًا ويغلبني أحيانًا.

هذا هو حالي تمامًا، فعلى رغم أن كتاباتي ما زالت تشير إلى قدر من الحدة في بعض الأحيان، إلا أن الأصدقاء غالبًا ما يتمنون لو أن روحيتي في الكتابة هي ذاتها في الحديث، لكن الموقف لا يبدو كذلك، ففي الكتابة يمكنك تصحيح المقال مرة واثنتين وثلاثًا وأكثر، لكن الكلمة مثل الرصاصة من المستحيل إعادتها بعد الانطلاق.

هل للأمر علاقة بالجينات والوراثة؟ ربما، إذ أتذكر أن الوالدة عليها رحمة الله كانت عصبية



ياسر الزعاترة

تنفعل بالأشياء والمواقف على نحو حاد، فيما كان والدي من اللون الآخر تمامًا، وهكذا توزعنا أنا وإخوتي على الجبهتين؛ ما بين العصبية والهدوء المفرط.

- البعض يرى أن الموقف لا يعدو أن يكون سطحيًا يمكن السيطرة عليه بقليل من الدبلوماسية، لكنه ليس كذلك بحال، وكثيرًا ما آمنت بأنه لولا هذا المزاج الحاد لما كنت كاتبًا في يوم من الأيام، فقد حملت القلم دفاعًا عن فكرة؛ عن مشروع الإسلام أولاً وعن مشروع المقاومة ضد الهجمة الصهيونية والإمبريالية في فلسطين وسواها ثانيًا، وفي هذا السياق سال حبر كثير، واستهلكت أوراق بلا عدد حملت ما يقرب من ثمانية آلاف مقال إلى الآن.

إنها ليست ممارسة سطحية، بل انفعال بالمواقف والأشياء على نحو يحتم ردة فعل عليها غالبًا ما تبدو حادة، بل ربما هي كذلك بالفعل. صحيح أن بعض الهادئين ربما يخفون انفعالاً مماثلاً وربما أكبر بالمواقف، لكن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد انفعال، بل بانفعال يفضي إلى شكل من أشكال الفعل.

إنه ليس كلامًا في مديح العصبية، لكنه تبرير ما لمواقف من هذا النوع، ومن قرأ الشيخ الغزالي عليه رحمة الله، وتابع مواقفه في الدفاع عن دين الله لا بد أن يدرك أن عصبيته لم تكن فعلاً سلبيًا بقدر ما كانت حافزًا على روعة العطاء في خدمة الإسلام والمسلمين.

لا أضع نفسي في مقارنة مع الشيخ الجليل، فهو أكبر من طابور من أمثالي، لكنني أتحدث عن سلوك أو لعله طبع، لا أتورط في مدحه، فما زالت أتمنى لو كنت قادرًا على ضبطه، لاسيما أن له من الأضرار الكثير، لاسيما في عهد الفضائيات، وحيث صار على الكاتب أن يتحدث كثيرًا على هذه الفضائية أو تلك، بل إن بوسعه التواصل مع الملايين من خلال الإعلام المرئي، بينما لا يمكنه سوى التواصل مع



أرقام أقل من خلال الكتابة، وإن ساعد الإنترنت في سعة الانتشار.

- لم أمكث طويلاً في العمل كصحافي عادي، فما هي سوى ثلاث سنوات من الجمع بين الكتابة والعمل الصحافي غير المتفرغ حتى سافرت عام ٨٩ إلى بريطانيا لأرأس تحرير مجلة «فلسطين المسلمة». وهي مجلة غير دورية كان يصدرها كلما توفرت الإمكانات عدد من الطلبة في الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين في بريطانيا، فيما طلب إلي إصدارها شهريًا منذ نهاية العام ٨٩، حيث غدت معبرة عن أطروحات حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التي كانت قد تأسست نهاية العام ١٩٨٧، قبل أن تصبح المجلة جزءًا من جهازها الإعلامي، وإن لم تكن ناطقًا رسميًا باسمها كما هو حال مجلة «فلسطين الثورة» الناطقة باسم حركة فتح، أو «الهدف» الناطقة باسم الجبهة الشعبية أو «الحرية» الناطقة باسم الجبهة الديمقراطية.

كان من الطبيعي في ضوء ذلك أن أقوم بين حين وآخر بإجراء بعض المقابلات الصحافية للمجلة، لاسيما أن كادرها الإعلامي لم يكن في البداية سوى «العبد الفقير»، فيما لم يصل في أحسن الأحوال إلى أكثر من ثلاثة متفرغين.

كانت أزمتي الحقيقية تكمن في الفشل في إدارة حوار صحافي طبيعي مع سياسيين مخالفين للنهج الذي أتبناه وأؤمن به في المسألة الفلسطينية، إذ غالبًا ما تحول ذلك الحوار إلى عراك فكري وسياسي حامي الوطيس.

صحيح أن تلك الحوارات كانت تحظى بالكثير من الرضا من قبل قارئ مؤيد أو محسوم الوجهة السياسية، لصالحي بالطبع، بيد أنها غالبًا ما تفضي إلى خسائر من حيث تردد المعنيين من الطرف الآخر في إجراء مقابلة، وأقله طلب الأسئلة مسبقًا بما يعني برودة الحوار ومنح المنصة لرأي مخالف. أما الجزء الثاني من الأزمة فكان يتمثل في شعوري بقلة من يمكن أن يجلس المرء أمامهم ويحاورهم على نحو يفيد القارئ ولا يكتفي بإضافة مادة صحافية للمجلة، مع أن هذا البعد قد استمر بالطبع، وإن من خلال زملاء آخرين.

كان الحوار الأول، وربما الأهم، مع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات رحمه الله في العام ٩٠ في تونس، أجريناه، زميلي وقتها خالد الحروب وأنا، وكان عاصفًا إلى درجة أن الحراس كانوا يدخلون على صراخه بين حين وآخر ظنًا منهم بأن اشتباكًا بالأيدي قد وقع.

بعد ذلك تواصلت التجارب، وفي مرة أخرى كان الحوار مع زعيم آخر من الصف الأول في منظمة التحرير، وتوقف بعد ملاسنة جاءت بعد مسلسل من المناكفات، وهو ما تكرر مع مسؤول أمني فلسطيني بعد أوسلو، وفي العموم فقد وجدت نفسي في صراع فكري وسياسي مع القوم، حتى إنني اكتشفت ذات مرة بعد أن فرّغت حوارًا مسجلاً مع أحد كبار المفاوضين الفلسطينيين بعد مؤتمر مدريد أن كلامي كان ضعف كلامه!!

هكذا تأكدت أنني لا أصلح لهذا اللون من النشاط الصحفي، وأن المسار الذي يناسبني هو المقال أو التحليل السياسي الذي قد يحاور الآخرين، وربما يشتبك معهم، ولكن على الورق، ولاحقًا في الفضائيات كند فكري وسياسي وليس كصحافي يجلس قبالة مسؤول يأخذ منه رأيًا أو موقفًا أو تفسيرًا لموقف.

ياسر الزعاترة

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

تنظم وزارة التعليم العالي



معرض الرياض الدولي للكتاب

٢٣ محرم - ٢ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٢٢ فبراير - ٣ مارس ٢٠٠٦م
في مركز معارض الرياض

مواعيد زيارة المعرض :
الفترة الصباحية من ٩ صباحًا - ١ ظهرًا . الفترة المسائية من ٤ عصرًا - ١٠ مساءً
يوم الجمعة فترة مسائية فقط

زيارة طلاب المدارس :
من يوم السبت إلى يوم الأربعاء الفترة الصباحية فقط

أيام زيارة العائلات :
يوم الجمعة ٢٥ / ١ / ١٤٢٧هـ فترة مسائية . يوم الأحد ٢٧ / ١ / ١٤٢٧هـ فترة مسائية
يوم الأربعاء ١ / ٢ / ١٤٢٧هـ فترة مسائية . يوم الخميس ٢ / ٢ / ١٤٢٧هـ فترة مسائية

لمزيد من المعلومات هاتف : ٤٥٤١٤٤٨
www.riyadhbookfair.org

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى .. نسمع.. نتكلم و..نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.



سأعود لدفتري وسبورتي

حصة الجربوع - رفحاء

دخلت المكتب منهكةً وأغلقت الباب.. ومن فرط ما تعاني أطفأت الأنوار! كأني بها تريد أن لا يراها أحد! رمت بثقلها على الكرسي. وما لبثت أن قامت «آه.. لقد نسيت أطفأت الأنوار، عفوًا عفوًا.. أريد فقط أن أغلق الباب». قلت لها: «لا عليك.. اهدئي واجلسي.. تنفسي بعمق». جلست ونظرت إليّ بتمعن.. كانت تلك النظرة كافية لأن أعرف ما تريد قوله. وقبل أن تتكلم بادرتها:

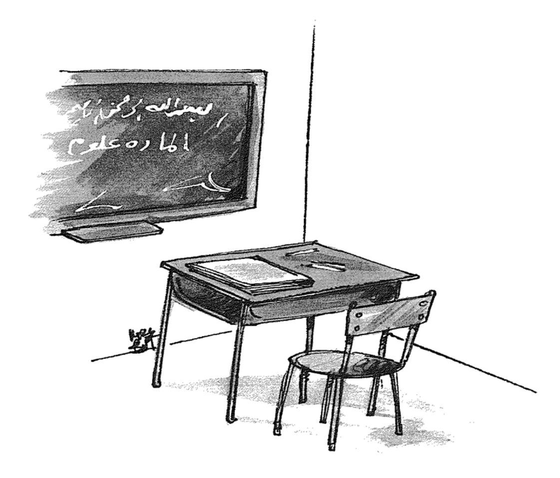
- لقد مللت.. لاتريدين البقاء.. العمل لا يناسبك.. فقدت الحيوية والنشاط.. وهذا الهدوء الذي يسود يبعث في نفسك السأم والملل!

رفعت بصرها بتثاقل قائلة: تمامًا. هذا ما أشعر به، وأكثر من ذلك طبيعة هذا العمل تربكني. عليّ أن أتجول في جميع المدارس صباح كل يوم متأبطة اختباراتي للإشراف. لك أن تتخيلي أول يوم زاولت فيه عملي الجديد، قمت بزيارة ميدانية لإحدى المدارس، وكان مهمتي تقتضي أن أتابع أداء معلمات مادتي في المدرسة. وأي معلمات هن؟! فهذه سبق أن علمتني في المرحلة الابتدائية، وهذه زاملتني في المرحلة الثانوية، وتلك ابنة الجيران... والأدهى والأمر أن إحداهن زوجة أخي التي ترغب في الخروج من بيت العائلة إلى بيت مستقل! كيف لي أن أتواصل معهن وأعطيهن التوجيهات اللازمة وهن يكدن أن يفترسنني بنظراتهن؟! أكاد أسمع همهمات صدورهن: «متى صارت مشرفة؟!.. الله يعين على طلباتها.. من زمان وأنا أعرفها.. طالعة فيها شوي.. لا تتعبن أنفسكن ترى ما يعجبها العجب...» هذا أول يوم لي في الوظيفة ولمست ذلك، كيف إذا توالت الأيام وتعاقبت الزيارات؟! إنني متفاجئة جدًا من طبيعة هذا العمل. لم يكن كما تصورت!

قاطعتني: ولم أنتظر؟! أنتظر حتى أرى ما تقوله الزميلات يتجسد أمامي وأتحول مع مرور الوقت إلى كومة من اللحم على مكتب يمضي يومي كأمسي وغدي كيومي؟! أما سمعت ما تتناقله الزميلات في مكتب الإشراف عن حالهن؟!

أجبتها: وأنت، ألا تعرفين ثرثرة النساء؟! إنه لا يعدو كلامًا تحاول من خلاله الزميلات ضمك إلى «حزب المتقاعسات».

ألم يقلن لك: إن هذا العمل «روتيني» وإن عليك أن تلبسي عباءتك ثم تركضين نحو الباص بيدك



فنجان قهوة تضعينه عند باب بيتك قبل الخروج، ثم تحشرين نفسك في الحافلة، حيث لا تجدين لك موطئ قدم.. وعليك النزول عند كل محطة وقوف لإفساح المجال لرفيقات طريقك بالنزول... وغيرك من الموظفات يشربن القهوة و«يحلين» معها بأصناف الحلويات؟ ألم يخبرنك بأن دورة حياتك ستنقضي بين البيت والمدرسة؟

ألم يقصصن عليك حكاياتهن مع المديرات واستقبالهن عند زيارة المدارس.. هذه مديرة مرحة، وهذا حانقة، وأخرى متكبرة، وتلك ترى المدرسة إحدى ممتلكاتها الخاصة؟ بالتأكيد حدثنك عمن رأين من المعلمات (أيضًا)، بل أظن أنهن شرحنهنّ كلهنّ بمشارط ألسنتهن، وأطلقن عليهن من الأوصاف ما الله به عليم! ووصل الأمر بهن أن أطلقن عليهن من الأحكام التي لا يمكن نقضها ولا حتى بـ«محكمة العدل الدولية» وأجبرنك على قبول هذه الأحكام، وكأن لا رأي لك ولا بصيرة!

طيب.. أستاذتي، ما دمت تعرفين كل هذا فقد أصبحت مهمتي سهلة.. ولا تستغربي إذا طلبت منك الإعفاء من مهامي الوظيفية في الإشراف التربوي. مالي ولهذه الوظيفة؟! إنها وظيفة بلا نتائج يمكنني رؤيتها ومتابعتها! وأنا في طبيعتي أحب العمل وأبغض «الروتين».. أحب أن أرى نتيجة عملي كل ساعة في عيون طالباتي... أراه اعتزازًا بوطن، وعشقًا لتاريخ أمة، وتطلعًا لمستقبل مشرق.. كيف لي أن أحقق ذاتي مع معلمات يرفضن الجديد والتجديد؟! وكيف لي أن أتناغم مع «حزب المتقاعسات» هنا وأنا التي تكره الركون إلى الركود؟! «إن لي نفسًا تواقة» إلى العمل المثمر، ترى كل عمل تقوم به قليلاً مقابل ما تأخذ!

إن عملي كمعلمة ليلبي حاجة نفسي إلى العطاء.. عفوًا أستاذتي، أعلم أنك ستحدثيني عن «حزب المتفانيات» الذي تريدينني نواة له لتثني من عزمي على طلب الإعفاء.. عفوًا لا أستطيع فرؤية المتقاعسة عن العمل تورث الكسل والخمول. سأعود لدفتري وسبورتي، حيث باب فصلي موصد عن الملل، ونوافذه مشرعة لأشعة الشمس التي تنير الزوايا المظلمة في حياة طالباتي.■

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: أ.د.محروس بن أحمد غبّان / أستاذ التربية المقارنة بقسم أصول التربية / عميد التطوير الجامعي -جامعة طيبة بالمدينة المنورة
يقدم لنا شيئاً من وجهة نظره فيما يلي:



محروس غبّان :

الولايات المتحدة تركت لسنغافورة الرياضيات والعلوم واتجهت إلى أفغانستان والعراق!

- «يجب تحرير الناس من المؤسسات الاجتماعية، وأول هذه المؤسسات.. مؤسسة المدرسة» (إيفان إيلتش).

يا عم إيفان إيلتش: الإنسان لا يستطيع العيش بدون مؤسسات اجتماعية، وهذه المؤسسات لا تستطيع أن تمارس دورها بدون سلطة، والسلطة بدورها لا تستقيم بدون سيطرة.. إذن فمن الأدق أن القول بأنه: يجب تحرير الناس من (استغلال) المؤسسات الاجتماعية.

- «لا يمكن فصل التعليم عن الأمن القومي؛ فالمدرسة هي مخفر الحدود والجامعة هي الثكنة» (البروفيسور الأمريكي - دانيال سافران).

وأضيف عليه.. بأن المعلمين في التعليم العام هم حملة السلاح التقليدي، وأعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي هم حملة السلاح النووي.

- تم تغيير مسمى وزارة التربية والتعليم السعودية إلى مسماها الحالي، بعد مسمى وزارة المعارف؛ حتى تصبح اسمًا على مسمى.

أبدًا.. هذا من باب تغيير المسمى مع الاحتفاظ بالجوهر.



- الأميّة في العالم العربي . . رجل متزوج بامرأتين!!
- إذا كان المعلم يحمل سلاحًا تقليديًا . . فأستاذ الجامعة يحمل سلاحا نوويًا!!
- التعليم ليس عصى موسى ، وإنما هو عود في حزمة حطب
- اختزل العرب العولمة بدش وسيارة لكزس وشات «Chat»

- إصلاح قمة الهرم التعليمي (التعليم العالي)، أم إصلاح قاعدته (التعليم العام)، لردم الفجوة بين الدول العربية والدول الصناعية.. جدلية عربية عقيمة.

هو وهم عربي مقيم، فالفجوة بين الدول العربية والدول الصناعية لا يردمها إصلاح الهرم التعليمي أو قاعدته: فالتعليم ليس عصى موسى، وإنما هو عود في حزمة حطب.

- العولمة تحدٍّ تربوي كبير للعالم العربي والإسلامي، ولو أن مضامينها ليست إلا مضامين اقتصادية وسياسية فقط.

ليتها تحدّ تربوي كبير للعالم العربي والإسلامي فقط، بل هي تحدّ شامل له مليء بالفرص والمخاطر.

- انتقل العالم الأول، فيما يتعلق بالعولمة، من مرحلة التنظير والمناقشة الإعلامية إلى مرحلة التطبيق، ومازال العرب يتساءلون: كيف يمكن التعامل معها؟

من الإنصاف القول بأن العرب انتقلوا من مرحلة كيفية التعامل مع العولمة إلى مرحلة اختزال العولمة بطبق فضائي (دش) وسيارة لكزس، ومحادثة (شات Chat) على الإنترنت.

- العولمة هي «الاستعمار بثوب جديد» (د.سعد البازعي).

إن شئت قُلْ بتعبير أكثر وضوحًا: ثوب جديد لاستعمار خفي، ينخدع به الضعيف فيلبسه مزهوًا، ويستوعبه القوي فيشارك في صنعه وتلوينه.

- من سلبيات العولمة: تدخل النفوذ الدولي في القرار الوطني الداخلي.. والمناهج الدراسية أبرز مثال على ذلك.

بل من إيجابيات العولمة: تسليط الضوء الساطع على القرار الوطني الداخلي ليراه العالم أجمع، فينكشف المستور!

- مما تفرضه العولمة: مهن تختفي وتنقرض، ومهن تولد وتنشأ.. ولا بد أن يستجيب التعليم لذلك قبل نظم المجتمع الأخرى.

العولمة ظاهرة شاملة مترابطة الحلقات، وتصدير التعليم في الاستجابة لها قبل نظم المجتمع الأخرى مخاطرة محفوفة بالإخفاق أو الإحباط. قلت لك قبل قليل التعليم عود في حزمة!

- «في ظل العولمة انتهى ما عُرف بالتربية الوطنية» (رأي).

الرأي الأقرب للحقيقة أنه في ظل العولمة انتهى ما يعرف بالتربية المغلقة.

- «في ظل العولمة آن للنظريات التربوية أن تأخذ طابع الخصوصية الوطنية أكثر من ذي قبل» (رأي معاكس).

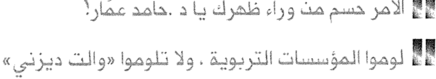
شريطة ألا تتحول الخصوصية إلى حالة تقوقع على الذات وانزواء تروج لها هذه النظريات، فتكون النتيجة مجتمع منقسم على نفسه بين متقوقع ومتعولم.

- «التربية أُسٌّ في بناء العولمة» (د.صالح الدباسي-في كتاب التربية والعولمة).

بالتأكيد أن الكاتب لا يقصد كافة أشكال التربية؛ إذ إن هناك تربية تناهض العولمة، وأخرى تعجز عن الوفاء بمطالبها.

- بقدر المخاطر التي تحملها العولمة على التربية العربية الإسلامية، فإنها تحتوي على نفس القدر من الفرص.





ثمة عيون قطط في نفق التعليم العربي

الأمر حسم من وراء ظهرك يا د. حامد عمّار!

لوموا المؤسسات التربوية، ولا تلوموا «والت ديزني»



محروس غبّان

ومشكلتنا معها... تعظيم المخاطر وتجاهل الفرص.

- يمكن مواصلة عمليات الإصلاح التربوي العربي، في معزل عن تداعيات العولمة.

هذه مقولة ينادي بها من التبست عليه مصطلحات «الإصلاح» و«الانعزال» و«الانغلاق».

- «يجب ألا تتسرب المفاهيم المادية الصرفة كالجودة الشاملة والأيزو وغيرها إلى مجال مقدس كالتربية» (د. محمد إسماعيل ظافر).

قف!! لقد استحضرت «مشعاب» أستاذنا القدير.. فترددت في التعليق على مقولته.

- تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين: الكارثة أو الأمل (عنوان تقرير عربي عن مستقبل التعليم العربي - ١٩٩١م).

لقد مضى على صدور التقرير القيّم نحو عقد ونصف، ونتطلع إلى تقرير آخر يحكي لنا هل نحن الآن للكارثة أقرب أم للأمل، أم أن «الحالة مستقرة» بتعبير الأطباء؟

- «يشك كل مراقب أو متعامل مع قطاع التعليم في عالمنا العربي في أنه يعاني أزمة خانقة كالسير في نفق معتم طويل» (د. سليمان العسكري).

أعتقد ليس الأمر بهذا السوء، فللإنصاف هناك «عيون قطط» في هذا النفق، بحاجة لمن يُسلط عليها الضوء، حتى تتحول إلى منارات.

- «على حكومات الدول العربية أن تتولى قيادتها وتوجيهها ودعمها للتعليم، مهما كانت تداعيات حرية السوق، فضرورات الخصخصة لا تبيح محظورات التعليم» (د. حامد عمار).

أعتقد، يا أستاذنا الجليل وشيخ التربويين العرب، أن الأمر حسم من وراء ظهرك لصالح ضرورات الخصخصة، فالعلة ليست في تداعيات حرية السوق بقدر ما هي في ترتيب أولويات حكوماتنا التي جعلت من الاستثمار في رأس المال العسكري مقدم على الاستثمار في رأس المال البشري، ووجدت في هذه التداعيات فرصة من التنصل من بعض مسؤولياتها التعليمية، فغيرنا أصابته تداعيات حرية السوق منذ مئة عام أو يزيد، لكن ضرورات الخصخصة لديه لم تبح محظورات التعليم؛ ولعل في بريطانيا واليابان خير شاهد.

- حتى تنهض الأمة العربية.. لابد أن يكون التعليم الثانوي تعليمًا أساسيًا في كافة الأقطار العربية.

ليس العبرة في تعميم التعليم الثانوي وجعله أساسيًا، وإنما العبرة في نوعية وجودة هذا التعليم، والنهوض من قبله بجودة التعليم الأساسي (الابتدائي والمتوسط).

- بنية «السلم التعليمي» مشكلة مشكلات التعليم العربي.. والحل في التحول إلى بنية «الشجرة التعليمية».

لا أعتقد أن أُس المشكلة يكمن في البنية، وإنما أبحث عن أسّها في عناصر المنهج الأساسية (معلم، مقررات، طريقة، استعداد الطالب).

- «والت ديزني»... المؤسسة التي استعمرت العالم تربويًا.

هل نلوم «ولت ديزني»، أم نلوم المؤسسات التربوية؟!

- «وجود الفقر في بلد ما، مقرون دائمًا بنظام تربوي ضعيف» (الكاتب محمد سالم).

ومقرون قبله بنظام سياسي غير رشيد.

حالة التخلف العربي بحاجة إلى مجدد يظهر كل عام، وليس كل مئة عام

نظم التربية العربية حمائم .. وليست صقورًا

حلال لنا .. حرام على الطليان ؟!

وعاء التنمية العربية .. مخروق!!

- ليس هناك أكثر إيمانًا بعملية التنمية الشاملة من الدول العربية، وفي نفس الوقت ليس أبعد عن تحقيقها من هذه الدول.

للتعليم العربي علاقة بينة بذلك، وهذه العلاقة تفهم من باب: كما تكونوا يؤمر عليكم؛ فالتعليم مطلوب منه المحافظة على الواقع كما هو.. والعمل على استمراره!.

- نحن بحاجة إلى تفسير التخلف العربي بنظرية جديدة؛ بعيدًا عن النظريات الكلاسيكية للتنمية كالتحديث والعصرنة والتبعية والمحور والأطراف والمراحل والانتشار... إلخ.

قد أوافقك الرأي، فتخلفنا من نوع خاص، فنحن نملك مفاتيح ومقومات النهوض. لكننا نحتاج إلى مجدّد يظهر كل عام.. وليس كل مئة عام (أليست نظرية؟!).

- ليست مؤشرات البطالة وحدها هي التي تدق أجراس الإنذار مما وصلت إليه أزمة التعليم العربي، فهناك مخرجات سلبية ضعيفة لنظم التعليم العربية.

يا أخي قبل أن تحاسب النظام التعليمي ومخرجاته، حاسب النظم الأخرى، فالنظام التعليمي العربي لا يملك مقود القيادة والمحاسبة، فهو في مجتمعنا – وكما أسلفت- نظام مستضعف وشماعة تُعلق عليها أوزار النظم الأخرى.

- بلغ عدد المتخرجين في الجامعات العربية: عشرة ملايين خريج عام ١٩٩٧م، وكانت نسبة المتخصصين في العلوم والتكنولوجيا من مجمل هؤلاء لا تتجاوز ٢٩٪. (إحصائية).

ما الغريب في ذلك؟! ما دمنا نضع في مقدمة الصفوف من يملك ناصية البلاغة والبيان وفصل الخطاب والاتصال.

- نسبة الإنفاق الإجمالي على التعليم في الأقطار العربية، لا تتجاوز ١٪ من ميزانياتها (إحصائية أخرى).

ألم أقل لك سابقًا.. إن التعليم في أقطارنا مظلوم ومستضعف؟!.

- كثير من القيم والاتجاهات والخصائص السلوكية والعقلية المعيقة للتنمية أصيلة وعريقة ومتجذّرة في بنية العقل العربي والإسلامي وثقافته.

الحقيقة هي أصيلة وعريقة ومتجذّرة في بنية العقل العربي (المستفيد) من استمرار حالة التخلف؛ أما الإسلام وثقافته فيدعوننا دومًا أن نكون في المقدمة.

- «من الأمور الأخرى التي لابد من أن يواجهها التعليم في بلادنا العربية، لتحل مشكلاته، مبدأ الشفافية» أو قل «المكاشفة» و«الصراحة» و«الصدق» (د.سعيد إسماعيل علي).

أنصحك يا د.سعيد أن تجرب هذه المبادئ، في حل مشاكل منزلك، قبل أن تجربها في جامعتك.

- بعد قيام الدولة اليهودية مباشرة عام (١٩٤٨م) بدأ تنظيم مشروع (أورت ٢٠٠٥م) للتعليم المهني بهدف ربط التعليم بسوق العمل، ثم كان مشروع (تمدا ١٩٩٨م) الذي اعتمدته الحكومة الإسرائيلية في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين لإدخال

التعليم المهني في كل المؤسسات التربوية الإسرائيلية.

يا أخي - إذا كنت تقارن - نحن لا تنقصنا المشاريع، فهي كُثر، لكن تنقصنا الإرادة والإدارة القادرة على تحويلها إلى واقع.

- بمجرد أن ندخل جملة (التعليم العربي) في أحد محركات البحث على الإنترنت، نفاجأ بسيل عارم من المعالجات والمجادلات وتقارير المنظمات الدولية والعربية عن مشاكل التعليم العربي.

أحسنت وصفها بالسيل العارم! فالسيول عندنا دائمًا ما تكشف المستور، وغالبًا ما تلحق الضرر في ظل غياب البنية التحتية (كقنوات التصريف الملائمة- مثلاً).

- هيئة الاتصالات الفلسطينية توقع مذكرة تفاهم مع «منتدى العلماء الصغار» (جماعة طلابية فلسطينية) يتعاون الطرفان بموجبها على تأسيس عدة مراكز لتشجيع التفكير والإبداع في مناطق مختلفة من فلسطين (خبر صحفي).

إنها الحاجة... أم الإبداع.

- بدءًا من العام ٢٠٠٠م، انتقلت اليابان بطلابها من عصر التعليم إلى عصر المعلومات.

وبدءًا من عام ٢٠٠٣م (عام تغيير مسمى وزارة المعارف) انتقلنا بطلابنا من عصر المعارف إلى عصر التربية والتعليم.

- طلاب سنغافورة حققوا المرتبة الأولى في مادتي الرياضيات والعلوم في دراسة شملت ٤١ دولة. بينما الولايات المتحدة الأمريكية كانت في المرتبة ٢٨.

لأن الولايات المتحدة الأمريكية تركت لهم الرياضيات والعلوم واتجهت إلى أفغانستان والعراق.

- «أنتم علمانيون.. فيما أوروبا تصبح دينية» (هنتنغتون في محاضرة ألقاها بتركيا).

لعله يريد تنبيههم إلى أن علمانيتهم لن تشفع لهم بالانضمام للاتحاد الأوروبي، فيخسروا بذلك الدنيا والآخرة.

- «يجب عليكم كطلاب مسلمين في مدرستنا أن تفهموا: أن إيطاليا دولة كاثوليكية!» (مدير مدرسة بإيطاليا).

هل تريدني أن أقول: الحق على الطليان أم على من يدرس عند الطليان، أم هل تريدني أن أقول: حلال لنا حرام عليهم؟

- «تخليص المناهج السعودية من الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد هو الجهاد بعينه» (حسين شبكشي).

«أفلح إن صدق!!».

- يفترض في نظم التربية العربية أن تلجم أهواء السياسة وتشذب جنوح المصالح العربية المتضاربة.

ما زلت يا أخي في غيك القديم.. نظم التربية العربية حمائم، وليست صقورًا!.

- «الأمية في العالم العربي امرأة!.. فمن بين ٦٦ مليون أمي وأمية في العالم العربي، هناك ٤٤ مليون امرأة أمية» (محمود المراغي-رحمه الله).

ما دمنا نسمح بتعدد الزوجات، يمكن القول: إن الأمية العربية رجل متزوج بامرأتين؛ فالنسبة هي ١: ٢ (٢٢ أميًا مقابل ٤٤ أمية).

- الدول العربية أكثر من ينفق على برامج التنمية، وهي في نفس الوقت أقل من يجني ثمارها.

لأن وعاء التنمية عندنا.. مخروق.■



محروس غبان

بأم عينك

رفقًا بالدوافير

سعيد الدوسري - الرياض

يقول خبراء التعليم الألمان: «إن أفضل مساعدة يقدمها الوالدان لأبنائهم عند أداء واجباتهم المنزلية هي عدم مساعدتهم على الأطلاق!» وذلك لأن حل الواجبات منفردًا يكسب الطالب القدرة على التعلم الذاتي ويعزز الثقة بالنفس وحل المشكلات.

ويشير أحد خبراء معهد ماكس بلانك للأبحاث إلى أن مساعدة الوالدين للطفل تؤدي في الغالب إلى عدم فهم الدرس، أما قيام الوالدين بحل الأسئلة بأنفسهم فيؤدي إلى حدوث تأثير سلبي مضاعف!

فصولنا الدراسية لا أدري لماذا تذكرني بمنتديات الإنترنت؟! أعتقد أن السبب هو أن أي موضوع يكتب في أحدها تجده في جميع المنتديات وتحته كلمة منقول (ملطوش)، وفي أحيان كثيرة قد لا تجد هذه الكلمة!

طالب يحل الواجب ويسمى غالبًا «الدافور»، وباقي الصف ينقلون منه و«يا ويله ويا سواد ليله» إذا رفض، لأن الوعد «الطلعة». والمعنى علقة جامدة على الظهر!

ولكي نحرر مصطلح «الدافور» فهو عبارة عن شيء يوجد في الصف الأمامي أمام السبورة مباشرة، وتبقى يده مرفوعة طوال الحصة، ويحضر جميع الكتب في شنطته، ويذاكر دروس السنة القادمة في الإجازة، ولا يغيب يومًا واحدًا حتى لو كان مريضًا، ويحضّر الدرس قبل شرحه، وأخيرًا (وهو الأهم) أن يكون غير سعودي!

بعض الطلاب المجتهدين «الدوافير» أصبح يستخدم دفترين لكل مادة، واحد لينقل منه «البروليتاريا»، وهم الطلاب الكادحون ويكون فيه الحل بطريقة خاطئة، والآخر يسلمه «للبرجوازيين» وهم المعلمون، ويكون فيه الحل الصحيح!

أحد المعلمين (ولا تظنوا أنه أنا) كان يقوم بتصحيح دفتر طالب أو طالبين من الطلاب «الدوافير» وبعدها يقول: جميع الطلاب الذين نقلوا من فلان وفلان إجابتهم صحيحة!

المشكلة التي تؤرقني أنني أعلم تمام العلم



أن الطلاب ينقلون الواجب في المدرسة ومع ذلك نصر على تسميته واجبًا منزليًا!

قبل ثلاثين سنة تقريبًا كنت أنا وشقيقي «مسفر» في سنة واحدة في المرحلة الابتدائية، وكان ينقل مني معظم الواجبات، ولأنه ولد طيب ويسمع كلام ماما وبابا، فقد كان حريصًا على النوم المبكر، وكنت اضطر مرغمًا بناء على رغبة والدتي إلى كتابة الواجب نيابة عنه حتى لا يضربه المدرس!

كنت أكسر رأس قلم الرصاص حتى يصبح خطه عريضًا ثم أحاول تشويه خطي قدر المستطاع حتى لا يعرف المدرس أنني أنا الذي كتبت الواجب له فيعاقبنا نحن الاثنين!

وفي أحيان كثيرة كنت أرفض الرضوخ لرجاءات والدتي وأتظاهر بالنوم وأبدأ بالشخير بصوت مرتفع فتضطر -رحمها الله- إلى كتابة الواجب نيابة عن أخي، على الرغم من أنها لم تكن قد التحقت بالتعليم في ذلك الوقت، إلا أنها تعلمت مبادئ الكتابة والقراءة من أخوالي الذين يصغرونها سنًا!

كان الواجب المنزلي في الغالب هو كتابة أربعة أحرف هجائية عدة مرات أو كتابة ثلاث كلمات عدة مرات حتى تمتلئ الصفحة، ولكنها تستغرق منا وقتًا وجهدًا كبيرين، ومن أجل مزيد من التركيز كان أحدنا يخرج لسانه خارج فمه ويتركه يتدلى، وعن ذلك المنظر يقول أحد علماء النفس إن هذه الحركة هي رد فعل للتركيز عند الأطفال. فالطفل يخرج طرف لسانه من بين شفتيه بينما يقوم بعمل دقيق كتلوين رسم أو تجميع سيارة صغيرة، أو ربط حذائه، أو كتابة كلمة متعددة الحروف. إذا لم تكن قد لاحظت ذلك بعد يمكنك أن تراقب من الآن وسترى ذلك بأم عينك.

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.

هذه هي لغة السر في سر اللغة!

«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.

هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



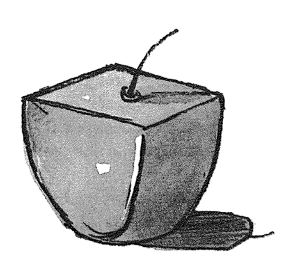
هذه ليست تفاحة!!

عبدالغني رجب - مصر

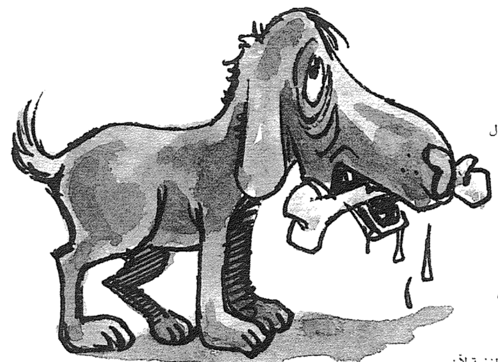
- كان الطفل الصغير رغم أنه لا يجيد القراءة والكتابة بصورة مكتملة يعشق الشعر وخاصة شعر أمير الشعراء (أحمد شوقي) فكان يقرأ مطلع قصيدته «العودة من المنفى»:

«أنادي الرسم لو ملك الجوابا» بفتح الهمزة على أنها نداء للنادي وأن النادي اسم مكان وأن الرسم هو حجرة الرسم. وتساءل ماذا يريد شوقي من حجرة الرسم وماذا يفعل إذا لم ترد عليه؟!

- لاحظ أحد تجار اللوحات أن بيكاسو ينظر للوحة رسمها توًّا بانزعاج شديد فسأله التاجر عن سبب انزعاجه فقال بيكاسو: «الرأس الرأس». فقال التاجر ماذا به؟! قال بيكاسو: «لقد نسيت أين وضعت رأس الرجل».



- طلب المعلم من تلاميذه أن يرسموا كلبًا يأكل عظمة فرسمه الجميع إلا واحدًا ترك الصفحة بيضاء فسأله المعلم الذي يقدِّر العباقرة أين العظمة؟ فقال



له التلميذ «أكلها الكلب. فقال المعلم وأين الكلب؟! فقال التلميذ جرى بعد أن أكل العظمة. فأعجب المعلم بعبقرية التلميذ الذي أبدع فنًا تجريديًا خالصًا ومنحه جائزة وعلق لوحته الرائعة في أبرز مكان في المدرسة بعد أن أحاطها بإطار ذهبي!!

- البعض يشتري اللوحة الفنية لأن إطارها أعجبه.

- كان الرسام العبقري حداثيًا يضع الألوان في فمه ثم يبصقها على اللوحة وكانت البصقات تختلف في اللون والعمق والاتساع حسب قوة البصقة ومقدار اللعاب المختلط بها. وكان الناتج لوحات جميلة ورائعة لا يفهمها إلا المجانين، لكن الألوان تسببت للفنان في سرطان اللسان فقضى غير مأسوف عليه!

- المريض النفسي الذي أعالجه رجل أعمال لا يهدأ ولا يتكلم سوى بلغة الأرقام. وكان مصابًا بتوتر شديد وأرق وقلق. طلبت منه أن يستحم ويسترخي ويمارس هواية الرسم.

وفي صباح اليوم التالي أيقظني من النوم باتصال هاتفي وقال لي لقد أنجزت الليلة الماضية رسم عشر لوحات، واتفقت مع صالة عرض لعمل أول معرض لي الأسبوع القادم وسأنقدك أتعابك لوحات.

- الفراغ بمعناه الهندسي ومعناه النفسي هو عدو الإنسان الأول وهو الذي دفع الإنسان الفنان لملء جميع الفراغات بالزخارف.

- رسم السريالي تفاحة وكتب تحتها «هذه ليست تفاحة».

- أبدع الفنان المجنون «فان جوخ» لوحة «الحذاء» واحتار النقاد في تفسير اللوحة التي تمثل حذاءً قديمًا مغضنًا. قيل إن فان جوخ يرمز بهذا الحذاء لبؤس الفلاح ويصور به فقره، رغم أن هناك من الفلاحين من يسيرون حفاة ويحلمون بهذا الحذاء القديم فهم أكثر بؤسًا من فلاح «فان جوخ» المجهول الذي لم يظهر في اللوحة. إلا أنني أعتقد أن ربط اللوحة ببؤس الفلاح لم يكن في مخيلة «فان جوخ» أثناء إبداعه اللوحة. فلا يوجد أي دليل على هذا الفلاح المزعوم.

اعتقد أن اللوحة تحمل دلالات أكثر من سطحية كونها دليلاً على بؤس الفلاح «فان جوخ» الفنان المجنون يرمز بهذه اللوحة إلى عقله! ■



تـحـت رعـايـة

خـادم الـحـرمـين الـشـريـفـين المـلـك عبـدالله بن عبـدالـعـزيـز

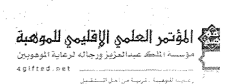
رئيس مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين

تـنظم مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين

المؤتمر العلمي الإقليمي للموهبة

في الفترة ما بين ٢- ٨/٦ /١٤٢٧ هـ الموافق ٢٦- ٨/٣٠ /٢٠٠٦م في محافظة جدة
وبحضور نخبة من العلماء والمفكرين العالميين في مجال رعاية الموهوبين وتنمية التفكير.

- جلسات علمية
- محاضرات عامة
- معرض مصاحب
- ورش عمل تدريبية
- مخيم إثرائي للطلبة الموهوبين
- معرض منتجات البرامج الإثرائية ومراكز رعاية الموهوبين.



محاور المؤتمر:

المحور الأول : المفاهيم المتعلقة بالموهبة والإبداع والنظريات الحديثة ذات العلاقة.

المحور الثاني : أساليب الكشف والتعرف على الموهوبين.

المحور الثالث : برامج رعاية الموهوبين وتنمية التفكير الناقد والإبداعي.

المحور الرابع : الموهوبون من ذوي الصعوبات الخاصة والإعاقات.

المحور الخامس: الحاجات الشخصية والنفسية والاجتماعية للموهوبين والمبدعين.

المحور السادس: دور المؤسسات الحكومية والأهلية والقطاع الخاص في رعاية الموهوبين.

المحور السابع : دور مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي في رعاية الموهوبين وتنمية التفكير.



www.4gifted.ne

للمشاركة في تقديم البحوث العلمية وأوراق العمل يرجى إرسال الملخصات قبل تاريخ ٣/١٦ /١٤٢٧هـ الموافق ٤/١٥ /٢٠٠٦م.

❖ لشروط المشاركة نرجو الاطلاع على موقع المؤتمر على الإنترنت.

الدعم والرعاية:

تتيح اللجنة المنظمة للمؤتمر إمكانية المشاركة للمؤسسات والشركات والبنوك في رعاية المؤتمر.

للاستفسار والمراسلات:

د. عبدالله بن محمد الجغيمان
رئيس اللجنة المنظمة، مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين
ص.ب : ٣٠٠٨٢٠ الرياض: ١١٣٧٢ - المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٤٦٢٩٤٦٢ ١ ٩٦٦+ (تحويلة ٢١٩، ٢٥٧) فاكس: ٤٦٢٣٩٥٩ ١ ٩٦٦+
البريد الإلكتروني info@4gifted.net

يمكن التسجيل من خلال موقع المؤتمر على الإنترنت: www.4gifted.net



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

الكاتب.. ملاكٌ بين شيطانين!

أتساءل دومًا: لو أصبح كل شيء في الوطن على ما يرام، عماذا سيكتب الكتّاب؟

سيكون حينها لا مجال لكتّاب الماء العكر، وكتّاب المعاريض، وكتّاب نشر الغسيل..

وسيصبح حينها المجال مفتوحًا على مصراعيه لكتّاب المدائح وكتّاب«شعور أي مواطن»، و«كل شيء على ما يرام»!

هل هذا زعم بأن الكتّاب كلهم إما ذمامون أو مدّاحون؟!

الإجابة تكمن في فرز نوعية الكتّاب، وهم ثلاثة:

كتّاب منحازون «دومًا» للدولة والسلطة وهم المداحون.

كتّاب منحازون «دومًا» للقراء والجمهور وهم الذمّامون.

كتّاب منحازون للحقيقة، فهم ليسوا مع الدولة دومًا ولا مع الجمهور دومًا.. بل مع الحقيقة دومًا.

قد يبدو مزعجًا ومخيفًا القول إن الفئة المنحازة للحقيقة هي الأقل بين الكتّاب، لسبب مهني بسيط هو أن الحقيقة غالبًا ما تكون غير « مثيرة » وهو ما ينتظره الكتّاب المنحازون للجمهور، وغير « نفعية » وهو ما ينتظره الكتّاب المنحازون للدولة.

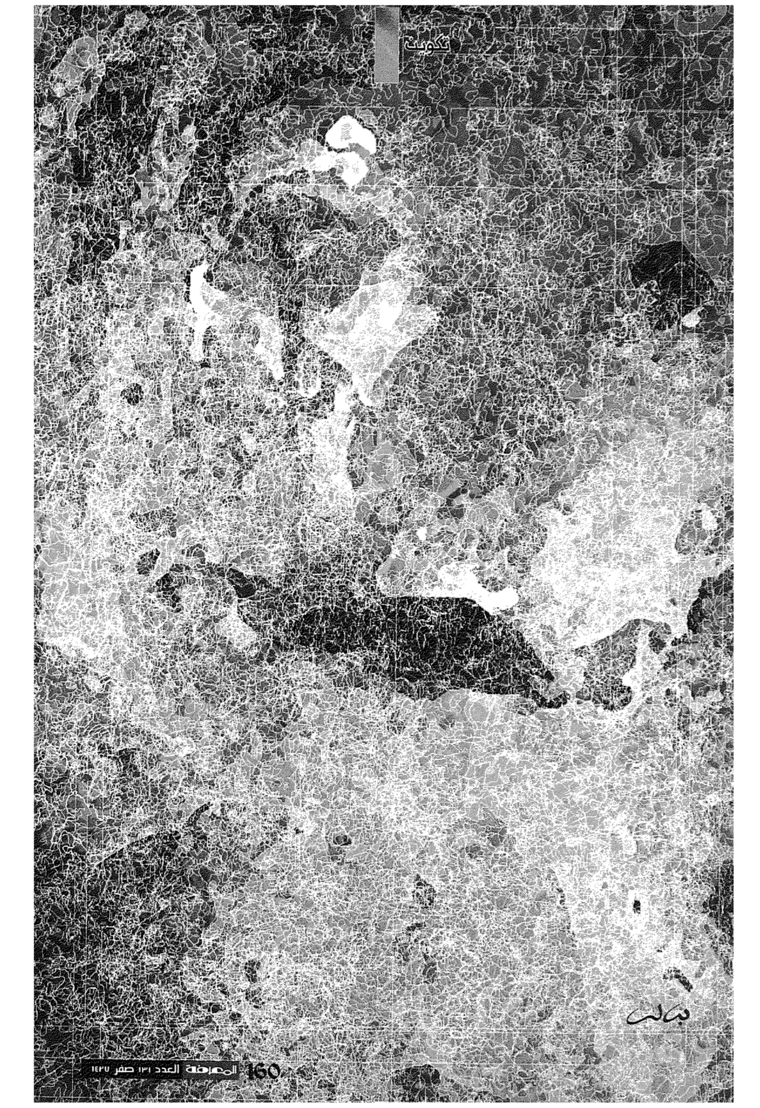
إذًا ما الحل؟!

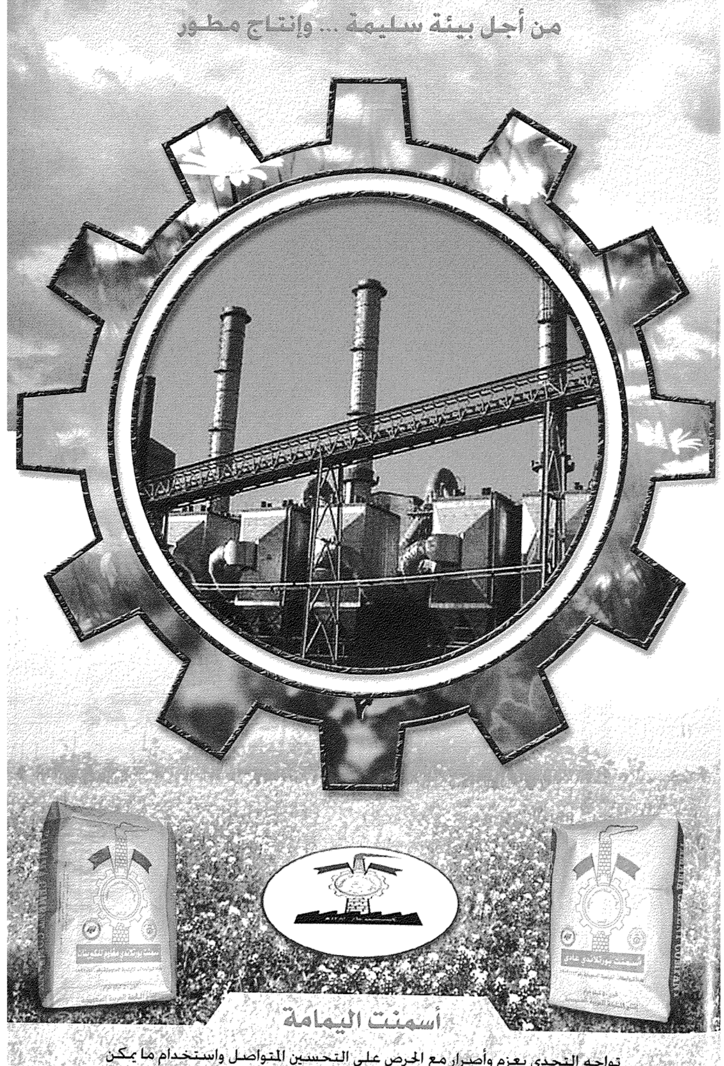
لا حل!

سوى في إدراك أن هؤلاء هم الكتّاب منذ فجر الكتابة، فقبل أن تُخلق الأعمدة الصحفية كان الوراقون ينحازون في مؤلفاتهم إلى أحد الأطراف الثلاثة: الدولة أو الجمهور أو الحقيقة، واستمر ثالوث الانحياز حتى يومنا هذا!

وعلى منوال الحديث الشريف: «قاضيان في النار وقاض في الجنة»، يمكن القول ـ ثقافيًاوليس شرعيًا ـ : كاتبان في النار وكاتب في الجنة!

أي أن نفس الكاتب هي ملاك بين شيطانين! ■


تكوين
بابك


من أجل بيئة سليمة ... وإنتاج مطور
أسمنت اليمامة
تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم فى الانبعاثات للمحافظة على البيئة.

قاموس أطلس SD 770

قاموس أطلس الموسوعي
أكثر القواميس إنجليزي - عربي شمولاً

نحن نوفر عنك عناء البحث والجهد

- قاموس إنجليزي عربي - عربي إنجليزي إنجليزي إنجليزي - (لونغ مان)
- التدريب على النطق بواسطة تسجيل صوتك على الجهاز وسماعه
- اللغة (المفردات - المترادفات - المتضادات)
- قواعد اللغة الإنجليزية (مرشد شامل)
- قواعد اللغة العربية (تطبيق قواعد النحو)
- تعلم اللغة الإنجليزية (الحروف الأبجدية والمفردات الإنجليزية الأساسية)
- الموسوعة (موسوعة شاملة بالإضافة إلى تطبيق إختبارات معلوماتك العامة)
- منظم مواعيد • حاسبة علمية شاملة .





منطق للكمبيوتر والاتصالات المحدودة

المركز الرئيسي : ص.ب ٢٥٧ – الدمام ٣١٤١١ – تلفاكس : ٨٣١١٥١٢

الفروع: الخبر: مجمع فؤاد سنتر 8953208 - الدمام: مركز الدانة 8346585 - الواحة 8269145 - الرياض 4767777 - المعرض 4781716 - جدة 6394422 - المعرض 6608672

المنطقة الشرقية		المنطقة الوسطى		مخزن الكمبيوتر	2290075	مؤسسة بافرط للتجارة	6671734	ينبع : مكتبة باحمدون	3902118
مكتبة جرير	8943311	مكتبة جرير (العليا)	4626000	الخرج - حاسوب	5442371	عالم الإلكترونيات	6606405	مؤسسة القحطاني	3903773
مكتبة العبيكان	8091399	مكتبة جرير (الملز)	4773140	بريدة - مكتبة العليقي	3238061	مكة المكرمة :		أبها :	
مكتبة المتنبي	8411395	مكتبة العبيكان	4654424	الرس - مركز القرطاسية	3337517	محلات الباروم	5741066	مكتبة تهامة	2248504
المكتبة الوطنية الجديدة	8640040	اكسترا	4196677	حائل - الأدوات المدرسية	5225550	مكتبات مرزا	5587235	مكتبة العبيكان	2275050
الاحساء		مكتبة الشقري	4611717	عرعر - معرض الكروان	6626809	مكتبة تهامة	5426634	خميس مشيط	
مكتبة الاحساء	5311501	مكتبة ابو معطي	4587110	الزلفي - الشبكة الفضية	4223028	المدينة المنورة :		بن خصوصة للكمبيوتر	2232176
مكتبة العبيكان	5864666	مكتبة المؤيد	4020396	عنيزة - القرطاسية	2632228	مكتبة العبيكان	8330620	المنهل للإلكترونيات	055665121
مكتبة المنار	5928388	ألكترو	2053444	المنطقة الغربية : جدة		مكتبة دار الزمان	8366666	بلجرشي : مكتبة المنهل	7221048
مكتبة الضامر	5825113	مكتبة الخريجي	4646258	مكتبة مرزا	6726020	شركة عالم الإلكترونيات	8255966	تبوك : مكتبة النجمة	4236411
مكتبة العبيكان - حفر الباطن	7211118	رمث	4093333	مكتبة المأمون	6446614	موسسة بافرط للتجارة	8236442	جيزان : مؤسسة السلطان	3225000
الخفجي الأسواق العالمية	7662800	هايبر بندة	2298255	مكتبة تهامة	6601325	الطائف :		نجران : مركز الفيصلية	5224570
مكتبة المعرفة (حائل)	5432469	معرض دبي	4082795	مكتبة المكتبة	6713143	المكتبة العربية	7360400	موزعون الجملة :	
القطيف : مؤسسة العلقم	8540174	شركة المصباح	2202985	مكتبة جرير	6827666	مكتبة المصيف	7368840	متجر الشاطري	6481157
		الكمبيوتر العربي	4263319	شركة أحمد عبدالواحد	6546658	مكتبة الدار السعودي	7327642	مؤسسة السيوفي	6483527

www.atlassite.com - E-mail: sales@mantech-sa.com